القول المستظرف

في سفر الملك الأشرف قايتباي

لابن الجيعان

يليه

تاريخ الملك الأشرف قايتباي

لمؤلف مجهول

تحقيق
الدكتور محمد زينهم

الدار الثقافية للنشر

من التراث التاريخى

كتاب

القول المستظرف

فى سفر الملك الأشرف قايتباى

لابن الجيعان

يليه

تاريخ الملك الأشرف قايتباى

لمجهول

تقديم وتحقيق وتعليق

الدكتور محمد زينهم

الدار الثقافية للنشر



عنوان الكتاب : القول المستظرف في سفر الملك الأشرف — AL Kol AL Mostadhraf

المؤلف : ابن الجيعان — Ebn EL gayaan

تحقيق : د. محمد زينهم — Dr. M. Zenhom

17 X 24 سم . 144 ص — 17 x 24 cm.144 p.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : 2005/8271 — ISBN: 977 - 339 - 164 - 7

اسم الناشر : الدار الثقافية للنشر

الطبعة الأولى

1427 هـ / 2006 م

الدار الثقافية للنشر - القاهرة

ص. ب. 134 بانوراما أكتوبر 11811 - تليفاكس 4035694 ــ 4172769

Email: nassar@hotmail.com



وبـــه نستعين

مقدمة المحقق

الحمـد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل خلق الله الصادق الأمين محمـد بـن عـبد الله صـاحب السـيرة المحمدية وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وبعد:

كانـت مصر من بين فتوح الدولة العثمانية أعظمها وأيسرها، ففى مرج دابق غـنم بنو عثمان تراث الدولة الإسلامية الذى تكدس فى الشام ومصر مدى تسعة قـرون وسـحقوا دولـة السـلاطين الزاهرة، وهى ما تزال تحتفظ بكثير من سالف بأسها وبهائها وانتزعوا رسوم الخلافة العباسية بعدما اتشحت بها مصر عصوراً طويلـة وكـان مصير مصر يضطرب فى كفة القدر، قبل ذلك بأكثر من قرن،ومن المحقـق أنهـا كانت قبلة لأطماع بنى عثمان منذ اشتد ساعدهم ونما سلطانهم، واشـرفوا مـن هضـابهم عـلى حـدود مصـر الشـمالية وهـى يومئذ قاصية الشام، فكانـت مصـر تـثير جشع أولئك الغزاة بخصبها وغناها ونعمائها. وما كان فتح بـنى عـثمان لمصـر أو عـلى الأقـل محاولـتهم لهذا الفتح، لترجأ إلى عام " مرج دابـق" لـولا أن عاصـفة هائلـة هبـت عـلى العـالم الإسلامى قبل ذلك بأكثر من قرن، فكادت تكتسح جميع الدول الإسلامية، ولولا أنها انقضت بالأخص على مجـد بنى عثمان الناهضة بضربة شديدة سنة ١٤٠٢م بعد أن اجتاح فى طريقه كل الأمم الإسلامية من سمرقند إلى الشام، فخبا ظمأ الفتح الذى شهر بنوعثمان سـيفه حيـناً، وشغلوا مدى نصف قرن آخر بإصلاح شؤونهم واتمام اهبتهم لفتح القسـطنطينية ومـنذ محمـد الفـاتح عاد سيل الفتح العثمانى يتدفق نحو الشمال ونحـو الجـنوب وعـادت مصر قـبلة الفـاتحين ولم تـنج مصر من بطش الفاتح الـتترى، فقـد انقـض تـيمور لـنك قبيل ذلك على بلاد الشام؛ فافتتحها وعاث فـيها أشـنع عيـث ولم تـنجع أهبة سلطان مصر وسيره إلى لقاء الفاتح شيئاً فى

تلافـى النكـبة، ولم تهـدأ العاصفة إلا حينما ارتد الفاتح من تلقاء نفسه، وسار لقـتال بـنى عـثمان، ولـو كان تيمورلنك يعنى بالفتوح المستقرة لكانت مصر بلا ريب إحدى غنائمه، بل هنالك ما يدل على أنه كان يعتزم فتح مصر بعد الشام لـو لم تـتخذ الحـوادث مجـرى آخـر وتدفعه نحو الشمال على أن مصر تأثرت أيضاً بتلك النكبة التى سحقت الشام حصنها من الشرق وشغلت حيناً بتحصين قواعدهـا وإصـلاح أهـباتها، هـذا وبيـنما كانـت مصـر تختتم عصورها المجيدة وتـنحدر ببطء إلى طور جديد من الإنحلال وتجنح إلى حياة فتور ودعة، هى أثر عصـور طويلـة من السلام والعيش الناعم، إذا بالدولة العثمانية الفتية الناهضة، تفـيق من نكبتها بسرعة وتفتتح القسطنطينية، ثم توغل فى الفتح شمالاً وشرقاً. وكـان شـبح هـذا الخطـر يلوح لمصر قبل وقوعه بأعوام طويلة. ومنذ أوائل القرن العاشـر الهجـرى. أوائل القرن السادس عشر الميلادى كانت الجيوش العثمانية تهـدد الشـام مـن الشـمال والشـرق وكانـت مصـر مـن جانبها واثقة فى منعتها فكانـت كـلما لاح هذا الخطر تهم لدفعه فى أهبات جزئية محلية. غير أن ثقة مصر فى منعتها وربما فى حسن طالعها واستسلامها إلى نوع من قدر الحوادث، كانـت أعظـم أسـباب النكـبة فقد لبثت مصر آمنة هادئة حتى اتخذ الفاتح كل أهبـته وسـار سـلطان مصـر للقائـه فـى أقصـى حدوده الشمالية تاركاً من ورائه حكومـة مفككـة العـرى وقواعـد غـير محصنة وعمالا ذوى أطماع وكيد، فكانت المفاجأة الهائلة فى " مرج دابق" وكان زوال ملك مصر وسيادتها وكان بدء رقها وفاتحـة ذلـتها مدى عصور طويلة، ذوى فيها مجدها التالد، وركدت فيها كل نواحـى عظمـتها السـالفة وانحـدرت إلى شـر مـا تـنحدر إلـيه أمة عظيمة، من ضـروب الإنحـلال الفكـرى والاقتصـادى والاجـتماعى. والحقيقة أن فتح الترك للأمـم العربـية والإسـلامية، لم يكـن إلا تتمة لأعمال السفك والتخريب الهائلة الـتى بدأها هولاكو وبرابرته التتار بسحق الدولة العباسية والمدنية الإسلامية فى بغـداد فـى منتصـف القـرن الثالـث عشـر واسـتأنفها تيمورلنك فى أواخر القرن الـرابع عشـر، بـيد أن الفـتح العـثمانى كـان باسـتقراره أعمـق أثراً من الوجهـة المعنوية وأشد تقويضاً للمدنية الإسلامية من الفتوح التتارية المؤقتة.

فلهذا حرصت كل الحرص على تقديم عمل جديد وهو تحقيق مخطوطتين فى التاريخ عن السلطان قايتباى، فالمخطوطة الأولى "القول المستظرف فى سفر الملك الأشرف قايتباى" وقد قمت بتصويرها من معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (رقم ١٨٩٩ تاريخ) نقلاً عن النسخة الموجودة بدار الكتب المصرية (رقم ٢١٠ تاريخ) لابن الجيعان وتقع فى ٨٤ ورقة والأخرى " تاريخ الملك الأشرف قايتباى" لمجهول وتقع فى ٨٢ ورقة وقد قمت بتصويرها أيضاً من معهد المخطوطات العربية (رقم ١٤٦٣ تاريخ) نقلا عن النسخة الموجودة بدار الكتب المصرية (رقم ٨٥٥٤ ح).

وهو السلطان قايتباى المحمودى الأشرفى ثم الظاهرى أبو النصر سيف الدين سلطان الديار المصرية من ملوك الجراكسة. ولد سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م كان من المماليك اشتراه الأشرف برسباى بمصر، صغيراً من الخوجه محمود سنة ٨٣٩ هـ وصار إلى الظاهر جقمق بالشراء، فأعتقه واستخدمه في جيشه فانتهى أمره إلى أن وصل إلى أتابك العساكر فى عهد الظاهر تمربغا سنة ٨٧٢ هـ وخلع المماليك تمربغا فى السنة نفسها وبايعوا " قايتباى" بالسلطنة فتلقب بالملك الأشرف وكانت مدته حافلة بالعظائم والحروب وسيرته من أطول السير. واستمر إلى أن توفى بالقاهرة سنة ٩٠١ هـ / ١٤٩٦م وفى أيامه تعرضت الدولة لأخطار خارجية أشدها ابتداء العثمانيين أصحاب القسطنطينية بمحاولة احتلال حلب وما حولها، فأنفق أموالا جسيمة على الجيوش لقتالهم وشغل بهم حتى أن صاحب الأندلس استغاث لإعانته على دفع الفرنجة عن غرناطة فاكتفى بالالتجاء إلى تهديدهم بواسطة القسوس الذين فى القدس وبالأسلوب الدبلوماسي كما يقال اليوم، فاحتلوا غرناطة وذهبت الأندلس، ويذكر ابن إياس وكان معاصراً له- أن ما أنفقه على التجاريد " الجيوش" بلغ زهاء سبعة ملايين وخمسمائة وستين ألف دينار، عدا ما كان ينفقه على الأمراء والجند عند عودتهم من جهات القتال قال: وهذا من العجائب التى لم يسمع بمثلها، وذكر أنه كان متقشفاً، له اشتغال بالعلم، وأنه كثير المطالعة فيه نزعة صوفية، شجاع عارف بأنواع الفروسية، مهيب عاقل حكيم إذا غضب لم يلبث أن تزول

حدتـه ، أبقـى كـثيراً من آثار العمران فى مصر والحجاز والشام لا يزال بعضها إلى الآن، وصـاحب المخطوطـة الأولى هـو ابـن الجـيعان هـو أبـو الـبركات بـن الجـيعان الولـوى أحمـد بـن الشـرفى يحـيى بـن العـلمى شـاكر بن عبد الغنى القاهـرى شقيق أبى البقاء وصلاح الدين وأوسطهم ولد فى حادى عشرى رمضان سـنة تسـع وأربعـين وثمانمائـة بالقاهـرة، ونشـأ فـى كـنف أبويه فحفظ القرآن والتنبـيه وغيرهمـا وأسمعـه عـلى جماعـة كالـزين شـعبان بـن حجر والشهابين الحجـازى والشـاوى والجـلال بن الملقن والمحبين ابن الفاقوسي وابن الألواحى والشـمس الـرازى الحـنفي والجمـال بـن أيـوب والـبهاء بـن المصـرى وأم هانئ الهورينـية وكاتبه و آخرين، وأجاز له شيخنا والعلم البلقينى والمناوى والشمس ابـن العمـاد وغيرهـم مـن الشـافعية، وابـن الديرى وابن الهمام والاقصرائى من الحنفـية، والولـوى السـنباطى وأبـو الجود من المالكية، والعز الحنبلى وقريبته نشـوان وآخـرون من القاهرة وأبو الفتح المراغي والزين الاميوطى والتقى بن فهد والـبرهان الزمـزى والشـهاب الشوايطى والموفق الابى وأبو السعادات بن ظهيرة مـن الشافعية وأبو البقاء وأبو حامد ابنا بن الضياء من الحنفية وآخرون من مكة والمحـب المطـرى وأبـو الفـتح بن صالح وغيرهما من المدينة والزين ماهر والتقى أبو بكر القلقشندى والجمال بن جماعة وأبو بكر بن أبى الوفاء وغيرهم من بيت المقـدس والـنظام بـن مفـلح وقريـبة الـبرهان وعبد الرحمن بن أبى بكر بن داود والشـهاب أحمد بن جعفر بن حسن بن عبد الهادى وأحمد بن محمد بن عبادة وغيرهـم مـن دمشـق وصـالحيتها وأبـو جعفـر بـن الضـياء والضياء بن النصيبى وآخـرون مـن حلب فى طائفة من غير هذه الأماكن باستدعائى وغيرى، وتدرب بولـده فـى المباشـرة وخـالط المحـيوى الدمـياطى والشـهاب السـجينى والسراج العـبادى وإمام الكاملية وغيرهم ممن كان يتردد إليهم سمع النور السنهورى بل قـرأ علـيه يسـيراً مـن فتن الحاجبية ومن شرحه الصغير على الجرومية وحضر قلـيلاً عـند الـبكرى والجوجـرى وأخـذ بنفسـه فـى التنبـيه عـن زكرياء والزين السنتاوى، وعبد الحق السنباطى ونحوهم وعلى ملا على الكيلانى فى الانموذج للزمخشرى وقرأ على الديمى فى البخارى والأذكار، وسمع منى المسلسل بالعيد

وبالأولية وأشياء من تصانيفي وغيرها وحج وترقى بذكائه وحسن أدبه ووفائه إلى أن خطبه السلطان الأشرف قايتباى وقد تفرّس فيه النجابة لنيابة كتابة السر بعد النور الانبانى وقدمه على غيره ممن مد عنقه إليها فخموت أنواع الكلام فازدحم الناس ببابه ودخل فى أمور يبين غيره عنها لقوة جنانه وخطابه. واستمر فى نموه وعلوه حتى مات بمنزلهم من بركة الرطلى بعد انقطاع أيام قلائل فى صبح يوم الاثنين ثامن شعبان سنة تسع وثمانين وثمانمائة وتأسف الناس على فقده رحمه وإيانا وعفا عنه. واستقر بعده أخوه صلاح الدين وترك عدة أولاد: عبد الكريم وأحمد وفاطمة وعائشة وفرج.

أما المخطوطة الثانية فصاحبها مجهول ولم أعثر من المصادر والمراجع على شخصيته ربما يكون من القرن العاشر أو الحادى عشر الهجرى. ومع ذلك فهى شديدة العناية بشخصية قايتباى وحياته وفتوحاته وانتصاراته وإصلاحاته، فالمخطوطتان فى غاية الأهمية فلهذا نقدم هذا العمل إضافة للمكتبة التاريخية وخاصة التى تمس العصور الوسطى فى الشرق أى عصر المماليك. وأرجو من الله عز وجل أن ينال هذا العمل رضاء الله والمسلمين والباحثين والدارسين وطلاب العلم

الدكتور محمد زينهم محمد عزب

القاهرة فى ٢٠ شعبان ١٤٢٦هـ
الموافق ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

[ق ٢ أ] الحمد لله الذى عمر ممالك الإسلام بسلطاننا الأشرف، وألهمه للسير إليها، والنظر فى أمرها بعد ما كان حالها على الفساد أشرفت، أحمده إذ مَنَّ علينا به فى زماننا هذا وجعله بالخير يعرف، وأشكره [ق ٢ ب] شكراً دائماً مستمراً كلما مضى بالشكر يردف، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تدخل قائلها فى الجنان قصراً مزخرفاً، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، الذى هو بالمؤمنين أرأف، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين [ق ٣ أ] جاهدوا فى الإسلام بحد المرهف، وبعد:

فإنه ألهم الله الكريم سبحانه وتعالى سيدنا ومولانا الإمام الأعظم والهمام المقدم، آخر الملوك على الإطلاق والتحقيق، جامع أشتاته الفضائل والفواضل، حاوى المحاسن والمآثر من خصه الله منه بحسن [ق ٣ب] اليقين، حامى حوزة الدين، خادم الحرمين الشريفين المستغنى عن الإطناب فى الألقاب، السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى، خلّد الله ملكه إلى المسير إلى الممالك الشامية، وسرنا فى أثره إلى أن لحقنا [ق ٤أ] ركابه الشريف وتوجهنا فى خدمته نصره الله تعالى ورأينا من البلاد والعباد والأشجار والأثمار والأنهار والأودية والعقبات والجبال والعجائب والغرائب، ما يتعين على الإنسان ضبطه والمطالعة به لأرباب العقول المستقيمة والحواس [ق ٤ ب] السليمة من المشايخ الحاوين للخير والفضيلة. ليؤرخوا ذلك عندهم ويكتبوه فى كتبهم، فإنه لم يسبق لمثل ذلك، من نره إلى من فى خدمته من الخاص والعام، وما أسدى إليهم من الفضل والإحسان، وحسن الخطاب، وحلاوة اللسان [ق ٥ أ] هذا مع الهيبة والحرمة والشهامة والشجاعة، ولكن التواضع والخير صار له صناعة.

فأردت أن أكتب نبذة مما وقع من هذا الأمر العظيم الذى لم يسبق لمثله، ولا تقدمه له من الملوك غيره ولا أبناء جنسه، وأن تكون هذه تحفة منى إليهم كتحفة النملة [ق ٥ ب] لسليمان، وأسلهم أن نسبلوا على ذيل فتوتهم ولا يؤاخذونى بما وقع منى من الخطأ، فأننى والله بضاعتى مرجاه وبالله المستعان وعليه التكلان، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

* العنوان من عندنا

* بداية الرحلة *

فنقول: توجه ركابه الشريف نصره الله تعالى من القاهرة المحروسة قاصداً للصالحية[1] [ق ٦أ] للنظر فى أمر جامعه العظيم الذى أنشأه بها، ولم يصحب معه من الأمراء سوى الأمير تانى بك قرا الدوادار الثانى والأمير جانى بك العلائى حبيب أمير أخور ثانى والأمير يشبك الجمالى المحتسب والأمير يشبك من حيدر متولى القاهرة المحروسة والأمير [ق ٦ب] شاهين الجمالى نائب جدة المعمورة، وكان الأمير الماس المحمدى أستادار الصحبة الشريفة.

والأمير قانى باى السيفى شاد بك سلاق ثم مماليكه الخرج نحو الخمسة وعشرين نفراً ومن غيرهم من بقية الطوائف نحو العشرة أنفار أرباب الوظائف، ومن الخدام الزينى سبيل [ق ٧أ] الأحمدى الخازن والزينى فيروز الجمالى الخازندار والفخرى إياس من يشبك الساقى.

---

(١) قرية قرب الرها من أرض الجزيرة اختطها عبد الملك بن صالح الهاشمى، وقال الخالدى قرب الرقة وقال عندها بطياس وديرزكى وهو أنزه المواضع، وقال الخالدى فى تاريخ الموصل من تصنيفهما أول من أحدث قصور الصالحية المهدى، فقال منصور بن النميرى

قصور الصالحية كالعذارَى ... ولبسن حليهن ليوم عرس
تقنعها الرياض بكل نَوْر ... وتُضحكها مطالعُ كل شمس
مطلاّت على نُطُف المياه ... دبيب الماء طيبة كل غَرْس
اذا بَرَد الظلامُ على هواها ... تنفر نورها من كل نفس

قال عبيد الله الفقير إليه أما بطياس فقصور كانت لعبد الملك بن صالح وابنه على بظاهر حلب ذكرتها فى بابها وكذلك الصالحية ولكن ذكرت كما قالوا وقال الصنوبرى.

إنى طربت إلى زيتون بطياس ... بالصالحية ذات الورد والآس

والصالحية أيضاً محلة ببغداد تنسب إلى صالح بن المنصور المعروف بالمسكين. والصالحية أيضا قرية كبيرة ذات أسواق وجامع فى لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق وفيها قبور جماعة من الصالحين ويسكنها أيضاً جماعة من الصالحين لا تكاد تخلو منهم وأكثر أهلها ناقلة البيت المقدس على مذهب أحمد بن حنبل

انظر المزيد فى: معجم البلدان ٥/ ٣٣٣.

ومـن الأئمة سيدنا شيخ الشيوخ البرهانى الكركى[1] ومن المتعممين قاضى القضاه قطب الخيصرى[2] قاضى القضاه الشافعية بدمشق وقرأ بدمشق وبعلبك والقدس ومصر ومكة وولى قضـاء الشـافعية وكـتابة السـر بدمشـق وكاتب السر الشريف بها والقاضى [ق ٧ب] علم الدين يحيى بن البقرى ناظر الإسطبلات الشريفة، ومن المؤذنين الشيخ فاضل السكندرى.

وكـان توجهـه فى ليلة الأثنين سلخ شهر جمادى الأول سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة ثـم أقـام بالصـالحية إلى أن صـلى الجمعـة بجامعـه المذكور فى رابع شهر جمادى الثانى وخطب به [ق ٨أ] مولانا قاضى القضاه قطب الدين المشار إليه.

ثـم توجـه ركابـه الشـريف منها وأمر ألا يتبعه أحد من الأمراء ولا من المماليك. ورسم بطلـب موقع عارف فاقتضى الحال توجه سيدنا المقر الزينى بن مزهر ناظر ديوان الإنشاء الشريف عظم الله شأنه وصحبه من [ق ٨ ب] الموقعين بالأبواب الشريفة القاضى شهاب الديـن بـن الـتاج والقاضـى عز الدين الحلبى، وكذلك المقر الكمالى ناظر الجيوش المنصورة وهـو ابـن المـرحوم الجمالى ناظر الخواص الشريفة تغمده الله برحمته وأخوه المقر الشهابى

---

(١) هو إبراهيم بن موسى بن بلال بن عمران بن مسعود بن دمج برهان الدين الكركى عالم بالقراءات والفقةوالعربية، ولد فى كرك الشوبك (بشرقى الأردن) سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م وأقام مدة فى القدس والخليل وتردد إلى مصر فأخذ عن علماء تلك البلاد وحج، واستوطن القاهرة سنة ٨٠٨هـ وولى قضاء المحلة (بمصر) سنة ٨٢٧ هـ وناب فى القضاء بمنوف سنة ٨٢٩ هـ ثم عاد إلى القاهرة وتوفى فيها سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م. من كتبه فى القراءات " الاسعاف فى معرفة القطع والاستئناف" "و الآلة فى معرفة الفتح والإمالة" و " حل الرمز فى الوقف على الهمز" وكتاب فى " مذاهب القراء السبعة" وله فى علم العربية " شرح ألفية ابن مالك" و " نثرها" و " مرقاة اللبيب إلى علم الأعاريب" وله مختصرات وحواش فى التفسير وفقه الشافعية"

انظر المزيد فى: التبر المسبوك ٢٧٣، نظم العقيان ٢٩.

(٢) هو محمد بن محمد بن عبد الله بن خيصر قطب الدين أبو الخير بن الخيصرى الزبيدى الدمشقى الشافعى، قاض من العلماء بالتراجم والأنساب والحديث أصله من عرب البلقاء، ولد فى بيت لهيا (من قرى دمشق) سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م.

وتوفـى بالقاهـرة سـنة ٨٩٤هـ / ١٤٨٩م، له كتب منها " الاكتساب فى تلخيص كتب الأنساب" و " اللفـظ المكـرك بخصـائص النـبى الأعظـم" و " شـرح ألفـية العـراقى" و " طبقات الشـافعية" و " البرق اللموعة" فى الأحاديث الموضوعة، و " الروض النضر فى حال الخضر" و " زهر الرياض".

انظر المزيد فى: الدارس ١/ ٧، نظم العقيان ١٦٢، الرسالة المستطرفة ٩٤، البدر الطالع ٢ / ٢٤٥، الضوء اللامع ٩ / ١١٧.

والمملوك أبو البقاء بن يحيى بن الجيعان. [ق ٩أ] وتوجهنا من القاهرة يوم السبت خامس شهر جمادى الآخرة واستمر بنا فى أثره إلى أن دخلنا غزة المحروسة صبيحة يوم السبت ثالث عشرة فوجدناه توجه منها بعد أن دخلها على الهجن، ولم يشعر بقدومه أحد، فسرنا فى أثره إلى أن وصلنا إلى ركابه الشريف [ق ٩ب] يوم الثلاثاء خامس عشرة وقت الضحى بالمنية سفل صفد[1] بعد أن زرنا سيدنا سلمان الفارسى[2] والشيخ إبراهيم المتبولى[3] بسدود.

---

(١) بالتحريك والصفد العطا وكذلك الوثاق، وصفد مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام وهى من جبال لبنان.
انظر: معجم البلدان ٥/ ٣٦٧.

(٢) هو سلمان الفارسى صحابى من مقدميهم، كان يسمى نفسه سلمان الإسلام أصله من مجوس أصبهان، عاش عمراً طويلاً واختلفوا فيما كان يسمى به فى بلاده وقالوا: نشأ فى قرية جيان ورحل إلى الشام فالموصل فنصيبينى فعمورية وقرأ كتب الفرس والروم واليهود وقصد بلاد العرب؛ فلقيه ركب من بنى كلب فاستخدموه ثم استعبدوه وباعوه، فاشتراه رجل من قريظة، فجاء به إلى المدينة، وعلم سلمان بخبر الإسلام، فقصد النبى صلى الله عليه وسلم بقباء وسمع كلامه ولازمه أياماً وأبى أن يتحرر بالإسلام، فأعانه المسلمون على شراء نفسه من صاحبه فأظهر إسلامه، وكان قوى الجسم. صحيح الرأى، عالماً بالشرائع وغيرها، وهو الذى دل المسلمين على حفر الخندق فى غزوة الأحزاب. حتى اختلف عليه المهاجرون والأنصار، كلاهما يقول: سلمان منا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سلمان منا أهل البيت وسئل عنه على فقال امرؤ منا وإلينا أهل البيت، من لكم بمثل لقمان الحكيم، علم العلم الأول والعلم الآخر، وكان بحراً لا ينزف وجعل أميراً على المدائن فأقام فيها إلى أن توفى سنة ٣٦هـ / ٦٥٦م. وكان إذا خرج عطاؤه تصدق به ينسج الخوص ويأكل خبز الشعير من كسب يده. روى له البخارى ومسلم ٦٠ حديثاً.
انظر المزيد فى: طبقات ابن سعد ٤/ ٥٣ – ٦٧، تهذيب ابن عساكر ٦/ ١٨٨، الإصابة ت٣٣٥٠، حلية الأولياء ١/ ١٨٥، صفة الصفوة ١/ ٢١٠، مروج الذهب ١/ ٣٢٠، محاسن أصفهان ٢٣، الذريعة ١/ ٣٣٢ – ٣٣٣.

(٣) هو إبراهيم بن على بن عمر برهان الدين الأنصارى المتبولى صالح مصرى فيه اعتقاد وغلو، كانت شفاعته عند السلطان والأمراء لا ترد، وله بر ومعروف، وأنشأ أماكن، منها " جامع كبير بطنطا (طنترا) وبرج بدمياط. قال ابن إياس: كان نادرة عصره وصوفى وقته، توفى بأسدود (بالمنوفية) عن نحو ٨٠ عاماً وهو من أهل " متبول" بالغربية
انظر المزيد فى: بدائع الزهور ٢ / ١٤٥، الضوء اللامع ١/ ٨٥.

وسيدنا أبا هريرة[1] بيننا فحصل لنا منه نصره الله تعالى من جبر الخاطر والفضل والإحسان، ما يعجز عنه اللسان، فالله تعالى ينصره [ق١٠أ] مد الأزمان بحق سيد ولد عدنان ووجدنا بخدمته الأمير بردى بك نائب صفد المحروسة وقد أحضر إليه الميزة وما يتعتن عليه.

ثم توجهنا في ركابه الشريف بقية يوم الثلاثاء إلى أن مررنا من جب سيدنا يوسف صلوات الله وسلامه عليه ثم نزلنا [ق ١٠ب] إلى المليحة ليلة الأربعاء سادس عشرة العشاء ووجدنا بالطريق عقبات وصعوداً أو هبوطاً ومحجراً وبيتنا بها.

ثم ركب ركابه الشريف منها وقت طلوع القمر إلى صبيحة الأربعاء وصل وادى التيم كان الخان الذى رسم بعمارته مولانا المقام الشريف [ق ١١ أ] نصره الله تعالى لنفع المسافرين القاطنين فوجدناه حسناً وهو واد عظيم به أشجار وأنهار ولكن طريقه به عقبات عظيمة مهولة وأودية وبعض طريقه لا يمر به سوى الفرس الواحد وغالب أشجاره التوت ولهذا يسمون الوادى بعين التوت ومتحصل تلك البلاد من [ق ١١ب] أشجار التوت لأنه غذاء لدود الحرير، ولكن ماؤه ثقيل وهواه متغير وخم.

وفيه حضر إلى المخيم الشريف الخواجا شمس الدين بن الزمن والصارمى إبراهيم بن منجك والأمير جانى بك العلائى الأشرفى أحد الأمراء بالشام ثم توجه ركابه الشريف منه فى ليلة [ق ١٢أ] الخميس السابع من شهر جمادى الآخرة، وتوجه الأمير بردى بك صفد[2] إلى محل نيابته بصفد فتوجه إلى جسر زيتون بالبقاع من حوران[3] وهو مكان سهل لكن طريقه بها مشاق عظيمة ووعر عظيم وهبوط وصعود وبه أماكن يسمونها السبع قلابات.

---

(١) هو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسى اليمانى، حفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم الكثير وعن أبى بكر وعمر وأبى بن كعب: وعنه سعيد بن المسيب وبشير بن نهيك وخلق كثير، وكان من أوعية العلم. ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلالة والعبادة والتواضع. قال البخارى: روى عنه ثمانمائة نفس أو أكثر. وولى إمرة المدينة وناب أيضاً عن مروان إمرتها. قال الشافعى: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره. مات سنة ٥٨ هـ.

انظر المزيد فى: أسد الغابة ٦/ ٣١٨، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢،خلاصة تذهيب الكمال ٣٩٧، شذرات الذهب ١/ ٦٣، طبقات القراء للذهبى ١/ ٤٠، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٣٧٠؛ العبر ١/ ٦٢، النجوم الزاهرة ١/ ١٥١.

(٢) بالتحريك والصفد العطا وكذلك الوثاق، وصفد مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام وهى من جبال لبنان.

انظر: معجم البلدان ٥/ ٣٦٧.

(٣) هى كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع.

انظر: معجم البلدان ٣/ ٣٦٠ – ٣٦١.

وفيه: حضرت [ق ١٢ب] إقامة مولانا ملك الأمراء نائب وغيره. ثم رسم بأن الأمير نائب الشام والأمراء لا يحضرون إلا بطلب، وتوجه ركابه الشريف منه في يوم الجمعة الثامن عشر من شهر جمادى الآخرة بعد الزوال ومر بكرك[١] سيدنا نوح صلوات الله وسلامه عليه، وهو بلد [ق ١٣ أ] يشتمل على أشجار وأنهار وأعناب وكروم. وبه مقام سيدنا نوح، وقيل إن طول قبره ستون ذراعاً.

ثم توجه منه بقية نهاره إلى أن دخل بعلبك[٢] بعد صلاة العشاء ليلة السبت تاسع عشرة وهي بلد كيسه مسورة وبها أشجار وأنهار وكروم وبطريقها بعض أحجار.

ورأس العين بها مشهور ونائبها من قبل نائب الشام وهو الآن شاهين مملوك ابن صادر، غير أن أهلها بهم لين في كلامهم بحيث يخرجونه عن موضوعه ومما فيها من المآكل العظيمة عندهم القنبريس والقرنبيط وهو كالكرنب وبها معاصر العنب ليعمل منه الدبس والحلوى [ق ١٤ أ] الجوزية والملبن ويطبخون الأرز بماء العنب، ويكتفون به عن العسل وهو عندهم أمر عظيم، وبها قلعة عظيمة البناء يقال إنها التي حكى عنها في القرآن في قصة سيدنا سليمان صلوات الله وسلامه عليه بقوله ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ [سبأ الآية ١٣].

ثم أمر نصره الله أن [ق ١٤ ب] الجمال والأثقال وبعض من في خدمته يتوجهون منها إلى أنطاكية وأن ركابه الشريف يتوجه من بعلبك إلى طرابلس[٣] على عقبة اللمونة

---

(١) بفتح أوله وثانيه وكاف أخرى كلمة عجمية اسم لقلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين إيلة وبحر القلزم والبيت المقدس وهي على سن جبل عال تحيط بها أودية إلا من جهة الربض، والكرك أيضاً قرية كبيرة قرب بعلبك بها قبر طويل يزعم أهل تلك النواحي أنه قبر نوح عليه السلام.

انظر: معجم البلدان ٧/ ٢٤٠.

(٢) بالفتح ثم السكون وفتح اللام والباء الموحدة والكاف مشددة، مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام لا نظير لها في الدنيا بينها وبين دمشق ثلاثة أيام

انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٢٦ — ٢٢٨.

(٣) بفتح أوله وبعد الألف باء موحدة مضمومة ولام أيضاً مضمومة وسين مهملة ويقال أطرابلس وهي ثلاث مدن

انظر المزيد في: معجم البلدان ٤/ ٢٥ — ٢٦.

وأقام ببعلبك إلى يوم الأحد حادى عشرين منه فى وقت الظهر وتوجه إلى أن نزل إلى اللمونة قريب المغرب وهى قرية بين جبال بطريقها [ق ١٥ أ] وعر عظيم ولكن به أشجار كمثرى وغيرها، ووصل بها إلى طلوع القمر وركب والناس فى خدمته وطلع من العقبه إلى أن مر بالحدث صلاة الصبح وصلى به واصطبح ثم ركب مسرعاً إلى أن مر بمكان يقال له كفر [١٥ ب] قاهر ثم استمر راكباً إلى أن دخل من يومه إلى طرابلس يوم الأثنين الثاني والعشرين من جمادى الثاني وقت العصر. وكان المسير بها مشيقا فإنها كانت عقبة عظيمة، وصعود إلى الجومع وعر عظيم وأودية وهبوط حتى إن عقبة إيلا بالنسبة إليها كالشربة ومضغ الحجر [ق ١٦ أ] ويقال إن بالعقبة المذكورة ثلاثمائة وستين لفتة وبها أماكن لا يمر بها إلا الواحد بنفسه وهو على خطر ولولا نيته الصالحة كان حصل لغالب الناس الضرر ولم يحصل من فضل الله مع المشقة إلا الخير والسلامة فسبحان المهون والمسلم واستمر مقيماً بطرابلس [ق ١٦ ب] المحروسة إلى ظهر يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر جمادى الثاني وأبطل بها المكس عن الدباغين وطرابلس مدينة مشهورة مستغنية عن التعريف وارتحل بعد صلاة الظهر من اليوم المذكور إلى جسر أرطوسيه عن طرابلس بنحو يزيد وشئ به نهر ماطين [ق ١٧ أ] وخان وهى بساحل البحر الملح فأقام به إلى ثلث الليل.

ثم توجه ومر بانطرسوس والمرقب وبانياس كل ذلك قرى بساحل البحر الملح إلى أن وصل إلى جبلة بساحل البحر الملح يوم السبت السادس والعشرين من شهر جمادى الثاني، وزار بها سيدنا الشيخ إبراهيم بن أدهم(١) نفع الله تعالى به [ق ١٧ ب] وهى من

---

(١) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمى البلخى أبو إسحاق زاهد مشهور كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقه ورحل إلى بغداد وجال فى العراق والشام والحجاز وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن ويشترك مع الغزاة فى قتال الروم وجاءه إلى المصيصة " من أرض كيليكيا" عبد لأبيه يحمل إليه عشرة آلاف درهم ويخبره أن أباه قد مات في بلخ وخلف له مالاً عظيماً، فأعتق العبد ووهبه الدراهم ولم يعبأ بمال أبيه. وكان يلبس فى الشتاء فروا إلا قميص تحته ولا يتعمم فى الصيف ولا يحتذى، يصوم فى السفر والإقامة وينطق بالعربية الفصحى لا يلحن وكان إذا حضر مجلس سفيان الثورى وهو يعظ أوجز سفيان كلامه فخافه أن يزل. مات سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨م
انظر المزيد فى: تهذيب ابن عساكر ٢/ ١٦٧، البداية والنهاية ١٠ / ١٣٥، حلية الأولياء ٧/ ٣٦٧ و ٨/ ٣، وفيات الأعيان ١/ ٣.

ساحل البحر الملح ولكنها بلد صغير وأهله كالبهائم حتى إن بعضهم قال عند رؤيته لمولانا السلطان نصره الله تعالى لرفيقه دعنى حتى انظر [السلطان] الصغير ورأيت جماعة منهم يأتون إلى عند الهجن الرواحل ويتعجبون عليهم ويقولون هذه الهجن التى يقال (ق ١٨أ] عليها إنها بمصر فسبحان من خلق الخلق أطواراً.

ثم توجه منها ليلة الأحد السابع والعشرين منه إلى ان دخل اللاذقية وهى بناء عظيم محكم بها دكاكين كثيرة خراب وعامر وضع الروم بها ثلاث قلاع متلاصقات وإلى الآن خراب وهى واسعة الفناء عالية البناء بمينة مستديرة [ق ١٨ ب] بها مخازن وبرجان على فوهتها بهما سلسلة عظيمة قيل إن عدد كلابها الحديد سبعمائة كلب وزن حديدها أربعون قنطاراً حلبياً عنه بالمصرى مائتا قنطار حددت فى أيام الظاهرية جقمق[1] ومينتها مستديرة تسع من داخل السلسلة سبع مراكب متلاصقة كبار وبها حمامات [ق ١٩ أ] عامرة وخراب ومن الغرائب بها ما أخبرنا به شمس الدين محمد بن الحسن اللاذقى المعروف بالصويفه الكاتب بخدمة الخواجا الأجل محمد بن الضوا أن باللاذقية طاحوناً يدور مع الريح حيث كان يميناً وشمالاً شرقاً وغرباً ويطحن بها على عادة طواحين الفرنج إلى الآن وإذا طحنت [ق ١٩ ب] مستمرة فى طول اليوم والليلة تطحن اثنى عشر أردباً بالكيل المصرى وعمل الطاحون المذكورة شخص من اللاذقية كان قد أسر ببلاد الفرنج وشاهدها عندهم ولما خلص وحضر إلى بلده عملها وهى أعجوبة.

• إضافة من عندنا

(١) هو جمقق العلائى الظاهرى سيف الدين أبو سعيد من ملوك دولة الشراكسة "الجراكسية" بمصر والشام والحجاز، شركسى الأصل اشتراه العلائى على بن إينال اليوسفى وقدمه إلى الملك الظاهر برقوق. فاعتقه واستخدمه وحبس فى أيام الملك الناصر فرج ثم أطلق وولى أعمالاً فى دولتى الملك المؤيد شيخ والظاهر ططر، إلى أن كان "أتابك" العساكر فى دولة الأشرف برسباى. ولما مات الأشرف وولى ابنه العزيز يوسف سنة ٨٤١هـ استمر جقمق أتابكاً ومدبراً للدولة وقام بعض المماليك فخلعوا العزيز وولوه السلطنة، فانتظم له الأمر إلى أن توفى بالقاهرة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م وهو الرابع والثلاثون من ملوك الترك والعاشر من ملوك الشراكسة عاش نيفا و٨٠ سنة وخلع بولده المنصور، برغبة منه إليه لشدة مرضه ومات بعد خلعه باثنى عشر يوماً.

انظر المزيد فى: بدائع الزهور ٢/ ٢٤ و ٣٤، حوادث الدهور ٢/ ٣٤٩، شذرات الذهب ٧/ ٢٩١ الضوء اللامع ٣/ ٧١.

ثم ارتحل ركابه الشريف من اللاذقية ليلة الاثنين الثامن والعشرين من شهر [ق ٢٠ أ] جمادى الثاني، آخر الليل ونزل قبل الظهر إلى القرشية من معاملة طرابلس، وتوجه الأمير أزدمر نائب طرابلس إلى محل نيابته وحضر بها الخواجا شمس الدين بن الضوا وولده عثمان وهى ضيعة صغيرة ضيقة بين جبال طريقها صعب جداً في غاية ما يكون به هبوط زائد ونهر مستدير [ق ٢٠ ب] فيه نحو الثلاثين لفتة بحيث إن الإنسان يظن أنها أنهار متعددة وإنما هو نهر واحد.

ثم توجه ركابه الشريف آخر الليل ونزلنا إلى الشغر[1] فى ركابه ومن معاملة حلب بعد الظهر من عقبات كثيرة وبه جسر على مياه قيل إنها من العاصى يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من جمادى [ق ٢١ أ] الثانى وهو مكان مفرق طرق به سوق يجتمع فيه أهل البلاد فى يوم الثلاثاء وطرقه أحدها إلى حلب والأخرى إلى انطاكية والباقى إلى غير ذلك.

ثم ارتحل آخر الليل ونزل بالدركوش[2] ضحوة يوم الأربعاء سلخ شهر جمادى الثانى وبه جسر خراب وقناطر رسم مولانا المقام الشريف [ق ٢١ ب] نصره الله تعالى بعمارته وهى بلدة لطيفة عدية قريبة من قصر الأكراد بها أشجار وأثمار وأنهار وناعورة وطاحون على الماء وبها سوق يقام فى يوم السبت وأحضر لنا منه رمان وزن كل واحدة ما يزيد على رطلين مصرى وباذنجان كل واحدة منه وزنها يزيد على رطلين [ق ٢٢أ] مصرى ويبالغ بعضهم ويقول بأن فيه ما يقرب من خمسة أرطال ولكننى ما رأيت ذلك وأُهِلَ هلال شهر رجب الفرد المبارك.

ثم ركب منها نصره الله تعالى والباقى من الليل شئ وتسعون درجة للشمس إلى أن وصل بركابه الشريف ظهر يوم الخميس مستهل شهر رجب الفرد [ق ٢٢ب] سنة تاريخه إلى انطاكية فوجدنا بلدة عظيمة البناء محكمة مسورة سورها عظيم به أبراج مبنية من أعلى الجبل وإلى آخر النهر بحيث إن المدينة ومزارعها وغيطانها واملاكها ونهرها من داخل السور وداخل السور وداخل المدينة سبعة جبال بقلعة على أحد جبالها

---

(١) حصن قرب انطاكية من أعمال العواصم.

(٢) بضم أوله وسكون ثانية وآخره راء يقال شغر البلد وهى قلعة حصينة مقابلها أخرى يقال لها بكاس على رأس جبلين بينهما واد كالخندق لهما كل واحدة تناوح الأخرى وهما قرب انطاكية.

انظر المزيد: معجم البلدان ٥/ ٢٧٨.

ومسافة سورها [ق ٢٣أ] اثنا عشر ميلاً وعدد أبراجها مائة سنة وثلاثون برجاً وعدد شرفاتها أربعة وعشرون ألفا وفتحها الملك الظاهر بيبرس وبها دكاكين كثيرة وأسواق وخلق كثير لكنهم تركمان عجر وبيوتها كالجملونات مسقفة بجملون خشب من قش يسمونه بردى وبها مقام سيدى [ق ٢٣ب] حبيب التجار نفع الله تعالى به وهى بين جبلين وسبعين فسيحين. ولما أن مررنا من الطريق الموصل لها، قيل لنا إن عن يميننا مدينة بغراض[1] وباب الملك، ومنها يتوصل إلى أدنة ومصيصة وطرسوس وسيس وطريقها صعب جداً لا يمر به إلا الواحد، وقيل إن الملك الظاهر بيبرس منع الناس من [ق ٢٤ أ] المرور بها إلا الواحد بنفسه وبها أيضاً نواعير على النهر وأشجار وأثمار وبيع وشراء ورأينا بها أعجوبة وهى أنهم يحملون البقر ويشدونها بسروج واقواش يحملونها الاثقال ويقطرونها كالبغال وأصبح مقيماً بها، وحضر فى يوم تاريخه إلى المخيم الشريف الأمير بردى بك نائب [ق ٢٤ ب] صفد والأمير شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى الفرج نقيب الجيوش المنصورة.

ثم حضر المقر السيفى قانصوه كافل المملكة الحلبية وبعض أمراء. ثم استمر مقيماً بانطاكية يوم السبت ثالثة وحضر إليه بها ابن رمضان أمير التركمان الرمضانية.

ثم رحل منها ثلث الليل الأخير ونزل [ق ٢٥ أ] أسفل بغراس بعد أن عدا الجسر وركب بنفسه الشريفة وطلع من قلعتها إلى القلعة ونظرها ونظر البلد وهى قلعة على جبل ونائبها من قبل نائب حلب وهو بلد صغير ولم يكن فيه بيع ولا شراء وكان المغدى به وكل ذلك فى يوم الأحد الرابع من شهر رجب الفرد سنة اثنتين [ق ٢٥ب] وثمانين وثمانمائة.

ورسم نصره الله تعالى للأمير الماس المحمدى أستادار الصحبة الشريفة والقاضى علم الدين بن البقرى ناظر الاسطبلات الشريفة والزينى أمير حاج بن على الدين رأس باش

---

(١) وقيل بغراسُ: بالسين مكان الزاى مدينة فى لحف جبل اللكام بينها وبين انطاكية أربعة فراسخ على يمين القاصد إلى انطاكية من حلب فى البلاد المطلة على نواحى طرسوس
انظر المزيد في: معجم البلدان ١/ ٤٦٧ – ٤٦٨.

الأوجاقية بالتوجه من انطاكية إلى حلب بما صحبهم من الاثقال وأحضر إليه ميرة مع جماعة من [ق ٢٦أ] التركمان وهى محملة على أبقار بسروج مقطرة كالبغال.

ثم ركب ليلة الاثنين خامسه والباقي للأذان خمسة وثمانون درجة غير حضة الصبح إلى أن حل ركابه الشريف قريب بغرى من آخر العمق وعدا الجسر السلطاني وصارت بغرى عن يمينه وركب بنفسه الشريفة [ق ٢٦ب] ومن معه، وتوجه إلى بغرى وكشف ما بها من الخان والقنطرة وهو الجسر الذى عمره الملك الأشرف اينال[1] وهما الآن خراب والقفول يرد من الروم وتتضرر من خرابهما، فرسم بعمارتهما، وكان وصول العسكر إلى الوطاق صلاة الصبح يوم الأثنين المتقدم ذكره وهو مكان [ق ٢٧ أ] فسيح بين جبال على نهر لكنه جوند وهو في غاية الوخم.

ثم ركب والباقى من الليل خمسة وسبعون درجة خارجة عن حضة الصبح وتوجه من مخايض على حجر يلتف نحو قش مع وحل وطين ثم صعد إلى جبال وأودية وهبط من جبل وواد صعب المرور به جداً.

ثم استمر في هبوط وصعود [ق ٢٧ب] إلى واد كثير الأشجار مثل الصنوبر وغيره من طريق لا يمر بها إلا الفارس الواحد وهو حلزون لا يرى من فى أوله من فى آخره والوادى المذكور يسمى وادى عفرين.

ثم طلع منه إلى جبال تشتمل على صعود وهبوط وعراقيب فى محجر لكن وعرها قليل إلى أن وصل ركابه الشريف [ق ٢٨أ] أذان الظهر يوم الثلاثاء السادس من شهر رجب

---

(١) هو إينال الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين العلائى الظاهرى من ملوك دولة الجراكسة بمصر والشام والحجاز. جركسى الأصل اشتراه الظاهر برقوق من الخواجة علاء الدين على ثم اعتقه فرج بن برقوق وتقدم فى الخدم العسكرية إلى أن كان نائب الرها سنة ٨٣٦هـ فنائب صفد أى حاكمها بالنيابة عن السلطان ثم أتابكاً قائدا عاماً للجيش فى أيام الظاهر جقمق وخلفه ابنه المنصور عثمان فخلعه أمراء الجيش ونادوا بسلطنة إينال سنة ٨٥٧هـ فتلقب بالملك الأشرف وقام بأعباء الملك بحكمة وعقل. فاستمر إلى أن مرض وشعر بالموت، فخلع نفسه من الملك وأمر بتولية ولده أحمد، فولى وتوفى سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م وكان مولده سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م.

المذكور إلى مكان بالقرب من عزاز[٢] يقال له القصطل وفيه حضر امراء حلب وقضائها ونقيب الأشراف بها والخواجا عمر بن الخواجا محمد بن الضوا إلى المنحيم الشريف.

ورسم للقضاة بالتوجه إلى حلب وللأمراء بالاستمرار فى الخدمة [ق ٢٨ ب] الشريفة وتوفى فيه حاتم الأحمدى من الأربعين من الخرج الشريف بعد أن ضعف يوماً واحداً.

ثم توجه ركابه الشريف من المكان المذكور أول الليل من طريق سهلة طينته إلى أن وصل يوم الأربعاء المبارك سابعه بعد الشمس إلى أول مرج دابق وهو مكان فسيح به هواء أطيب [ق ٢٩أ] واستمر إلى الظهر.

ثم ركب منه إلى وقت المغرب وصل آخر المرج المذكور بحافة نهر يسمى نهر القويق به ماء واستمر مقيماً به إلى قبل نصف الليل ركب من المكان المذكور من وعر وسهل وحدرات وهبوط وطلوع ومرينا عند عين إلى ضحي يوم الخميس المبارك ثامنه دخل عين[١] تاب [ق ٢٩ب] وهي مدينة بها أسواق ويسمونها الكيفون وحمامات وبياعات وشراء عذبة الماء طيبة الهواء بها قلعة ذات أبراج عظيمة وخنادق وهو مقام حجة الإسلام الغزالى[٢] وأخيه رضي الله عنهما[٣] وطلع بنفسه الشريفة إلى القلعة المذكورة بوسط البلد وكان نائبها قانى بيه الشريفي من الغور [ق ٣٠أ] وتوفى قبل تاريخه والآن بها نائب عنه شاهين السيفي بردى بك. ثم ركب منها ليلة الجمعة تاسعه والباقي للشمس كما قيل مائة درجة

---

(٢) بفتح أوله وتكرار الزاى وربما قبلت بالألف فى أولها، والعزاز الأرض الصلبة وهي بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالى حلب بينهما يوم

انظر المزيد فى: معجم البلدان ٤ / ١١٨.

(١) هى قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية، وكانت تعرف بدلوك ودلوك رستاقها وهى الآن من أعمال حلب

انظر المزيد فى: معجم البلدان ٤ / ١٧٦.

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى أبو حامد حجة الإسلام فيلسوف متصوف له نحو مائتى مصنف ولد سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م ومات سنة ٥٠٥هـ / ١١١١م

انظر المزيد فى: وفيات الأعيان ١/ ٤٦٣، طبقات السبكى ٤/ ١٠١، شذرات الذهب ٤/ ١٠. مفتاح السعادة ٢/ ١٩١ — ٢١٠، تبيين كذب المفترى ٢٩١ — ٣٠٦، الوافى بالوفيات ١ / ٢٧٧.

(٣) هو أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد أبو الفتوح مجد الدين الطوسى الغزالى واعظ وهو أخو الإمام أبى حامد الغزالى، مات سنة ٥٢٠هـ / ١١٢٦م

انظر المزيد فى: شذرات الذهب ٤/ ٦٠، طبقات السبكى ٤/ ٥٤، وفيات الأعيان ١/ ٢٨، اللباب ٢/ ١٧٠.

وسبع عشرة درجة، واستمر راكباً إلى أن وصل تجاه البيرة بجانب الفرات بعد الشمس بساعات لطيفة.

ثم دخلنا بعده وقت الظهر وسمعنا المؤذنين بجانب [ق ٣٠ب] الفرات الآخر في صلاة الجمعة ودخلت الأثقال وقت العصر ولاقاه الأمير حاتم السيفي جاني بك نائب البيرة(٤) بالطريق ليلاً.

ثم توجه بنفسه الشريفة ومن معه من الأتراك خاصة وسار إلى قلعة المسلمين ليلة السبت عاشرة وتأخر البرك والاثقال والمباشرون [ق ٣١أ] تجاة البيرة، والبيرة بلد به بياعات وشراء أسفل جبل بشاطئ البحر بيوتها مبنية بالحجر المكسور غير أن حسن بك المخذول أخربها وأخرب سورها، ورحل غالب أهلها حين حاصرها وبها قلعة عظيمة حصينة بأعلى الجبل سفلها منحوت من الجبل وأعلاه مبنى ذات [ق ٣١ ب] أبراج وبيوت وأماكن واسعة البناء طيبة الهواء في غاية التحصين حماها الله تعالى وأهلها يشبهون العجم بعضهم عنده رقة طبع بالنسبة إلى بقايا بلاد الساحل وما جاورهم وأهل البيرة يتحدثون بالعربي اللطيف أكثر من التركي بخلاف ما تقدم من البلاد فإنه من حين [ق ٣٢أ] توجهنا من اللاذقية وإلى البيرة لم يكن كلامهم إلا التركي وبلغنا بها أن بلاد حسن وبلاد الروم والقيسارية وما جاورها مسافة عشرة أيام من بلاد كل مملكة منهما خلا من سكانه رحلوا منها خوفاً من قدوم المقام الشريف ومقاتلته نصره الله تعالى وقيل إن قلعة [ق ٣٢ب] المسلمين المذكورة وبلدها كثيرة وهي على شاطئ الفرات وبها سكان كثيرون وسببه أن القلعة عاصبه والبلد لا يمكن التوصل إليه والناس تهرع إليه من البيرة وعين تاب ثم حضر منها ليلاً في البحر ليلة الأحد حادى عشرة، ثم طلع صبيحة اليوم المذكور إلى قلعة البيرة [ق ٣٣أ] المذكورة وعاد منها إلى شاطئ الفرات، وانشد لسان الحال يقول أبياتاً

سر حيث شئت لك المهيمن جار وأحكم فطوع مرادك الأقدار

خضت البحار بسابح أقصى منى هوج الصبا من فعله الآثار

حملتك أمواج الفرات ومن رأى بحرا [ق ٣٣ب] سواك تقله الأنهار

---

(٤) بلدة بالشام.

شـكرت مسـاعيك المعـاقل والـورى   والـتراب والأسـاد والأطـيان

فـلا كـان الدهـر فـيك مديحـاً   تـبقى بقيـت وتذهـب الأعصـار

ثـم توجه ركابه الشريف من شاطئ الفرات ليلاً إلى أن وصل إلى مكان [ق ٣٤أ] يقال لـه الساجور ضحى يوم الاثنين ثانى عشر وكان المعدى الشريف به، ارتحل منه واستمر إلى بعد العشاء نام بالطريق قليلاً، ثم سار إلى أن دخل ميدان حلب فى يوم الثلاثاء ثالث عشر، وفـى يـوم الأربعـاء المبارك الـرابع عشـر مـن شـهر تاريخه توفى ناصر الدين بن المرضـعة رأس نوبـة [ق ٣٤ب] الأمـير نقيـب الجـيوش المنصـورة بالديـار المصـرية ودفن بحلب.

ثم فى يوم الخميس المبارك خامس عشر ركب مولانا المقام الشريف وسار إلى أن دخل المدينة، ولم يطلع إلى القلعة ولا دخل دار النيابة.

ثـم حضـرت تقدمة الأمير قانصوه نائب حلب فى يوم الجمعة سادس عشر [ق ٣٥أ] وتوفـى الأمـير شـهاب الديـن أحمـد بن الأمير ناصر الدين محمد بن الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج نقيب الجيوش المنصورة بالديار المصرية يوم الاثنين التاسع عشر من شهر رجب الفرد سنة تاريخه بعد ان كان له مدة متضعفا من يوم حضوره إلى انطاكية ورجوعـه [ق ٣٥ب] مـن عـين تـاب إلى حلـب ودفـن بتربـة يوسـف بن الجاويش نقيب الجيوش المنصورة بحلب.

ثـم ركب مولانا السلطان نصره الله تعالى صبيحة يوم الثلاثاء العشرين منه وسير ظاهر الـبلد وهـو لابـس الصـوف وكـان ذلـك موافقـاً للسـابع من هتور حضر ركابه الشريف إلى المـيدان [ق٣٦أ] أكـل السـماط وألـبس السـلارى الصـوف الـذى كان عليه للأمير قانصوه اليحـياوى كـافل المملكة الحلبية وهو سلارى صوف أبيض مفرى سنجاب وأحضر للأمير بـردى بـك نائـب صفد سلارى صوف أزرق مفرى سنجاب، وألبسه له واستقر جانى بيه الكمـالى قـرا الأشـرفى [ق ٣٦ب] برسباى نائب طرسوس كان فى نيابه عين تاب عوضاً عن قانى بيه الشريفى من الغور المتوفى قبل تاريخه يوم الخميس الثانى والعشرين منه.

وحضـر شـاه بـداق بـن دلغـادر بـاولاده وجماعة من أمرائه إلى المخيم الشريف بميدان حلـب صـبيحة يـوم الجمعـة الثالـث والعشـرين مـنه وحصل [ق ٣٧أ] منه من الخضوع والترقـق مالا مزيد عليه ركب مولانا المقام الشريف يوم السبت الرابع والعشرين منه وسير

ورسم بإبطال تحكير المصابن بحلب وإبطال رماية الصابون على التجار بسوق الصابون بحلب. وفي يوم الخميس الثاني والعشرين فيه حضرت مطالعات [ق ٣٧ب] من المقر الأتابكي السيفي أزبك من ططخ من القاهرة المحروسة.

ثم في يوم السبت المبارك الرابع والعشرين منه حضرت تقدمة شاه بداق بن دلغادر ما بين خيل وجمال وبغال وأغنام وأنية فضة ومماليك وبقر ووحش وطيور صيد وغير ذلك ومن جملتها ولد به وسأل ان يعملوا [ق٣٨أ] أوجاقية بالاسطبلات الشريفة واستقر القاضي عز الدين بن العديم[1] في قضاء الحنفية بحلب المحروسة عوضاً عن القاضي لسان الدين بن القاضي أثير الدين بن قاضي القضاه محب الدين بن الشحنة الحنفي المتوفى قبل تاريخه.

ثم في ليلة الأحد الخامس والعشرين منه حضر شاه بداق [٣٨ب] صفد ومرزا الصغير ابن محمد بن حسن باك وشاة بداق بن دلغادر وولداه وداود بن رمضان وولداه وولد سوار ابن دلغادر الصغير وأمراء التركمان.

ثم بعد السماط والمشروب ألبس شاه بداق كاملية سمور وأركب فرساً بسرج وكنفوش وولداه سلاريين مقربين بالسمور وبقية التركمان بحسب مراتبهم وحصل الصلح بين الأمير قانصوه نائب حلب وبين الأمير جانم من تاني نائب قلعة حلب وألبس الأمير نائب حلب للأمير نائب القلعة بها كاملية مفراه سمور.

ثم أحضر تقدمته للمخيم الشريف واستقر القاضي جمال الدين يوسف [ق ٣٩أ] التادني قاضي القضاه الحنبلي بحلب في كتابة السر بحلب ونظر الجيوش المنصورة بها عوضاً عن ابن المعرى وأملاكه للمقر الكمالي ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية في نظير ما عليه من المال للمشار إليه.

ثم ركب مولانا المقام الشريف في يوم الثلاثاء [ق ٤٠أ] السابع والعشرين منه وسير ظاهر البلد ثم عاد ورسم بتبريز الحمل.

---

(١) هو عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي كمال الدين بن العديم مؤرخ محدث من الكتاب، ولد بحلب سنة ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م ومات سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١م وله عدة مصنفات.
انظر المزيد في: فوات الوفيات ٢/ ١٠١، ارشاد الأريب ٦/ ١٨، الجواهر المضية ١/ ٣٨٦، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١٥، مرآة الجنان ٤/ ١٥٨، شذرات الذهب ٥/ ٣٠٣.

ثـم توجـه هجـان المقـر الأتابكى السيفى أزبك من ططخ بجواب الكتاب الذى أحضره مـن مخدومه وبالمراسيم الشـريفة المرسـوم بكتابـتها فى يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شهر رجب الفرد.

ورسـم فـيه بالرحـيل من حلب [ق ٤٠ب] وحملت الأثقال بكرة النهار وتوجه ركب مولانـا المقـام الشـريف نصـره الله تعـالى مـع الظهر وطلع إلى القلعة المنصورة وفى خدمته نائب حلب ونائب صفد والأمراء فى خدمته.

ثـم حضـر فى بقية نهاره من على مقام سيدنا سعد الأنصارى نفع الله تعالى به ورضى عـنه إلى حـين وصـل إلى خـان طومـان بعـد العصر ونائب [ق ٤١أ] حلب ونائب القلعة وأمـراء حلـب والجمـيع فـى خدمـته وأحضـر السماط من نائب حلب وكان المبيت به إلى الصباح والخان المذكور فى البرية، وحلب مدينة عظيمة وقلعتها عظيمة وأهلها ناس ملاح وهم مستغنون عن الوصف لشهرتهم.

وفـى يـوم الخمـيس [ق ٤١ ب] المـبارك التاسـع والعشـرين منه ألبس الأمير قانصوه اليحـياوى نائـب حلـب والأمير جانم من تاني نائب القلعة بها وعثمان بن علبك دوادار السـلطان بحلـب وأبـو بكر بن صالح الكردى الحاجب بحلب ومن معهم تشاريف شريفة ورسـم لهـم بالـتوجه إلى حلـب وتأخـر [ق ٤٢أ] فى خدمته جماعة من أمراء الشام ومن أمراء طرابلس ومن أمراء غزة وغيرهم.

وتوجـه فـى بقـية يومه إلى أن حل ركابه الشريف إلى سرمين قبل العصر من بقية يوم الخمـيس التاسـع والعشـرين مـنه وبـات بهـا إلى أن صـلى الصبح وحضر إليه بها الأمير قـراجا نائب حماة وحضرت إليه إقامة [ق٤٢ب] يشبك حاجب الحجاب بالشام ووقف له أهل القرية وتضرروا من أمير الشام مقطعها.

ثـم رسـم بإضـافتها مـع غيرها إلى الذخيرة الشريفة يتحدث الخواجا محمد بن الضوا وأن يعطى لمقطعها مبلغاً بسبب إزالة ضررهم وظلامتهم.

ثـم ركـب مـنها بعـد صلاة الصبح يوم الجمعة سلخه إلى أن وصل [ق ٤٣أ] إلى معرة النعمان وبها سيدنا شيث وسيدنا يوشع صلوات الله وسلامه عليهما وقدم بين يديه سماط مـن نائـب حمـاه، ومـر بالطـريق على خان منجك بقبر الشبل اللعين الذى قيل إنه قتل السيد الحسين رضى الله عنه.

حضـر مرز بن محمد بن حسن بك بن قرابلوك وهو ولد صغير تساع [ق ٤٣ب] العمر إلى المخيم الشريف وبرز له الأمر الشريف بالإقامة فى الخدمة الشريفة بالقاهرة.

ثـم ركـب نصـره الله آخـر اللـيل إلى أن وصـل إلى خـان شيخوا وقت السماط فى يوم السـبت المبارك مستهل شهر شعبان سنة اثنتين وثمانين وثمانمائةوفيه حضرت إقامة من المقـر السـيفي يشـبك [ق ٤٤أ] الـدوادار الكـبير أعـز الله تعالى نصرته وهى سكر وحلوى وبطـيخ صـيفى ومـاء من ماء النيل ثم استقر يوسف بن صقل سير نائب سيس واستقر فى ولاية الحجر بقلعة حلب المحروسة.

ثـم ركـب مولانـا المقام الشريف بعد صلاة الصبح يوم الأحد ثانية وتوجه إلى أن دخل إلى [ق ٤٤ب] ظاهـر حماه المحروسة ونزل بالتل بعد الظهر وتوعك جسده الشريف بها وحصـل له حمـى بـاردة واستمر مقيماً بها إلى ليلة السبت المبارك ثامنه وحضر بها أحمد ابن طفيش شيخ نوى وصحبته إقامة وبطيخ وغيره.

ثم توجه ركابه الشريف ليلة السبت المذكور فى محفة على بغال بعد شوال [ق ٤٥أ] فـى ذلـك ودخلـه علـيه إلى ان وصل إلى الرستن وحماة بلد كبير به أنهار ونواعير وأعظم أنهـاره العاصي وهم يتفاخرون به ولا فخر للعاصي والبلد المذكورة بها كباة وهواؤها متغير وماؤها كذلك وأرضها مرصفة بالحجر الأسود وبعض أهلها عجائب.

ثم لما وصل [ق ٤٥ب] الرستن[1] ألبس الأمير قراجا نائب حمله كاملية سمور وأركبه فرسـاً بسـرج وكـنقوش واسـتقر أيدكـى مـن جـانم أمـيراً كـبيراً بحماه واستقر قريب ابن الـبارزى[2] كاتـب السر الشريف بحماة وألبس ابن الزوبعة الحاجب بحماة تشريفاً شريفاً ثـم نصـره الله تعـالى بـألف دينار لعمارة مقام السيد زين العابدين[3][ق ٤٦أ] والد السيدة

---

(١) بفتح أوله وسكون ثانيه وتاء مثناة من فوق وآخره نون. بليدة قديمة كانت على نهر الميماس، وهذا النهر هواليوم المعروف بالعاصى

انظر المزيد فى: معجم البلدان ٣/ ٤٣.

(٢) هو عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله الجهنى أبو محمد نجم الدين المعروف بابن البارزى قاضى حماة وابن قاضيها وأبو قاضيها ولد بها سنة ٦٠٨هـ / ١٢١١م وتوفى فى طريقه إلى الحج بقرب المدينة سنة ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م فحمل إليها ودفن فى البقيع، صنف فى كثير من العلوم.

انظر المزيد فى: النجوم الزاهرة ٧/ ٣٦٢، شذرات الذهب ٥/ ٣٨٢، فوات الوفيات ١/ ٢٦٦.

(٣) هو على بن الحسين بن على بن أبى طالب أبو الحسين وأبوالحسن أو أبو محمد وأبو عبد الله المدنى زين العابدين قال الزهرى: ما رأيت قرشياً أفضل منه ولا أفقه وقال مالك: كان من أهل الفضل. وقال ابن المسيب: ما رأيت أورع منه. ثقة مات ٩٢هـ وقيل ٩٥هـ وقيل أيضاً ١٠٠هـ . =

نفيسة[1] بالقرب من حماه على يد إبراهيم القيشاني أحد الأمراء بحلب. ثم ركب بقية يومه وهو السبت ثامنه وتوجه إلى حمص وتلقاه الأمير جاني بك الإينالي قلقسز نائب الشام وامراء الشام وأكابرها بالطريق ووصل إلى حمص ليلة الأحد تاسعه وأحضر بين [ق ٤٦ب] يديه إقامة نائب الشام وأقام بحمص يوم الأحد عاشره وحمص بلد هواه طيب وبه مقام سيدى خالد بن الوليد[1] رضى الله عنه.

ثم ارتحل من حمص في يوم الأثنين الحادى عشر من شهر شعبان المذكور بعد أن ألبس الأمير أزدمر نائب طرابلس تشريفاً شريفاً وأذن له في التوجه إلى [ق ٤٧أ] طرابلس واستقر جاني بك الفقية حاجباً ثانياً بها عوضاً عن آقباى الخططى واستمر بقية يومه إلى أن وصل ركابه الشريف إلى جَسْيًا وهى قرية وقف منجك له بها خان ثم توجه منها يوم الثلاثاء الثاني عشر من شهر تاريخه إلى النبك بعد قازا وهى قرية صغيرة بها بعض أشجار [ق ٤٧ب] ونهر وبها طيب وحضرت فيه إقامة من المقر السيفي يشبك أمير دوادار كبير مثل الإقامة التي جهزها أولاً وإقامة من عند الأبواب الشريفة.. والد المملوك أصبح مقيماً بها يوم الأربعاء وليلة الخميس رابع عشرة إلى أن صلى الصبح وتوجه منها إلى أن نزل بالعطيفة [ق ٤٨أ] وهى قرية وقف البيمارستان بدمشق ثم ارتحل منها يوم الجمعة خامس عشرة إلى أن وصل القصير[2] وهى بقرب من دمشق ببريد ونصف

= انظر المزيد في: تذكرة الحفاظ ١/ ٧٤، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٠٤، خلاصة تذهيب الكمال ٢٣١، شذرات الذهب ١/ ١٠٤، طبقات ابن سعد ٥/ ١٥٦، طبقات الفقهاء ٦٣، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٥٣٤، العبر ١/ ١١١، النجوم الزاهرة ١/ ٢٢٦، وفيات الأعيان ١/ ٣٢٠.

(٤) هى نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبى طالب صاحبة المشهد المعروف بمصر، تقية صالحة عالمة بالتفسير والحديث، ولدت بمكة سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م ونشأت في المدينة وتزوجت إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق وانتقلت إلى القاهرة فتوفيت فيها سنة ٢٠٨هـ / ٨٢٤م حجت ثلاثين حجة وكانت تحفظ القرآن وسمع عليها الإمام الشافعي ولما مات أدخلت جنازته إلى دارها وصلت عليه. وكان العلماء يزورونها ويأخذون عنها، وهى أمية ولكنها سمعت كثيراً من الحديث وللمصريين اعتقاد عظيم.

انظر المزيد في: فوات الوفيات ٢/ ٣١٠، وفيات الأعيان ٢/ ١٦٩، الدر المنثور ٥٢١.

(١) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى القرشي سيف الله الفاتح الكبير الصحابى كان من أشراف قريش في الجاهلية. مات سنة ٢١هـ / ٦٤٢م يلى أعنة الخيل، وشهد مع مشركيهم حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية وأسلم قبل فتح مكة هو وعمرو بن العاص سنة ٧هـ.

انظر المزيد في: الإصابة ١/ ٤١٣، الاستيعاب ٤٠٥، تهذيب ابن عساكر ٥/ ٩٢ – ١١٤، صفة الصفوة ١/ ٢٦٨، تاريخ الخميس ٢/ ٢٤٧، ذيل المذيل ٤٣.

(٢) بلفظ تصغير قصر في عدة مواضع =

ثم ركب بعد العشاء ليلة السبت سادس عشرة إلى أن وصل إلى قلعة دمشق المحروسة آخر الليل في المحفة وكنا والمسلمون في غاية الوجل بسبب ذلك [ق ٤٨ب] وأنشد لسان الحال يقول:

وكم قلت لما أن توعك جسم من جدرى
يكاد أن يسك مستلقى،
لو أن روحى فى يدى ووهبتها
لمبشرى بشفائه لم انصف

وصرنا متوسلين إلى الله تعالى بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالسادة الأولياء فى حصول [ق ٤٩أ] العافية وحصل لنا البشارة بعافيته من السادة الفقراء كالشيخ على الدقاق والشيخ على المجذوب وسئل الشيخ العارف بالله تعالى على الصناديقى نفع الله تعالى به عن أمره وطلبنا له منه الدعاء فقال: ما يحصل الأخير إن شاء الله تعالى وكما حضر طيبا يعود طيبا فأن السادة الأولياء [ق ٤٩ب] اجتمعوا مع القطب وتكلموا فى أمره واطرقوا ساعة ثم رفعوا رؤوسهم وقالوا له الفاتحة واسألوا الله له العافية واكتبوا له حرزاً فإن نحن نظرنا فيمن يصلح للولاية على المسلمين فلم نجد فى جماعته مثله ولقد ذكرت ذلك بين أياديه الشريفة نصره الله تعالى [ق ٥٠أ] فأخبر أدام الله تعالى أيامه الشريفة بأنه رأى فى منامه مثل ذلك أو ما يقرب منه فاستدللنا على صدق الشيخ على بما أخبر به مولانا المقام الشريف نصره الله تعالى، وهذه العناية الربانية مازالت مساعدة له على الدوام بحق النبى صلى الله عليه وسلم.

ثم رسم نصره الله تعالى [ق٥٠ب] للحاج أحمد بن طفيش الذى حضر إلى حماه بالتوجة إلى القاهرة المحروسة بعد أن شملته الصدقات الشريفة بالإنعام الزائد، وتوجه ابن طفيش من دمشق بعد إقامة الركاب الشريف بها أربعة أيام.

ثم استمر مولانا المقام الشريف نصره الله تعالى مقيماً بالقلعة المنثورة [ق ٥١أ] إلى أن أكل المصلوق فى يوم السبت الثالث والعشرين منه، وجهز مولانا المقام الشريف نصره الله تعالى إلى إسحاق باشاه ورفيقه الواصلين من مملكة الروم من جماعة المقر الناصرى ابن عثمان صاحب مملكة الروم مبلغ ألف دينار وثلاثمائة رأس من الغنم ومائتى أردب شعير

= انظر المزيد فى: معجم البلدان ٤/ ٣٦٧.

وأربعمائة [ق٥١ب] قنطار بقسماط ومائتى طائر من الدجاج وخمسين طائراً من الأوز البلدى وعشرة قناطير سكر وعشرة قناطير حب رمان وخمسة عشر قنطاراً من الدبس وخمسة عشر أردبا من الأرز المبيض إنعاماً عليهم عند حضورهم لقصد التوجه إلى الحجاز الشريف، واستمر في زيادة العافية وجلس صبيحة يوم [ق٥٢أ] الأحد الرابع والعشرين منه وبعثت علامته الشريفة على المراسيم الشريفة المرسوم بكتابتها إلى مصر بعافية مولانا المقام الشريف وخلقت بالزعفران وجهزت على يد السيفى بردى بك من سيدى أخى المقدم فى ليلة الأربعاء السابع والعشرين منه للديار المصرية وصحبه [ق ٥٢ب] قرا غلى الشمسى بن الضوا وجهزت مراسم شريفة للممالك الحلبية وغيرها بمعنى ذلك وشملت الصدقات الشريفة الأمير قانصوه الشريفى الألفى بأمرية عشرة بالديار المصرية والسيفى بردى بك من سيدى المذكور قبله باستقراره ساقى خاص عن الأمير قانصوه المذكور لأنهما [ق ٥٣أ] كانا ملازمين للخدمة الشريفة فى حالة التوعك ثم فى يوم الأربعاء المبارك المذكور جهز للزينى إسحاق باشاة رفيقه العثمانيين المذكورين إنعاماً وهوتفاصيل سكتدرى خمسين واحدة

ودبابيس يزدغانى عشرة واطبار كفت مذهبة عشرة وأسنة رماح عشرة ولبوس كفت [ق ٥٣ب] ثلاثة واتراس سبعة وقسى بندق عشرة ورماح قنا خمسين وشاشات مشتولى عال عشرة وسكر نبات حموى عشرة مجامع ومرطبان زنجبيل مربى ومرطبان كابلى مربى، وأرسل إليهم بعد ذلك هجن مراكيب وشعاره وقماش هجن وغير ذلك ثم جلس يوم الخميس المبارك [ق٥٤أ] الثامن والعشرين من شهر شعبان المبارك بالإيوان بقلعة دمشق المحروسة وعمل سماطاً عظيماً وحضر إليه الأمير جانى بك نائب الشام والأمير بردى بك نائب صفد والأمراء الشاميون والمصريون والمباشرون وحضر إسحاق باشاة وجماعة الأروام إلى بين اياديه الشريفة وأكلوا [ق ٥٤ب] السماط وشربوا المشروب على العادة وألبسهم تشاريف شريفة وقدموا تقادميهم وهى طواشى أبيض وتسعة مماليك وأربع قطر جمال نجاتى وقطاران بغال وسبعة وأربعون قطعة فضة أنية وقماش مخمل ومسح وكمخا وسمور ووشق وفخذ وشق وغير ذلك.

ثم فى يوم [ق ٥٥أ] الجمعة المبارك سلخه ركب بعد صلاة الجمعة من القلعة وتوجه إلى الميدان بدمشق وعمل سماطاً عظيماً ومشروباً كثيراً فى احواض، واجتمع الأمراء ونائب

الشام ونائب صفد وجماعة الناصرى بن عثمان صاحب الروم وأكلوا السماط وشربوا المشروب وحصل لجماعة [ق ٥٥ب] المقر الناصرى بن عثمان من الإنصاف والإحسان ما لا يستطيع ضبطه ووصى عليهم وعلى جماعتهم أمير الحجاج وحكام دمشق وترسم بألا يعارضوا فى الجمالة والغلمان الذين يستخدمونهم ولسان الحال يقول وينطق بحقيقة الحال كما قال الشاعر: [ق ٥٦أ]

ومن يقترب منا ويخضع نووه

ولا يخشى ظلما ما أقام ولا هضما

ثم ركب مولانا المقام الشريف نصره الله تعالى فى بقية يومه من الميدان وعاد إلى القلعة وابتهج أهل الشام والمسلمون أجمعون لعافيته وكان يوماً مشهوداً وموكباً عظيماً ولله الحمد وإنشاء [ق ٥٦ب] لسان الحال يقول

شكراً لرب السماء على جزيل العطا

فقد سررت بيوم قد نلت فيه مناى

وحضر السيفى نوروز أخو الأمير الدوادار الكبير بإقامة من عند المقر الأشرف السيفى يشبك أمير دوادار كبير أعز الله تعالى نصرته فى أول شهر رمضان واستقر [ق ٥٧أ] القاضى صلاح الدين بن العدوى فى نظر القلعة والأسوار ووكالة المقام الشريف عن القاضى شهاب الدين بن النابلسى[1].

فى يوم الخميس الخامس من شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة واستقر إسماعيل الحنفى فى وظائف القاضى علاء الدين ابن قاضى [ق ٥٧ب] عجلون القاضى الحنفى فى تاريخه واستقر جمال الدين دوادار نائب الشام فى أستاداريه الأغوار عوضاً عن الأمير إقبردى وفيه أفرج عن جماعة ابن النابلسى الذين كانوا بالسجن وخط ما قرر عليهم للخزائن الشريفة شرفها الله تعالى وعظمها بشفاعة الشيخ على [ق٥٨أ] الدقاق.

---

(١) هو يوسف بن الحسن بدر بن الحسن بن المفرج بن بكار أبو المظفر عالم بالحديث من الشافعية. ولد سنة ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م ومات سنة ٦٧١هـ/ ١٢٧١م

انظر المزيد فى: الوفيات ٢/ ٣٥٠، الجواهر المضية ٢/ ٢٢٦، بغية الوعاة٤٢١، مرآة الجنان ٢/ ٤٢٩

ثم رسم بإبطال التحكير بالخانات والمكوس على الخطب والتين وغيره فى يوم الجمعة المبارك سادسه واجهز النداء بذلك بدمشق بالجامع الأموى ونقش به رخامة وفيه وصل الخبر بوفاة القاضى زين الدين عبد الرحمن ناظر الجيوش المنصورة بغزة المحروسة وحصل [ق ٥٨ب] الأسف عليه، وتوجه فيه قانصوه أمير كبير غزة إلى غزة المحروسة.

ثم فى يوم الأحد المبارك ثامنه استقر القاضى شرف الدين بن عيد فى قضاء السادة الحنفية بدمشق المحروسة عن القاضى علاء الدين ابن قاضى عجلون المتوفى قبل تاريخه وفيه استقر القاضى الشريف [ق ٥٩أ] موفق الدين عبد الرحمن العباسى الحموى فى نظر الجيوش المنصورة بدمشق المحروسة عن القاضى شهاب الدين النابلسى وفيه استقر إبراهيم بن المرحوم القاضى زين الدين ناظر الجيوش المنصورة بغزة المحروسة عن والده فتوجهت الأثقال الشريفة وغالب الخيول الشريفة [ق ٥٩ب] فى يوم تاريخه وهو الأحد ثامنه من دمشق المحروسة صحبة الخواجا شمس الدين محمد بن الضوا والقاضى علم الدين يحيى بن البقرى ناظر الاسطبلات الشريفة والأمير الماس استادارد الصحبة الشريفة والزينى سفيل الخازن والزينى أمير حاج بن علم الدين من درب[ق ٦٠أ] حوران.

ثم توجه ركابه الشريف نصره الله تعالى من دمشق المحروسة يوم الثلاثاء المبارك عاشر شهر رمضان بعد أن أقام بها من ليلة سادس عشر شهر شعبان وإلى تاريخه راكباً ظهر فرسه الشريف وفى خدمته الأمير نائب الشام وامراؤها وظهر منها سالكا [ق ٦٠ب] باب الفرج إلى أن وصل إلى ظاهر دمشق ألبس الأمير جانى بك الأينالى قلقسز نائب الشام والأمير شاد بك الجلبانى أتابك العساكر المنصورة والأمير يلباى المؤيدى الدوادار بها والأمير يشبك الشرفى يونس العلائى حاجب الحجاب بها وعلى بن شاهين نائب [ق ٦١أ] القلعة بها تشاريف شريفة ورسم لهم بالعود ورسم للسيفى خشكلدى المحمدى الخازندار المتوجه قبل تاريخه بسبب ابن النابلسى بالعود إلى دمشق المحروسة إلى حين يرد عليه ما يرسم به.

ثم سار ركابه الشريف ومر بخان المربخ وهو [الطريق] الأول من دمشق المحروسة ونزل [ق ٦١ب] بسعسع وقت المغرب وكان بالطريق أوحال ومشاق وبات بها إلى صبيحة النهار يوم الأربعاء حادى عشر ورسم بعمارة خان بها وبرز مرسومه الشريف للخواجا شمس الدين بن الزمن والصارمى سيدى إبراهيم بن منجك بالعود وبالإفراج عن

القاضي نجم الدين بن قاضي القضاة [ق ٦٢أ] قطب الدين الخيضرى وإطلاقه من البرج بقلعة دمشق المحروسة ورسم للقاضي قطب الدين والده بالتوجه للقاهرة في الركاب الشريف وان ولده يلحقه للقاهرة بعد ذلك، وتوجه ركابه الشريف نصره الله تعالى في يومه من على حرفا من أحجار ووعز وجل [ق ٦٢ب] ومخايض إلى أن وصل إلى القنيطرة آخر النهار وبات بها وحضر فيها إقامة من الأمير بردى بك نائب صفد ووصل إبراهيم بن القربد الضيرفي بالمفرد كان بإقامة من المقر التاجي ناظر الخواص الشريفة ووصل شهاب الدين ناظر دمياط وابن شهاب [ق ٦٣أ] توجه منها بكرة النهار يوم الخميس المبارك ثاني عشر من وعر وأحجار واوحال وحدرات ومشقات كثيرة إلى أن وصل إلى جسر سيدنا يعقوب صلوات الله تعالى وسلامه عليه ونزل به بحافة النهر الواصل بين بركه قدس وعمل الأمير بردى بك [ق ٦٣ب] سماطاً عظيماً وبين هذه المحطة والشام ستة برد وهي المربخ وسعسع والارينبة والقنيطرة ونعرات وجسر يعقوب.

ثم ركب صبيحة الجمعة المبارك ثالث عشرة وطلع هو ومن في خدمته إلى صفد ورسم بتجهيز الثقل إلى المنية وصفد بلد بأعلى الجبل بها قلعة عظيمة [ق ٦٤أ] بأعلى العلو بها وهي بلدة صغيرة ونائبها الآن الجناب السيفي بردى بك السيفي جرياش قريب مولانا المقام الشريف أعز الله تعالى أنصاره ونائب القلعة بها بهادر الظاهرى وأمير كبير بها فرج بن مقبل وحاجب الحجاب بها محمود بن الدوادار وبها قضاة وكانت سرويها رجل مجذوب عظيم على خدامه [ق ٦٤ب] بنفقة وطريق صفد مشهور جداً بأوعاره واوحاله وما فيه من صعود وهبوط ويقال على ألسنة العامة

يا صاح عرج ركابك عن صفد
فإنها بئيس البلد
إن طلعت إلى السهام
وإن نزلت إلى الأبد

وجرب ذلك وصح بزيادة ونايبها [ق٦٥أ] الأمير بردى بك مشكور السيرة إنسان جيد، ولقد حصل اللطف بعدم حصول المطر وتوجه منها بكرة النهار يوم الأحد خامس

عشرة إلى أن وصل إلى اللجون(١) وبات بها وألبس الأمير بردى بك نائب صفد كاملية محمل أحمر مفراه سمور وفوقانى عريحة [ق ٦٥ب] وأركبه فرساً بسرج وكنقوش وألبس الأمير الكبير والحاجب بصفد وابن الكابولى وابن بشارة مقدمى البلاد تشاريف شريفة ورسم لهم بالتوجه.

توجه منها ليلة يوم الأثنين سادس عشرة والباقى إلى الصبح ثمانون درجة إلى أن نزل بلقاقون(١) وقت الضحى وكان بالطريق [ق٦٦أ] أوحال ومخابض وحضر فيه بدر العلاى ابن خاض بك بما على يده من الإقامة المحضرةمن مخدومه وحضر ساعى بكتاب الأمير الخازندار برسباى.

ثم حصل بها مطر ونام إلى باكر النهار. ثم فى ليلة سابع عشرة حضر قراغلى قاصد الخواجا بن الضوا الذى توجه مع السيفى بردى بك [ق ٦٦ب] من سيدى بالبشارة بعافية المقام الشريف نصره الله تعالى ومعه كتب تاريخها الرابع عشر من شهر رمضان وفيها أنهم صاموا بالقاهرة يوم السبت، وكانت مدة سفره من القاهرة إلى قاقون ثلاثة أيام وأربع ليال وأخبر بما وقع للمسلمين من الفرح والسرور [ق ٦٧أ] بعافية مولانا السلطان نصره الله تعالى وإن يوم قدومه كان يوماً مشهوداً. ورحل ركابه الشريف إلى جلجوليه يوم الثلاثاء ثامن عشرة وكان بالطريق أوحال وأمطار واستمرت الأمطار غالب النهار، وحضر بها الأمير سيباى نائب غزة وابن أيوب نائب القدس الشريف وتقدمه [ق٦٧ب] ابن الخيوشى ثم توجه ركابه الشريف منها إلى الرملة يوم الأربعاء تاسع عشرة وكان بالطريق أوحال وأمطار عظيمة متخللة، وحضر فيه السيفى بردى بك من سيدى الذى توجه بالبشارة ثم توجه منها نصره الله يوم الخميس العشرين منه ونزل إلى [ق ٦٨أ] سدود وكان يوماً شاتياً شديد المطر والهواء. ثم أرتحل منها يوم الجمعة الحادى والعشرين منه من على الساحل على عسقلان إلى غزة المحروسة وكان يوماً كبير المطر والدرب فى غاية الوحل.

---

(١) بفتح أوله وضم ثانيه وتشديده وسكون الواو وآخره، واللجن واللزج واحد، وهو بلد بالأردن انظر المزيد فى: معجم البلدان ٥/ ١٣ —١٤.

(١) بعد القاف الثانية واو ساكنة ونون، حصن بفلسطين قرب الرملة وقيل من عمل قيسارية من ساحل الشام.
انظر المزيد فى : معجم البلدان ٤ / ٢٩٩.

ثم أقام يوم السبت بغزة المحروسة وألبس ابن أيوب نائب القدس الشريف [ق ٦٨ب] والناصرى محمد الظاهرى النشاشيبى ناظر الحرمين الشريفين ومرزا نائب السليط وعجلون تشاريف شريفة وأمرهم بالعود إلى بلادهم.

ثم أقام بها نصره الله تعالى يوم الأحد واستقر جرقطلوا السيفى اركماس الظاهرى والشرفى يونس فى نيابة القدس الشريف وفى نيابة [ق ٦٩أ] الكرك عوضاً عن يونس النائب بها واستقر يونس المذكور أمير ميسرة بحلب.

ثم رسم للسيفى نوروزاجى المقر الأشرف يشبك أمير دوادار كبير اعز الله تعالى أنصاره بالتوجه إلى القاهرة مبشراً بالقدوم وللسيفى أسن بيه من ولى الدين بالتوجه إلى نابلس وفيه [ق ٦٩ب] حضر محمد بن نائب بهسنا ثم عاد لاحضار ما على المشايخ من المال، وفيه حضرت تقادم نائب غزة ومن معه.

ثم توجه منها نصره الله تعالى يوم الاثنين الثالث والعشرين منه ورسم للخواجا محمد ابن الضوا بالعود إلى محل إقامته بحلب وألبس هو وولده عثمان بشريفين [ق ٧٠أ] وركبا فرسين مسرجين بسروج ذهب وشملهما الفضل الشريف شرفه الله تعالى وعظمه هما وجماعتهما وعاد الأمير جانى بك العلاى الطويل ومن كان صحبته من أمراء الشام إلى محل إقامتهم وكذلك نائب القدس وناظر الحرمين ونائب الكرك ووصل ركابه الشريف [ق ٧٠ب] فى بقية يومه إلى خان يونس وكان يوماً ماطراً شاتياً وقدم إليه الأمير سيباى نائب غزة السماط على العادة.

ثم أصبح فى خبر نصره الله تعالى يوم الثلاثاء الرابع والعشرين منه ألبس الأمير سيباى نائب غزة تشريفاً شريفاً ورسم له بالعود. ثم وصل بقية يومه إلى الزعقة، وكان يوماً كثير الهواء والأمطار وكذلك ليلته.

ثم توجه منها إلى العريش في يوم الأربعاء الخامس والعشرين منه، وكان يوماً هاوياً ماطراً لكنه أخف مما قبله.

ثـم بات به وارتحل منه فى يوم الخميس السادس والعشرين منه [ق ٧١ب] بلا مطر ورسم فـيه لـبدر العلاى بن خاص بك بالعود، وحضر فيه دمرادش السيفى تغرى بردى نائب قطيا وانشحت العليق لبطوء الجمال بحضوره.

ثـم توجه منها ليلاودخل قطيا المحروسة يوم الجمعة السابع والعشرين منه وحضرت فـيه إقامـة المقـر الأشرف السيفى أمير [ق ٧٢أ] دوادار كبير صحبة مملوكه قراكرو المقدم على الشقيفانى وحضر أحمد بن طفيش وأخوه وولده وابن الطحاوية.

ثم توجه منها فى ليلة السبت الثامن والعشرين منه ليلاً إلى أن مر بالغرابى ونزل عند السبيل والـبير والمكـان المعـروف بالمقـر الأشـرف السـيفى أمير دوادار كبير أعز الله تعالى [ق٧٢ب] أنصـاره ووجدنـا المكـان غـير ما كان لأنه زيدت فيه محاسن وعمر فيه مسجد وايوان وخان مضافاً لما كان فيه. وحضرت جماعة الخولة والعايد وغيرهم.

ثـم ركـب منها بقية يومـه إلى أن وصـل إلى العاقولـة بعد المغرب ليلة الأحد التاسع والعشـرين مـنه. ثـم ركـب والـباقى للشـمس قريب التسعين [ق ٧٣] درجة إلى أن صلى الصـبح بالصـالحية وحضر فيه مولانا قاضى القضاه الشافعى الولوى الأسيوطى(١) نفع الله بـبركته ومعه جماعته والشيخ محب الدين الشاذلى الإمام والشيخ سليمان الخليفتى المقرى والسـيفى عـلى باى كاشف الشرقية وعمر بن ايتمش خولى الأغنام الشريفة ولم يحضر من الأكابـر [ق ٧٣ب] وغيرهـم أحـد لأنـه بـرز مرسـومة الشـريف بـأن أحداً من العسكر لا يحضـر لـلملاقاه دون العكرشـة فمـا وسـع الناس إلا الامتثال. ثم صلى العيد بها فى يوم الاثـنين المـبارك مسـتهل شـهر شـوال بجامعـه الـذى أنشأه بالصالحية وخطب به مولانا قاضـى القضـاه الشـافعى الولوى الأسيوطى المشار إليه [ق ٧٤أ] حضر ركابه الشريف إلى المخيم وأكل السماط وركب إلى أن وصل إلى بلبيس قبل العشاء ليلة الثلاثاء ثانية.

ثـم ركـب قـبل الصـبح واسـتمر إلى أن دخـل العكرشـة وتلقاه الأمراء والقضاة والأكابر وغالـب الـناس ونـزل بمخيم المقر الأشرف الأتابكى السيفى أزبك من ططخ اعز الله تعالى [ق ٧٤ب] نصرته وأكل سماطه الذى عمله له.

ثم ركب بعد صلاة الصبح يوم الأربعاء إلى أن وصل إلى القبة التى أنشأها المقر الأشرف السـيفى أمـير دوادار كـبير أعـزالله تعالى نصرته بين المطرية والريدانية، واستمر بها بقية

---

(١) ورد ذكره وترجمة فى الضوء اللامع.

يومه وليلته ثم أصبح يوم الخميس المبارك رابعه صلى الصبح وركب [ق ٧٥أ] من القبة المذكورة فى موكب عظيم إلى الغاية مشهور مشاهد مستغن عن الوصف وطلع إلى القلعة فى خير وعافية وسلامة وألبس الأمراء مقدمى الألوف والأمراء والمباشرين الذين كانوا مسافرين فى خدمته وجماعة من المقيمين بالقاهرة من الأربعينيات وأرباب الوظائف تشاريف شريفة وكان [ق ٧٥ب] يوماً مشهوداً وابتهج الناس الخاص والعام بقدومه ولله الحمد على هذه النعمة العظيمة التى مَنَّ الله على المسلمين بها عموما وعلى العبيد بها خصوصاً بعافية مولانا المقام الشريف وحضوره كرسى مملكته سالماً غانماً وهذا ما انتهى إليه الضبط مع التقصير والمسئول الصفح عما وقع من الخطأ والزلل فإن من عادة [ق ٧٦ أ] السادات أن يسبلوا ذيل فتوتهم على عبيدهم ويستروهم فإن عيد القوم منهم وليس له عنهم براح ولسان حال يقول:

غـيرى بحـبل سـواكم يتمسـك

وأنـا الـذى بترابكـم اتمسـك

أضـع الخـدود عـلى ممـر نعـالكم

فكأنـنى بترابهـا اتـبرك [ق ٧٦ب]

نختم هذا الكتاب بذكر ما وقع للملك الظاهر بيبرس من انفراده من عسكره وحضوره للقاهرة وعوده للفرق بين ما وقع له وما وقع لمولانا المقام الشريف الملك الأشرف صاحب هذه الترجمة نصره الله تعالى وأن ذلك كان مقدراً مزخراً فى علم الله تعالى [ق ٧٧أ] وقد قال العلماء إذا كان الفضل مواهب فكم ترك الأول للآخر لاسيما إذا كانت الأمور منحا إلهية ومواهب اختصاصه فليس بمستبعد أن الله سبحانه وتعالى يدخر لبعض المتأخرين ما لم يحصل لكثير من المتقدمين وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

إن الذى وقع للملك الظاهر بيبرس أنه فى يوم الخميس التاسع من شهر صفر سنة سبع وستين وستمائة جلس بالايوان من قلعة الجبل وأحضر القضاة والشهود والأعيان وأمر بتحليف الأمراء ومقدمى الحلقة لولده الملك السعيد بركة خان فحلفوا ثم ركب الملك السعيد بركة [ق ٧٨أ] يوم الاثنين العشرين من الشهر بأبهة السلطنة فى القلعة ومشى والده أمامه وكتب له تقليداً وقرأ على الناس بحضوره والده الملك الظاهر وسائر أرباب

الدولـة ثـم في يوم السبت ثالث شهر جمادى الآخرة خرج الملك الظاهرمن القاهرة وتوجه إلى الشام ومعه الأمراء بأسرهم واستناب [ق ٧٨ب] بالديار المصرية فى خدمة ولده الأمير بدر الدين بيليك الخازندار.

وفـى هـذا الـتاريخ علم الملك السعيد على التواقيع وغيرها ووصل الظاهر بيبرس المشار إلـيه إلى الشـام فحضـر إليه كتب التتار ورسلهم فأنزلهم بالقلعة وأحضرهم من الغد وأدوا رسـالة مخدومهـم ومضـمونها أن [ق ٧٩أ] الملـك ابغا بن هولاكو لما خرج من الشرق ملك جميع البلاد ومن خالفه قتل وأنت يعنى الملك الظاهر لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض مـا تخلـص مـنا والمصلحة أن تجعل بيننا وبينك صلحاً وأنت مملوك، وابعت في سـيواس فكـيف تشـاقق ملـوك الأرض وأننا ملوكها [ق ٧٩ب] فأجابه من وقته بأنه في طلـب ما استولوا عليه من العراق والجزيرة والروم والشام وسفرهم إليه بسرعة ثم فى آخر شـهر رجـب خـرج الملـك الظاهر من دمشق ونزل خربة اللصوص فأقام بها أياماً ثم ركب لـيلة الأثـنين ثـامن عشـر شـهر شـعبان ولم يشـعر به أحد فتوجه إلى القاهرة على البريد [ق ٨٠أ] بعد أن عرَّف الفارقانى أنه يغيب أياماً معلومة وقرر معه أنه يحضر الأطباء كل يـوم ويستوصـف منهم ما يعالج به متوعكاً يشكو تغير مزاجه ليوهم الناس أن الملك الظاهر هـو المـتوعك وكـان يدخـل بمـا يصفونه إلى الخيمة ليتوهم العسكر صحة ذلك وسار الملك الظاهر حتى وصل قلعة الجبل وأقام [ق ٨٠ب] بالقاهرة أربعة أيام ثم توجه ليلة الأثنين خامس عشرين الشهر على البريد ووصل إلى العسكر يوم تاسع عشرين الشـهر وكان غرضـه بهذا السفر كشف احوال ولده الملك السعيد وغير ذلك.

وهذا خلاصة ما ذكره المؤرخون والله أعلم. ثم تأمل الناظر فى ترجمة [ق ٨١أ] مولانا المقـام الشـريف الملك الأشرف نصره الله تعالى وما وقع له فى هذه السفرة الشريفة ثم فيما وقـع لـلملك الظاهر بيبرس رحمه الله تعالى ظهر له أن ما وقع لمولانا المقام الشريف نصره الله تعـالى أعظـم موقعـاً وأشـد ضـخامة وأعلى شهامة لأن مولانا المقام الشريف نصره الله تعالى [ق ٨١ب].

ثـم توجـه وهـو عـلى تخت مملكته ظاهراً فى فئة قليلة وهو فى غاية الأبهة والإعظام والطاعة والخوف من بطشته وإطاعة أهل البلاد وخدمته الملوك والأمراء من الديار المصرية وإلى بحـر الفـرات ذهابـاً وإياباً وأخلى من سمع بقدوم مولانا المقام الشريف إلى [ق ٨٢أ]

مملكته من كان قريباً منها من أهل مملكتي العراق والروم مسافة عشرة أيام هيبة لقدومه وكون أن أهل مملكته والقاطنين في بلده من الأمراء والمماليك والجند والعرب والعجم على أعظم نظام في غاية الخضوع على قدم الطاعة له كبيراً وصغيراً وجليلاً وحقيراً ثم [ق ٨٢ب] وعك بدنه بحماة عند العود واستمر موعوكاً، كثر الدعاء له من العام والخاص والرجال والنساء والأطفال والعيال بالعافية ولم يختل النظام وحصل لكل المسلمين بعوده سالماً من الفرح والسرور ما لا مزيد عليه ولأن واقعة الظاهر بيبرس تشعر بخوفه على مملكته فإنه لم [ق ٨٣أ] يسافر حتى أقام ولده في المملكة وإنه لما عادمن الشام للكشف عن أحوال ولده عاد خفية وذلك دليل على عدم طمأنينته في نفسه لسفره خفية وأنه لم تطمئن نفسه على ولده الذى استنابه حتى جاء للكشف عن أحواله وفي ذلك مزيد بيان لمن يتأمله والله تعالى أعلم.

[ق ٨٣ب] ونسأل الله أن يديم أيام مولانا المقام الشريف الملك الأشرف للمسلمين عامة وللملوك خاصة وأن ينصره ويختم أعماله بالصالحات ويبقيه البقاء الجميل بقيت بقاء الدهر يا كهف ملكه وهذا دعاء للبرية شامل [ق ٨٤أ]

يا من إذا ما دعونا بالبقاء له
كنا لأنفسنا ندعو ونبتهل
أمين أمين لا أرضى بواحدة
حتى أضيف إليها ألفى ألف أمينا

تم الكتاب المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه على يد العبد الفقير الحقير الراجي [ق ٨٤ب] الشافعي مذهباً غفر الله ولوالديه ولمن كتبت بينه ولجميع المسلمين والحمد لله وحده وصلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل*

---

* هذا آخر المخطوطة

كتاب

تاريخ الملك الأشرف قايتباى

لمجهول

تقديم وتحقيق وتعليق
الدكتور محمد زينهم محمد عزب

[ق ٢أ]

بسم الله الرحمن الرحيم

* مقدمة المؤلف *[*]

الحمد لله العظيم شأنه، القوى سلطانه، القاهر قدرته الباهر حكمته، له الملك وله الحمد، وهوعلى كل شئ قدير، يحيى ويميت وإليه المصير، أحمده وهو بالحمدجدير، وأشكره فهو نعم المولى ونعم النصير، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله السراج المنير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ذوى الجد والتشهير، وبعد:

فلما كان العدل من مهمات الدين، والمتحلى به من المتقين، وورعه فى فضله والحث عليه آيات شريفات، واحاديث كريمات، احببت أن صدرت هذا الكتاب بإيراد شئ مما يبعث عليه، ويحض الناظر فيه على الإسراع إليه.

---

* العنوان من عندنا.

[ق٢ب]

قال الله تعالى فى كتابه العزيز ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩) ﴾ [المائدة آية: ٨ - ٩].

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام آية: ١٥٢].

وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل آية: ٩٠].

وقال تعالى ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة آية: ٤٢]. المقسط العادل.

وقال رسول الله ﷺ : **((سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادةربه عز وجل، ورجل قلبه معلق فى المساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل [ق٣أ] ذكر الله خالياً ففاضت عيناه))** [١]رواه البخارى[٢]ومسلم[٣]من حديث أبى هريرة[٤] رضى الله عنه

---

(١) متفق عليه كذلك ذكره الترمذى وابن ماجه والنسائى.

(٢) هو البخارى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفى مولاهم الحافظ العالم "صاحب الصحيح" وإمام هذا الشأن والمعول على صحيحه فى أقطار البلدان. روى عن الإمام أحمد وإبراهيم بن المنذر وابن المدينى وآدم بن أبى إياس وقتيبة وخلق. وعنه مسلم والترمذى وإبراهيم الحربى وابن أبى الدنيا وأبو حاتم والمحاملى والفربرى وخلق آخرهم وفاة ورواية للصحيح أبو طلحة منصور بن محمد النسفى. وقال بندار: حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالرى ومسلم بنيسابور والدارمى بسمرقند والبخارى ببخارى. وقال ابن عدى: كان ابن صاعد إذا ذكر البخارى يقول: الكبش النطاح والبخارى من المؤلفات " الجامع الصحيح" و " التاريخ الكبير" و " الأدب المفرد" و " القراءة خلف الإمام" ولد سنة ١٩٤هـ /: ومات سنة ٢٥٦هـ

انظر المزيد فى: البداية والنهاية ١١/ ٢٤، تاريخ بغداد ٢/ ٤، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٥، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٧، شذرات الذهب ٢/ ١٣٤، طبقات الحنابلة ١/ ٢٧١. =

وقـال رسول الله ﷺ : ((**إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وماولوا**)) رواه مسلم من رواية عمرو بن العاص[1] رضى الله عنه.

وقال رسول الله ﷺ : ((**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم، قال الراوى: قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم، قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة**)) رواه مسلم من رواية عوف بن مالك[2] رضى الله عنه ومعنى يصلون يدعون.

= (٣) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى أبو الحسن النيسابورى الإمام الحافظ صاحب الصحيح. روى عن قتيبة وعمرو الناقد وابن المثنى وابن يسار وأحمد ويحيى وإسحاق وغيرهم. وعنه الترمذى وأبو عوانه وابن صاعد وخلق. قال أحمد بن سلمة: رأيت أبازرعة وأبا حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج فى معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما. وقال ابن منده: سمعت أبا على النيسابورى يقول: ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم. وقال الماسرجسى: سمعت مسلم بن الحجاج يقول: صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة مات سنة ٢٦١هـ.

انظر المزيد فى: تاريخ بغداد ٣/ ١٠٠، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨٨، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٨٩، خلاصة تذهيب الكمال ٣٢٠، الرسالة المستطرفة ١١، شذرات الذهب ٢/ ١٤٤، العبر ٢/ ٢٣، وفيات الأعيان ٢/ ٩١.

(٤) هو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسى اليمانى حفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم الكثير وعن أبى بكر وعمر وأبى بن كعب. وعنه سعيد بن المسيب وبشير بن نهيك وخلق كثير. وكان من أوعية العلم ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلاله والعبادة والتواضع، مات سنة ٥٨هـ

انظر المزيد فى: أسد الغابة ٦/ ٣١٨، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢، خلاصة تذهيب الكمال ٣٩٧، شذرات الذهب ١/ ٦٣، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٣٧٠، طبقات القراء للذهبى ١/ ٤٠، العبر ١/ ٦٢، النجوم الزاهرة ١/ ١٥١.

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمى القرشى أبو عبد الله فاتح مصر وأحد عظماء العرب ودهائهم وأولى الرأى والحزم والمكيدة فيهم كان فى الجاهلية من الأشداء على الإسلام وأسلم فى هدنة الحديبية وولاه النبى ﷺ إمرة جيش "ذات السلاسل" وأمده بأبى بكر وعمر ثم استعمله على عمان ثم كان من أمراء الجيوش فى الجهاد بالشام فى زمن عمر، وهو الذى افتتح قنسرين وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية وولاه عمر فلسطين ثم مصر فافتتحها ولد سنة ٥٠ق.هـ / ٥٧٤م ومات سنة ٤٣هـ / ٦٦٤م

انظر المزيد فى: الإصابة ٢/ ٥٠١، تاريخ الإسلام ٢/ ٢٣٥ — ٢٤٠، جمهرة أنساب العرب ١٥٤.

(٢) هو عوف بن مالك الأشجعى الغطفانى صحابى من الشجعان الرؤساء أول مشاهد خيبر، وكانت معه رأية " أشجع" يوم الفتح، نزل حمص وسكن دمشق، له ٦٧حديثاً، مات سنة ٧٣هـ / ٦٩٢م

انظر المزيد فى: الإصابة ت ٦١٠٣، خلاصة تذهيب الكمال ٢٥٣.

وقال رسول الله ﷺ : ((أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط موفق ورجل رحيم رقيق القلب، لكل ذى قربى ومسلم عفيف ذو عيال)) رواه مسلم من رواية عياض بن جماز[1] رضى الله عنه

وروى أبوهريرة يرفعه قال ((لعمل العادل فى رعيته أفضل من عبادة العابد فى أهله [ق ٣ب] مائة سنة أو خمسين سنة)).

وقال أنس بن سعد[2]: ((ليوم من إمام عادل خير من عبادة رجل ستين سنة. وقال مسروق[3]: لأن أقضى يوماً بالحق أحب إلىّ من أن اغزو سنة فى سبيل الله)) والأحاديث والآثار فى ذلك كثيرة وفيما ذكر كفاية وذكرى ولما أخذ مولانا بالسلطان الملك الأشرف أيده الله بنصره من ذلك بالحظ الأوفى والمحل الأسنى وانتشر عدله فى الآفاق، واشتهر ذكره بمكارم الأخلاق، واشتمل على الأوصاف الحميدة من جميل أوصافه السنية وأفعاله المرضية، وإن كان اللسان يقصر عن حصرها والقلم يكل عن ضبطها لتكون باعثة للناظر فيها على مزيد الدعاء له بطول البقاء والعلو والارتقاء بلغه الله تعالى من فضله كل أمله ووفقه لما يرضيه فى قوله وعلمه وأذكر بعد تمامها نبذة من أخبار من سبقه من الملوك من عهد الملك الناصر صلاح الدين بن يوسف بن أيوب[4] إلى حين وصول الملكة إلى مولانا

---

(١) هو عياض بن جماز بن أبى بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان سكن البصرة. روى عن النبى ﷺ. روى عنه مطرف ويزيد ابنا عبد الله بن الشخير والعلاء بن زياد والحسن البصرى وعقبة بن صهبان وغيرهم، ثقة.

انظر المزيد فى: تهذيب التهذيب ٨/ ٢٠٠.

(٢) ورد ذكره فى طبقات ابن سعد.

(٣) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمذانى الوادعى أبو عائشة تابعى ثقة من أهل اليمن، قدم المدينة فى أيام أبى بكر وسكن الكوفة وشهد حروب على، وكان أعلم بالفتيا من شريح، وشريح أبصر منه بالقضاء، مات سنة ٦٣هـ/ ٦٨٣م

انظر المزيد في: الإصابة ت ٨٤٠٨، تهذيب التهذيب ١/ ١٠٩.

(٤) هو يوسف بن أيوب بن شاذى أبو المظفر صلاح الدين الأيوبى، الملقب بالملك الناصر، من أشهر ملوك الإسلام، ولد سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م ومات سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م.

انظر المزيد فى: وفيات الأعيان ٢/ ٣٧٦، تاريخ الخميس ٢/ ٣٨٧، بدائع الزهور ١/ ٦٩، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٧٩ و ٥/ ٢٥٠ – ٣٣٠، الكامل فى التاريخ ١٢/ ٣٧، السلوك للمقريزى ١/ ٤١ – ١١٤، الإسلام والحضارة العربية ١/ ٢٨١ – ٢٩٠ و ٢/ ٢٨٩، طبقات السبكى ٤/ ٣٢٥، الدارس ٢/ ١٧٨ – ١٨٨، مرآة الزمان ٨/ ٤٢٥، مفرج الكروب ١٦٨/١، شذرات الذهب ٤/ ٢٩٨، الفاطميون فى مصر ٣٠٨.

المقام الشريف المشار إليه واختم ذلك [ق ٤أ] بأدعية شريفة عن النبى ﷺ مأثورة معروفة فى بابها مشهورة متوخياً فى ذلك الاختصار والاقلال فإن الاكثار داعية الملال والله سبحانه وتعالى اسأل أن يوفقنا فى القول والعمل وأن يجنبنا الخطايا والزلل وأن يسبل علينا ستر كرمه ويفيض علينا سوابغ كرمه.

حياة ونشأة قايتباى

فأما ترجمة مولانا السلطان المقام الشريف المشار إليه فهوسلطان الإسلام والمسلمين حامى حوزة الدين قاهر الخوارج والمتمردين مبيد الطغاة والمارقين قاتل الكفرة والمشركين الذى انتشر عدله فى البلاد شرقاً وغرباً وأظهر الله به الحق بعد وقربا المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى جدد الله له فى كل يوم نصراً وملكه بساط الأرض براً وبحراً ونشر جيوشه وأعوانه وادام ملكه وسلطانه.

فأما حاله قبل جلوسه على تخت الملك الشريف فمشهورة ومستغن عن التعريف، لكن نذكر منه طرفاً يسيراً ليكون باعثاً لمن وقف [ق ٤ ب] عليه الدعاء له كثيراً. وهو أنه أطال الله بقاءه وكبت أعداه من حين قدم إلى الديار المصرية، وأقام بها لم يزل معظماً مكرماً عند ملوكها وأمرائها مخالطاً للأماثل، مجانباً للأراذل والرذائل مستغلا بما هو بصدده من فنون الفروسية من لعب الرمح ورمى النشاب وغير ذلك مما هو إلى الحرب طريق وسبب من الأسباب، ومهر فى جميع ذلك مع جمال الصورة وكمال القامة وحسن العشرة حتى صار فى ذلك هو المرجوع إليه ،وصار من سبقه إلى ذلك عولة فيه عليه مع شهرته بالعفة والديانة والتقوى والصيانة أنوار السعادة عليه لائحة وأنواع السيادة منه ظاهرة طافحة ثم اعلا الله قدره وشهر ذكره فى سائر بلادالمسلمين، وصار ملجأ للقاصدين ومنهلاً عذباً للواردين، وكل من التجأ إلى بابه ولاذ بشريف جنابه يساعده فى ضرورته ويخلصه من شدته، ولم يتقاض على ذلك اجراً، بل جعل ذلك له عند الله ذخراً والله سبحانه وتعالى [ق ٥أ] يجزى المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين.

---

* العنوان من عندنا.

* تولى قايتباى السلطنة*

وأما حاله بعد تقليده أمور العباد والبلاد وجلوسه على تخت المملكة الشريفة الإصلاح ما ظهر من الفساد فأنه لما تفاقمت أمور الملكة وتعاظم فسادها وكثر من المماليك السلطانية طغيانها على الرعية وعتوها، ووقع بعد وفاة الملك الظاهر خشقدم[1] ما وقع من تغلب شاه سوار على ما جهزه الملك الظاهر إليه من العساكر فى حال حياته وغير ذلك، كما المشاهدة تعنى عن ذكره قبض الله تعالى مولانا السلطان المقام الشريف الملك الأشرف المشار إليه أفاض الله إنعامه عليه لإزالة تلك المفاسد وجلب المصالح بحسن المقاصد وفوض إليه أمور المسلمين وجعله سبباً لدفع ضرر الدين والدنيا، فتلقى ذلك بحسن القبول وبلغ الناس من فضله المأمول. وكان ذلك فى السادس من شهر رجب الفرد الحرام سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة، فبادر مولانا السلطان نصره الله تعالى لقمع المفسدين وردع المؤذين [ق٥ب] ورفع تلك المظالم العظام وأمن بوجوده على نفسه وماله الخاص والعام.

ثم شرع فى النظر فى أمر المملكة ولم شعثها وجد كل الاجتهاد فى سد خللها، ثم أخذ فى تجهيز العساكر المنصورة من الديار المصرية واتبعهم بعساكر البلاد الشامية لقتال شاه سوار، فلم يجد مولانا المقام الشريف المشار إليه فى خزائن من تقدم من الملوك الخوال ما ينفقه على العساكر ويسد به الحال فأعانه الله تعالى ويسر له ما لم يخطر على بال وانفق على العسكر المجهزة من الأمراء والمماليك السلطانية ما يوصلهم إلى تلك البلاد راجياً بذلك زوال الفساد بلغه الله تعالى كل المراد، فجهز أولاً شاه سوار المذكور فى شهر رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وهو الشهر الذى حل فيه على المسلمين نظره من الديار المصرية من الأمراء مقدمى الألوف جانى بك الانيالى أتابك العساكر والأمير ناتو المحمدى رأس نوبة والأمير تمر من محمود شاه حاجب الحجاب ومن الطبلخانات [ق ٦أ] الأمير تمر باى المحمدى السلحدار، ومن العشراوات تسعة عشر نفراً وهم:

---

* العنوان من عندنا.

(١) هو خشقدم بن عبد الله الناصرى المؤيدى أبو سعيد سيف الدين السلطان الظاهر، أول ملوك الروم بمصر والشام والحجاز. ولد سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م ومات سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م.
انظر المزيد فى: بدائع الزهور ٢/٧٠، حوادث الدهور ٣/ ٥٥٤ و ٦٥٧.

تمرباى من اصباى وقورى العثمانى الظاهرى ويشبك الجمالى القرمى وجانم من يلباى أمير شكار وقطاباى المحمودى ونابي بك الالياسي وبرسباى من تمربغا ودولات باى من بردبك وأيدكى المحمودى وآقبردى من صباى ويشبك من يلباى ونوروز العلاى وطغان العمرى ودلات باى الأبو بكرى وتانى بك السيفى جانى بك وتمر باى اليوسفى وبرسباى الأحمدى ومغلاباى السيفى جقمق ويشبك المؤيدى. ومن المماليك السلطانية نحو ألف واحد وانفق نصره الله تعالى على تلك التجريدة: بخصوصها مائة ألف دينار وواحداً وأربعين ألف دينار وسبعمائة دينار خارجاً عن الخيول والجمال والجوامك والكساوى والعليق وغير ذلك. وكان ما كان الحرب سجال. ثم جهز مولانا السلطان المشار إليه أيده الله بنصره وحرسه مدى دهره في شهر صفر سنة ثلاث وسبعين [ق٦ب] وثمانمائة الأمير أزدمر الإبراهيمى أحد مقدمى الألوف ومعه من الطبلخانات الأمير قجماس الحسنى، ومن الأمراء العشراوات ما عدتهم عشرة وهم: سودون العلاى الخازندار والأمير شادبك المحمدى وإينال الإبراهيمي وشادبك من قانبيه ونوروز من تغرى بردى ونوروز اليوسفى ودولات باى الإبراهيمى وقنصوه الإسحاقى وقرقماس من بحشبية ودولات باى من برد بك.

ومن المماليك السلطانية: خمسمائة نفر أرسلهم إلى البلاد الحلبية بسبب شاه سوار المذكور، وانفق على تجهزهم وكلفهم وما جهزه من الإقامات وغيرها نحو سبعة وثمانين ألف دينار. ثم جهز مولانا السلطان الملك الأشرف المشار إليه أطال الله بقاءه وحرسه وتولاه فى شهر جمادى الأخرة سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة عسكراً إلى سوار المذكور من الديار المصرية،وهو من الأمراء مقدمي الألوف خمسة المقر الأتابكى السيفى ازبك والأمير قرقماش الأشرفى أمير مجلس والأمير [ق٧أ] سودون القصروى رأس نوبة والأمير تمر حاجب الحجاب والأمير قراجا الأشرفى. ومن الطبلخانات اثنان جانى بك الزينى والأمير خايربك من جديد. ومن العشراوات اثنان وعشرون نفراً وهم: برسباى الأبو بكرى ونوروز من يلباى ومغلباى من تغرى بردى وقنصوه الشمسى وعلان من ططخ وازبك من نبران والسبعة من الأشرفية برسباى ومنهم طومان باى المحمدى وتانى بك الجمالى وقانم المحمدى وقانم الإسحاقى وحكم العلاى وقرقماس المحمدى وتغرى بردى المنصورى وقراجا السيفى جانى بك والثمانية من الظاهرية جقمق ومنهم مسايد الإبراهيمى وقانى

بـاى المحمـدى وجـانى بك الحسيني ودولات باى من حيدر وفارس البكتمرى والخمسة الأشـرفية إيـنال واصـباى السيفى قرقماس ومغلباى من قصروه والاثنان من السيفية. ومن المماليـك السـلطانية ألـف نفـر ومائتا وأنفق عليهم فى نفقتهم وجوامك المماليك السلطانية وعليـق خـيولهم [ق ٧ب] ومـا جهـزه لهم من الغلال وغيرها ثلاثمائة ألف دينار وزيادة عـلى ذلـك خارجـاً عـن الخـيول والجمـال والسـلاح والغـلال وغير ذلك واتبعهم بعساكر الشـامية رجالاً وركباناً ثم جهز مولانا السلطان الملك الأشرف المشار إليه أسبغ الله إنعامه عليـه وخلـد ملكه وسلطانه ونصر جيوشه وأعوانه من الديار المصرية فى شهر ربيع الأول سـنة خمـس وسبعين وثمانمائة الأمير اينال اليحياوى رأس نوبة أحد مقدمى الألوف ومن العشـراوات بالديـار المصرية إيـنال الإبراهـيمى ويلـباى المؤيدى وبرسباى من تمربغا ومن المماليك السلطانية نحو من مائتى نفر وصرف على ذلك تقدر خمسين ألف دينار وخارجاً عن الخيول والجمال والسلاح والمغل وغير ذلك.

وجهـز مولانـا السـلطان المشـار إلـيه أدام الله البقاء وزاده علوا وارتقاء فى شهر شوال سـنة خمـس وسـبعين وثمانمائـة لمحاربـة شـاه سوار المخذول من يأتى ذكره من العساكر المنصـورة وتزايدت الأدعية لهم [ق٨أ] بالنصر على عدوهم وكان ذلك مقرونا بالقبول فمن جهـزه مـن الديـار المصرية من مقدمى الألوف المقر الأشرف السيفى يشبك من مهدى أمير دوادار كـبير وجعلـه باشـا عـلى العسـكر المنصورة أعز الله نصره ومعه من المقدمين الأمير تمراز الشمسى والمقر السيفى خاير بك من حديد والمقر السيفى برسباى المحمدى ادام الله علـيهم نعمـه ومـن الطبـلخانات جـانم السيفى تمر باى الزددكاش. ومن العشرات ثمانية عشـر نفـراً وهـم: الأمـير بـردبك المحمـدى والأمير جانبيه الكمالى والأمير أزدمر من مراد حجـا وجـانى بـك الـنورى والأربعـة مـن الأشـرفية برسباى والأمير سودون من قانى بك والأمـير بـردبك العلائـى والأمـير تنم الجمالى والأمير أزبك اليوسفى الأشقر، والأربعة من الظاهـرية جقمـق والأمـير سودون العلاى والأمير قنصوه المحمدى والأمير جانم من يفشى بـاى والأمـير ازدمـر الأحمـدى والأمـير دقمـاق مـن خشـقدم والأمـير يشـبك [ق ٨ب] الإبراهـيمى والأمـير جانم المحمدى والسبعة الأشرفية إينال ودولات باى الشريفى يونس وجـانم السـيفى جـانى بك من قانبيه السيفى شاد بك ومعهم من المماليك السلطانية نحو ألـف نفـر وخمسـمائة نفـر وصـرف مولانـا المقام الشريف المشار إليه ذى المحاسن والمآثر

والمكارم والمفاخر على تلك التجريدة المذكورة في نفقتهم وفي جامكيتهم وعليق خيولهم وغير ذلك من الذهب ستمائة ألف دينار وعشرة آلاف دينار خارجاً عما جهزه من الغلال وغيرها مما أنعم به على المماليك من الخيول والجمال وغير ذلك وما جهزه من السلاح واتبعهم بعساكر البلاد الشامية من الفرسان والمشاة وغيرهم فشمر المقر الأشرف السيفي يشبك المشار إليه عن ساق الجد هو ومن معه وبذل كل منهم الجهد إلى أن ظفرهم الله سبحانه بعدوهم واحضر شاه سوار معه إلى الديار المصرية وكان يوم حضورهم يوماً مشهوداً وقوبل شاه سوار على مخالفته بما شاهده العيان وتحدث [ق٩أ] به الركبان، وسار خبر ما صنع به في سائر البلدان والله تعالى يبلغ مولانا السلطان الملك الأشرف المشار إليه كل المراد ويصلح به البلاد ويطمئن به قلوب العباد أنه ولى ذلك والقادر عليه. ثم لما بلغ مولانا السلطان الملك الأشرف ما وقع من حسن بك قرايلك المخذول من مشيته على بعض القلاع السلطانية وما فعله في مدينة ملطية وما ظهر منه من البغي والفساد وتشويشه على العباد والبلاد، فجهز مولانا السلطان المشار إليه من الديار المصرية لحفظ البلاد الحلبية من مقدمي الألوف المقر السيفي جاني بك الإينالي أمير سلاح والمقر السيفي قراجا الأشرفي أدام الله نعمه عليهما.

ومن العشرات سبعة نفر، وهم: جانبيه المحمدى ومغلباى اليوسفي وخاير بك المحمدى وسودون السيفي جانى بك ويشبك من قصروه وكسباى الأحمدى ونوروز من يلبيه. ومن المماليك السلطانية أربعمائة نفر وصرف عليهم من الذهب نحو خمسة [ق ٩ب] وستين ألف دينار، وكان ذلك في آخر شهر جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وثمانمائة وكتب إلى النواب بالمماليك الشامية والحلبية بالاجتهاد في حفظ بلادهم والتيقظ لأمرهم.

ثم جهز مولانا السلطان أفاض الله عليه الإنعام وأجزل له الإحسان لمحاربة حسن بك المذكور المخذول من الديار المصرية أيضاً في شهر رجب الفرد الحرام سنة سبع وسبعين وثمانمائة المقر الأشرف العالى السيفي يشبك من مهدى أمير دوادار كبير اعز الله أنصاره وجعله باشا على العسكر المنصورة.

ومن الأمراء المقدمين المقر الأشرف العالى السيفي أزبك الأتابكي. أعز الله أنصاره والمقر السيفي إينال اليحياوى رأس نوبة والمقر السيفي أزدمر الإبراهيمي والمقر السيفي برسباى

المحمـدى والمقر السيفى قنصوه الأحمدى أدام الله نعمتهم. ومن الطبلخانات الأمير جانى بـك العـلاى أمير أخور والأمير يشبك الجمالى ناظر الحسبة الشريفة والأمير جانم السيفى [ق ١٠أ] تمر باى الزردكاش والأمير أزدمر من يلباى والأمير تانى بك الجمالى.

ومـن العشـرات تسـعة وثلاثـون نفراً من الأشرفية برسباى والظاهرية جقمق والأشرفية إيـنال والسيفية وهم قنصوه المحمدى وقانبيه المنصور وتنم الجمالى وأزبك اليوسفى الأشقر وأزدمـر من مراد خجاف ودولات باى الشرفي يونس ويشبك الإبراهيمي وجانم المحمدى وسـودون العـلاى الطويـل وجـانم من نقشي بيه وهم من سبق السفر فى العام الماضى من المقر السيفى يشبك المشار إليه.

ومـن العشـرات المذكورين بردبك من قصروه وسيباى من قانبيه ودولات باى الحسنى وقـراجا السـيفى جـانى بـك وجكم العلائى وبرسـباى اليوسفى وقرقماس المحمدى قرقش وبرسـباى العـلاى وشـادبك مـن قانبيه وأزبك من نيران ودولات باى الإبراهيمي وقنصوه الإسـحاقى وتغـرى بـرمش مـن حميد الدين وجانم من بلبيه أمير شكار وماماى المحمدى [ق ١٠ ب] ومسـائد الإبراهـيمى وتـانى بـك الالياسـى وعلان من ططخ وسودون العلائى الخـازندار وبرسـباى الأحمـدى ويشـبك الحسنى ومغلبيه من تغرى بردى وقرقماس. ومن المماليـك السـلطانية ألف نفر وأربعمائة نفر وصرف مولانا السلطان الملك الأشرف خلد الله ملكه على الأمراء والمماليك السلطانية المتوجهين صحبة المقر الأشرف السيفى يشبك المشار إلـيه فـى نفقـاتهم وجامكيتهم وغير ذلك مما يزيد على خمسمائة ألف دينار وخارجاً عن السـلاح والكـراع وغـير ذلـك والمسئول من فضل الله تعالى أن يكتب لهم السلامة ويبلغهم الظفـر بـأعدائهم المقصـودين بسـفرهم وأن يحرسـهم فى السفر والإقامة وأن يجعل عساكر مولانـا السـلطان أبـداً مظفـرة منصـورة، وأن يجعـل الطائفـة الباغـية عليهم أبدا مخذولة مقهـورة والمـرجو مـن فضل الله سبحانه أن يبلغوا [ق ١١أ] المأمول من نصرتهم على هذا العـدو المخـذول. ولـما تم مـا ذكر ما جهزه من التجاريد أردت أن أذكر شيئاً مما فعله من الخـيرات مـن تعـاهد المساجد القديمة بالعمارات وما أنشأه من السبل بقصد القربات فمن ذلـك مـا جدده من عمارة المنارة والبوابة بالجامع مع الأزهر بالقاهرة المحروسة، وما أمر بعمارتـه ومرمـته من جامع الإمام عمرو بن العاص رضى الله عنه الكائن بمصر المحروسة

وما عمره من الأيوان بالمدرسة الصالحية بجوار ضريح الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعى[1] رضى الله عنه الكائن بالقرافة الصغرى وغير ذلك.

وما أنشأه من السبيل بالجامع الطولونى والسبيل ومكتب الايتام بالمكان الكائن أسفل الربع الظاهرى خارج القاهرة المحروسة.

وأنشأ أيضاً نصره الله تعالى السبيل والضريح بالجبل المقطم عند مقطع الأحجار قريباً من الصحراء والقرافة.

وأنشأ المدرسة والصهريج تجاة ضريح السيد [ق ١١ب] عبد الله المنوفى نفع الله به. وأنشأ الزاوية بخانقاه سرياقوس بالمكان المعروف بالشيخ محمد العراقى خادم الشيخ مجد الدين، والسبيل بها وجامعاً بناحية أبى زعبل وزاوية بناحية منية الأمراء من ضواحى القاهرة جعلها للشيخ الصالح عباس المقيم بها طالباً ثواب الآخرة.

ومما أنشاه نصره الله جامع بناحية سلمون بالغربية ومنها جامع بثغر دمياط بجوار مقام الشيخ الصالح فتح الله الأسمر نفع الله ببركته وغير ذلك من نواحى الديار المصرية.

وعمر مكة المشرفة وأماكنها مسجد الخيف ومسجد نمرة والعين بعرفه وعم نفعها القاطنين والواردين وحصل بذلك لحجاج بيت الله الحرام فى تلك المشاعر العظام من الرفق ما تقصر عنه العبادة ولم يقع ذلك فى أيام من تقدمه من الملوك وتزايد دعاء المسلمين له فى تلك المواطن وأعلن بالتأمين القادم والساكن بلغه الله تعالى أقصى أمانيه وأيده بالنصر على اعاديه.

وأنشأ مدرسة بالقدس الشريف [ق ١٢أ] طلباً للثواب من الخبير اللطيف وأزال مولانا السلطان نصره الله ما كان بالقلعة المنصورة من الأماكن المهدمة والمتداعية للسقوط، وأنشأ بدلها ما صار نزهة لناظره منها الزردخاة الشريفة وعلوها والسبيل المجاور لها والإيوان الشريف قريباً من القصر والمقعد بالحوش الشريف وطباق المماليك السلطانية وغير ذلك

---

(١) هو الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه أبو عبد الله محمد بن إدريس العباس بن عثمان بن شافع ابن السائب القرشى المطلبى المكى نزيل مصر، إمام الأئمة وقدوة الأمة ولد سنة ١٥٠هـ ومات سنة ٢٠٤هـ

انظر المزيد فى: إرشاد الأريب ٦/ ٣٦٧، الأنس الجليل ١/ ٢٩٤، البداية والنهاية ١٠/ ٢٥١، تاريخ بغداد ٢/ ٥٦، تاريخ الخميس ٢/ ٣٣٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦، ترتيب المدارك ٢/ ٣٨٢، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٤٤، تهذيب التهذيب ٩، ٣٥، حسن المحاضرة ١/ ٣٠٣.

مما شاهدته يغني عن الأخبار حرس الله تعالى مهجته أناء الليل وأطراف النهار، وأمر بإزالة ما كان في القلعة مما يضيق الطرق من المساطب والحوانيت المجاورة لباب الجامع الناصرى وجعل للجامع وقفاً بدلا عنها، هذا ما يتعلق بالإنشاء والعمائر.

وأما ما أتخذه عند الله ذخراً وتزايدت الأدعية له بسببه سراً وجهراً فهو ما أبطله من المكس بقطيا وكف عن المسلمين من تأخر وقاصد وصادر وقادم ووافد ما كان يعمه من شر المكسة وشؤمهم ويحل به من ضررهم كفاه الله كل ما أهمه [ق ١٢ب] وأزال غمه وهمه وما أبطله من المكس عن الخشابين وأصحاب المراكب والمتسببين وما كان يؤخذ منهم على وجه القهر والظلم المبين، وتزايد بذلك الدعاء له في كل وقت وحين، جعله الله من الفرحين الآمنين.

وأما صدقة مولانا السلطان على الأرامل والمنقطعين والفقراء والعاجزين، وصلاته الواصلة إلى العلماء والفقراء والمنشغلين فمتعددة متصلة بهم في كل حين أثابه الله على ذلك الثواب الجزيل وعامله بلطفه الجميل في المقام والرحيل فهو حسبنا ونعم الوكيل.

ومحاسن مولانا السلطان نصره الله يعجز اللسان عن حصرها والعد عن ضبطها وفيما ذكرته غنية عن الاطناب، وتذكرة لأولى الألباب.

وأما نظر مولانا السلطان نصره الله تعالى في عساكره وجنوده وبعوثه فعلى التمام وترتيبه لهم فعلى أحسن نظام يتفقد أحوالهم ويجتهد في مصالحهم، ويحرص على ايصال أرزاقهم إليهم من غير مطل ولا تسويف [ق ١٣أ]، ويرفع ما كان يحصل لهم من تناولها ووصولها إليهم من المشقة والتكليف، واشترى من المماليك ما يزيد على ألفي مملوك وأمدهم بالخيول والسلاح وشغلهم بفنون الفروسية من الرمي بالنشاب واللعب بالرماح وحملهم على التحلي بكل جليل والتخلق بكل خلق حسن جميل، وقرب من قرب منهم للفضيلة وأبعد من أبعد ممن ارتكب رزيلة راجياً بذلك أن يحصل بهم النفع والقوة لعساكر المسلمين وأن يقوى بهم حمى حوزة الدين، والله تعالى أسأل أن يعينه على بلوغ أمله، وأن يجعله مسدداً في قوله وعمله، ومهما حمل إليه من الأموال يصرفه في مصالح الأحوال العائد نفعها على المسلمين فلقد بلغ ما صرفه على ما تقدم ذكره من التجاريد وثمن المماليك والسلاح والخيول والنشاب والرماح والعمائر والمرمات والإنعام والصلات والبر والصدقات من خزائنه الشريفة خاصة منذ حل نظره [ق ١٣ب] الشريف

على المملكة من يومنا هذا وهو الآخر من شعبان سنة سبع وسبعين وثمانمائة ما جملته من الذهب الأشرفي ثلاثة آلاف دينار وسبعمائة ألف دينار وسبعون ألف دينار خارجاً عن الخيول والجمال والقماش والأسلحة والمتاع والغلال، خارجاً عما صرفه من يده الشريفة وخارجا عما يصرف من دواوين مملكته يومياً وشهرياً وسنوياً من ثمن اللحم والدقيق والجوامك والعليق والكسارى والضحايا ما لا حصر لعده ولاوقوف على جده فالله تعالى يديم أيامه لنا وللمسلمين ويعينه على ذلك فهو نعم المعين، وأن يجعله للإسلام عضداً وذخراً وأن يسبغ نعمه عليه نثراً وأن يختم أجله بالصالحات، وأن يرفع له في الجنان الدرجات، وفيما ذكرناه كفاية عن الإطالة والإسهاب والبسط والإطناب. فقد تقدم أن اللسان عن حصر محاسنه قصير فنكتفي منها بذكر هذا القدر اليسير.

وأما تراجم من سبقه من الملوك [ق ١٤أ] وتواريخهم فإنه لما انتهى الكلام على الترجمة الشريفة الأشرفية أحببت أن أذكر في هذا المجموع من ولي سلطنة الديار المصرية من عهد الدولة الصالحية الأيوبية إلى زمان مولانا المقام الشريف ذي المحاسن البهية والمآثر المروية عامله الله تعالى بالطاقة الخفية مقتصراً على تاريخ سلطنة كل منهم وانتهاء ولايته ماشياً على هذا القانون إلى انتهاء سلطنة بني قلاوون إلى ما يقتضي الحال ذكره من حادثة أو واقعة أو سفره ثم من ابتداء الدولة الظاهرية برقوق تغمده الله برحمته أذكر ترجمته وشيئاً من حوادثه، مما كان غريباً ووقع في مدته وكذا من بعده، فاذكر منها ما ينبغي ذكره ويستحسن أمره راجياً من الله اجتناب الخطأ والزلل والتوفيق لحسن القول والعمل فأول من ولي السلطنة بالديار المصرية بعد ذهاب الدولة العاضدية[1] السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي، وكان من الأكراد [ق ١٤ب] وتنقل في الخدم بالبلاد الشامية في الدولة النورية الشهيدية وحضر إلى الديار المصرية مع عمه أسد

---

(١) هو عبد الله العاضد بن يوسف بن الحافظ العلوي الفاطمي أبو محمد آخر ملوك الدولة الفاطمية "العبيدية" ولد سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م ومات ٥٦٧هـ / ١١٧١م

انظر المزيد في: تبيين كذب المفترى ٢٥٧، الوفيات ١/ ٢٥٢، مفتاح السعادة ٢/ ١٨٤، بدائع الزهور ١/ ٦٧، اتعاظ الحنفا ٢٨٧ – ٢٩٣، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٠٧ و ٣٣٤ – ٣٥٧، الكامل ١١/ ٩٦ و ١٣٧.

الدين[1] شيركوه فى سنة أربع وخمسين وخمسمائة ثم عاد إلى الشام ثم حضر ثانياً مع عمه المذكور، وحضر وقعة البابين وحصر الفرنج بالإسكندرية ثم عاد مع عمه إلى الشام ثم حضر معه ثالثاً على كره منه فى المسير معه إلى مصر، وكان دخوله إلى مصر فى سنة أربع وستين وخمسمائة، فولى وزارة العاضد بالله وهو آخر الخلفاء الفاطميين الذين حكموا بالديار المصرية وتمكن أمره بالديار المصرية إلى ان ولى السلطنة بها استقلالاً فى عاشر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة وقتل العاضد ونودى بإقامة الخطبة بالديار المصرية للخليفة المستضئ[2] بنور الله العباسى ببغداد بعد أن كانت الخطبة لبنى العباس قد قطعت من الديار المصرية مائتين وخمس عشرة سنة وكان السبب فى خلع العاضد وسلطنة السلطان صلاح الدين استيلاء [ق ١٥أ] الفرنج على السواحل الإسلامية وضعف العاضد عن دفع هذه الرزية. فقام الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى فى فتح بلاد الإسلام حق القيام وانتزعها من أيدى الفرنج الكفرة اللئام، ورتب أمور المملكة على أحسن نظام وكثرت أسفاره وآخرها إلى الشام فتوفى إلى رحمة الله تعالى يوم الأربعاء

---

(١) هو شيركوه بن شاذى بن مروان أبو الحارث أسد الدين الملقب بالملك المنصور، أول من ولى مصر من الأكراد الأيوبيين وهو أخو نجم الدين أيوب وعم السلطان صلاح الدين، كان من كبار القواد فى جيش نور الدين محمود بن زنكي بدمشق، وأرسله نور الدين على رأس جيش إلى مصر سنة ٥٥٨ هـ لنجدة لشاور بن مجير السعدى وعاد، وذهب إليها ثانية سنة ٥٦٢هـ لنجدة ابن أخيه صلاح الدين وقد حاصره شاور فى الإسكندرية فأصلح ما بينهما، وقويت صلته بالمصريين وعاد، وهاجم الفرنج بلدة " بلبيس" بمصر وملكوها، فكتب إليه أهلها يستنجدونه فأقبل للمرة الثالثة وطرد الفرنج وعلم بأن شاور بن مجير يأتمر به لقتله هو ومن معه من كبار القواد، فتعاون مع صلاح الدين على قتل شاور وأرسل رأسه إلى الخليفة " العاضد" فدعاه العاضد وخلع عليه ولقبه بالملك المنصور وولاه الوزارة. ولم يقم غير شهرين وخمسة أيام وتوفى فجأة سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٠م.
انظر المزيد فى: مورد اللطافة ٢٣ — ٢٤، وفيات الأعيان ١/ ٢٢٧، تاريخ بن عساكر ٦/ ٣٥٨، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٨٢، مفرج الكروب ١/ ١٤٨ — ١٦٨.

(٢) هو الحسن بن المستنجد بالله يوسف بن المقتفى العباسى الهاشمى أبو محمد المستضئ بالله خليفة من العباسيين فى العراق، كان جواداً حليماً محباً للعفو، قليل المعاقبة على الذنوب، كريم اليد. بويع بعد وفاة أبيه وبعهد منه سنة ٥٦٦هـ وصفت له الخلافة تسع سنين وسبعة أشهر وكانت أيامه مشرقة بالعطاء والعدل ولد سنة ٥٣٦هـ/ ١١٤٢م ومات سنة ٥٧٥هـ / ١١٨٠م
انظر المزيد فى: فوات الوفيات ١/ ١٣٧، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٥٢٨، مرآة الزمان ٨/ ٣٥٦، الكامل ١١/ ١٧٣، تاريخ الخميس ٢/ ٣٦٦، النبراس ١٥٩ — ١٦٤.

السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة وكانت مدة سلطنته اثنتين وعشرين سنة وأياماً.

ثم ولى بعده في يوم وفاته ولده العزيز فخر الدين عثمان[1] توفي إلى رحمة الله تعالى بمصر في يوم الأحد العشرين من شهر المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة.

وسبب وفاته أنه توجه إلى الفيوم يتصيد فتقنطر عن فرسه وحُمَّ فحمل إلى القاهرة وأقام بها ثم مات ومدة سلطنته خمس سنين وعشرة شهور وأربعة وعشرون يوماً.

وكان عادلاً كريماً شجاعاً مقداماً جميل الطوية، شديد الخوف من الله سبحانه وتعالى منقاد للخير رحمه الله تعالى [ق ١٥ب] ثم ولى بعده ولده الملك المنصور محمد بن العزيز[2] ابن الناصر صلاح الدين بن يوسف بن أيوب في ثاني يوم وفاة والده، ثم حضر عمه الملك الأفضل إلى الديار المصرية لتسع مضين من ربيع الأول واستولى على المملكة وأظهر أنه يربي ابن أخيه، ثم خلع الملك المنصور ومدة مملكته سنة وأربعون يوماً.

---

(١) هو عثمان بن يوسف " صلاح الدين" بن أيوب أبو الفتح من ملوك الدولة الأيوبية بمصر. كان نائباً عن أبيه وتوفي أبوه في دمشق فاستقل بملك مصر سنة ٥٨٩هـ وحاول انتزاع دمشق من يد أخيه الأفضل مرتين فلم ينجح، ونجح في الثالثة سنة ٥٩٢هـ فأقام عليها عمه العادل والعزيز من عقلاء هذه الدولة كان كثير الخير كريماً، وله علم بالحديث والفقة، ولد سنة ٥٦٧هـ / ١١٧٢م ومات سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م.

انظر المزيد في: الخطط ١/ ٢٣٥، وفيات الأعيان ١/ ٣١٤، النجوم الزاهرة ٦/ ١٢٠، بدائع الزهور ١/ ٧٣، الكامل ١٢/ ٥٤، السلوك ١/ ١١٤ – ١٤٤.

(٢) هو محمد بن عثمان بن يوسف بن أيوب الملك المنصور ناصر الدين ابن الملك العزيز عماد الدين ابن السلطان صلاح الدين ثالث ملوك الدولة الأيوبية بمصر، ولد بالقاهرة سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م ومات سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م وأجلس على سرير الملك في غد وفاة أبيه سنة ٥٩٥هـ وعمره تسع سنين وأشهر وكان أبوه قد أوصى له بالملك من بعده وتولى إدارة الأعمال الأمير بها الدين قراقوش الأسدي وجعل أتابكا ثم عدل عنه إلى الأمير الأفضل علي بن يوسف وهو عم المنصور، على أن يرعى دولة ابن أخيه سبع سنين إلى أن يبلغ رشده وكان الأفضل في صرخد " بسورية" فحضر واستمر سنة و ٣٨ يوماً وتغلب عليه عمه العادل محمد بن أيوب فاستقر أتابكاً للمنصور ولم يلبث أن خلعه وولى السلطنة مكانه وكانت مدة سلطنة المنصور سنة و٨ شهور و٢٠ يوماً وأرسله العادل إلى دمشق مع إخوته وأمهم ومنها إلى الرها، فهربوا إلى حلب، ونشأ المنصور بها وجعله صاحبها الملك الظاهر في جملة امرائه واستمر على حال أن توفي سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م

انظر المزيد في: السلوك للمقريزي ١/ ١٤٥ – ١٥٣، بدائع الزهور ١/ ٧٤، البداية والنهاية ١٣/ ١٨

ثـم ولى بعـده عمـه الملـك الأفضل نور الدين[1] على بن الناصر صلاح الدين بن يوسف ابـن أيـوب فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وخمسمائة إلى أن حضر عمه العادل مـن الـبلاد الشامية، وأرسله إلى صرخد[2] فى سنة ست وتسعين وخمسمائة ومدة سلطنته بمصر سنة واحدة وثلاثة وثلاثون يوماً.

ثـم ولى بعـده الملـك العـادل سـيف الديـن[3] أبو بكر بن الأوحد نجم الدين ملك الديار المصرية والـبلاد الشـامية والقـدس الشـريف والسـواحل والـرها، وبويع له بالسلطنة فى سـادس عشـر شـهر شـوال سـنة ست وتسعين وخمسمائة وتوفى إلى رحمة الله [ق ١٦أ] تعالى فى شهر جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة.

وكـان حمـيد السيرة، حسن التدبير. له معرفة بدقائق الأمور، رحمه الله تعالى ومات سنة خمس وسبعين سنة مبهوراً ومدة مملكته تسع عشرة سنة وتسعة وأربعون يوماً.

---

(١) هو على الملك الأفضل نور الدين بن يوسف صلاح الدين بن أيوب صاحب الديار الشامية، استقل بمملكة دمشق بعد وفاة أبيه سنة ٥٨٩هـ وأخذها منه أخوه العزيز وعمه العادل سنة ٥٩٢هـ وأعطياه " صرخد" ثم دعى إلى مصر بعد وفاة صاحبها العزيز " أخيه" وولاية ابنه المنصور " محمد بن العزيز" وكان صغيراً، فتولى الأفضل شؤون مصر سنة ٥٩٥هـ مساعداً للمنصور إلى أن أخرجه منها العادل وأعطاه " سميساط" فأقام فيها إلى أن توفي سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م وكان مولده سنة ٥٦٦هـ / ١١٧١م.
انظر المزيد في: الكامل ١٢/ ١٦٤، وفيات الأعيان ١/ ٣٧١، السلوك١/ ٢١٦.

(٢) بالفتح ثم السكون والخاء معجمة والدال مهملة. بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهى قلعة حصينة وولاية حسنة وواسعة
انظر المزيد في: معجم البلدان ٣/ ٤٠١.

(٣) هو الملك محمد بن أيوب بن شادى أبو بكر سيف الإسلام الملقب بالملك العادل أخو السلطان صلاح الدين من كبار سلاطين الدولة الأيوبية ولد سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م كان نائب السلطنة بمصر عن أخيه صلاح الدين أثناء غيبته في الشام ثم ولاه أخوه مدينة حلب سنة ٥٧٩هـ فرحل إليها وأقام قليلاً وانتقل إلى الكرك وتنقل فى الولايات إلى أن استقبل بملك الديار المصرية سنة ٥٦٩هـ وضم إليها الديار الشامية ثم ملك أرمينية سنة ٦٠٤هـ وبلاد اليمن سنة ٦١٢هـ ولما صفا له جو الملك قسم البلاد بين أولاده وجعل يتنقل من مملكة إلى أخرى، فكان يصيف بالشام ويشتى بمصر، وعاش أرغد عيش. كان ملكاً عظيماً حنكته التجارب، حازماً داهية، حسن السيرة محباً للعلماء. ومات سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م وهو يجهز العساكر لقتال الإفرنج وكتم خبر موته فحمل فى محفة على أنه مريض وأدخل قلعة دمشق وقام ابنه الملك المعظم بتنظيم الأمور ثم نعاه ودفن فى مدرسته المعروفة إلى اليوم بالعادلية.

ثم ولى بعده ولده الملك الكامل ناصر الدين محمد(١)، عند ورود الخبر إليه وهو محاصر الفرنج بثغر دمياط ومخيمه بالعادلية من عمل دمياط بوفاة والده فى شهر جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة وتوفى الكامل إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس حادى عشر شهر رجب الفرد سنة خمس وثلاثين وستمائة وعمره تسع وخمسون سنة ومدة مملكته عشرون سنة وواحد وأربعون يوماً. وكان ملكاً مهيباً حازماً شجاعاً فصيحاً محباً للعلم رحمه الله تعالى.

ثم ولى بعد سلطنة الديار المصرية والبلاد الشامية ولده الملك العادل(٢) سيف الدين أبو بكر بدمشق يوم وفاة أبيه وخلع من المملكة يوم الجمعة تاسع شهر شوال سنة [ق ١٦ب] سبع وثلاثين وستمائة وكانت مدة مملكته سنتين وشهرين وثمانية عشر يوماً. وكان كريماً كثير الإحسان رحمه الله تعالى وولى بعده أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب(٣) بن الكامل ابن العادل بن أيوب يوم الجمعة ثالث عشر شهر شوال سنة سبع وثلاثين وستمائة وتوفى إلى رحمة الله تعالى بالمنصورة ودفن بها فى منتصف شعبان سنة سبع وأربعين

---

(١) هو محمد الملك الكامل بن محمد العادل بن أيوب أبو المعالى ناصر الدين من سلاطين الدولة الأيوبية، كان عارفاً بالأدب له شعر، وسمع الحديث ورواه ولد بمصر سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م وأعطاه أبوه الديار المصرية فتولاها مستقلا بعد وفاته سنة ٦١٥هـ وحسنت سياسته فيها واتجه إلى توسيع نطاق ملكه فاستولى على حران والرها وسروج والرقة وآمد وحصن كيفا ثم امتلك الديار الشامية ودخل أبوه الملك المسعود مكة سنة ٦٢٠هـ فكانت الخطبة فيها باسم الكامل ودعا له بلقب مالك مكة وعبيدها واليمن زبيدها ومصر وصعيدها والشام وصناديدها والجزيرة ووليدها الخ. واستمر أربعين سنة نصفها فى أيام والده وتوفى بدمشق سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٨م.

انظر المزيد فى: الوافى بالوفيات ١/ ١٩٣، بدائع الزهور ١/ ٧٧، الكامل ١/ ١٢٦ – ١٨٦.

(٢) هو محمد العادل بن محمد الكامل بن محمد العادل بن أيوب أبو بكر سيف الدين من ملوك الدولة الأيوبية بمصر بويع بالسلطنة بعد موت أبيه سنة ٦٣٥هـ وكان نائباً عنه بمصر وكان أخوه نجم الدين نائبا بحلب، فشق على هذا أن يلى السلطنة سيف الدين وهو أصغر منه سناً فأقبل من حلب فقاتل أخاه وانتهى الأمر بخلع العادل سنة ٦٣٧هـ وقبض عليه ببلبيس وسجن بقلعة الجبل بالقاهرة إلى أن مات سنة ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م وكان مولده سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م.

انظر المزيد فى: مورد اللطافة ٣٠ – ٣١، السلوك ١/ ٢٦٧، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٣٥، تاريخ ابن الوردى ٢/ ١٧٨، بدائع الزهور ١/ ٨٢.

(٣) هو أيوب الملك الصالح بن محمد الملك الكامل بن أبى بكر العادل بن أيوب أبو الفتوح نجم الدين، من كبار الملوك الأيوبيين بمصر، ولد سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م ونشأ بالقاهرة وولى بعد خلع أخيه العادل سنة ٦٣٧هـ وضبط الدولة. بحزم وكان شجاعاً مهيباً عفيفاً صموتاً، عمر بمصر ما لم يعمر احد من ملوك بنى أيوب، مات سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م

انظر المزيد فى: مرآة الزمان ٨/ ٧٧٥، تاريخ الإسحاقى ١٨٩، السلوك ١/ ٢٩٦ – ٣٤٢، الخطط ٢/ ٢٣٦، بدائع الزهور ١/ ٨٣.

وستمائة، وعمره أربع وأربعون سنة ومدة مملكته تسع سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام. وكان ملكاً مهيباً شجاعاً حازماً.

وتولى فخر الدين بن الشيخ تدبير المملكة بعده وحلف له الجيوش والتقى بالفرنج بالجزيرة قبالة المنصورة وقتل في خامس ذى القعدة على جديلة بأشمون ومدته خمسة وسبعون يوماً، وتولى الفرنج وقتلوا عن آخرهم في الأسواق. ثم ولى السلطنة بعد الصالح وقتل فخر الدين بن الشيخ المظفر[1] تورانشاه بن الصالح بن الكامل بن العادل بن نجم الدين [ق ١٧أ] أيوب في منتصف ذى القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة وخرج من فوره إلى المنصورة لقتال الفرنج وتوفى إلى رحمة الله تعالى حريقاً غريقاً في يوم الأثنين سادس عشر المحرم ستة وأربعين وستمائة ومدة مملكته واحد وسبعون يوماً، وهو آخر ملوك بني أيوب ثم ولى بعده المملكة عصمة الدين[2] أم خليل الشهيرة بشجرة الدر كانت

---

(١) هو تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد ثامن سلاطين الدولة الأيوبية بمصر وآخرهم. وثالث من سمي الملك المعظم منهم، وجد ملوك حصن كيفا، كانت إقامته في حصن كيفا " بديار بكر" نائباً عن أبيه، ولما توفى أبوه سنة ٦٤٧هـ وكتمت "شجرة الدر" خبر موته استدعته، فجاء إلى مصر، والحرب ناشبة بين المصريين والفرنسيين على أبواب " المنصورة" فلبس خلعة السلطان بعد أربعة أشهر من وفاة أبيه وقاتل الفرنج، فهزمهم واسترد دمياط ثم تنكر لشجرة الدر فحرضت عليه المماليك البحرية فقتلوه في " فارسكو" ومدة سلطنته نحو ٤٠ يوماً لم يدخل فيها القاهرة ولم يجلس على سرير الملك بقلعة الجبل وبمقتله سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م انقرضت دولة بنى أيوب بمصر ومدتها نحو ٨٦سنة

انظر المزيد في: بدائع الزهور ١/ ٨٥، تاريخ ابن الوردى ٢/ ١٨١، فوات الوفيات ١/ ٩٧، السلوك للمقريزى ١/ ٣٥١ -- ٣٦١.

(٢) هي شجرة الدر الصالحية أم خليل الملقبة بعصمة الدين ملكة مصر، أصلها من جوارى الملك الصالح نجم الدين أيوب اشتراها في أيام أبيه وحظيت عنده وولدت له ابنه خليلا فاعتقها وتزوجها فكانت معه في البلاد الشامية لما كان مستوليا على الشام مدة طويلة ثم لما انتقل إلى مصر وتولى السلطنة كانت في بعض الأحيان تدبر أمور الدولة عند غيابه في الغزوات وكانت كما يقول ابن إياس " ذات عقل وحزم، كاتبة قارئة لها معرفة تامة بأحوال المملكة وقد نالت من العز والرفعة ما لم تنله امرأة قبلها ولا بعدها" ويسميها سبط ابن الجوزى " شجرة الدر ويقول " كانت تكتب خطاً يشبه خط الملك الصالح، فكانت تعلم على التواقيع، ولما توفى الملك الصالح سنة ٦٤٧هـ بالمنصورة والمعارك ناشبة بين جيشه والافرنج كانت عنده فأخفت خبر موته، واستمر كل شئ كما كان: السماط يمد كل يوم والأمراء في الخدمة وهي تقول: السلطان مريض ما يصل أحد إليه وأرسلت بعض رجالها إلى ابنه " تورانشاه" وكان في حصن كيفا، فحضر وحين علمت بوصوله القدس في طريقه انتقلت هي إلى القاهرة، فبعث يهددها ويطلب المال والجواهر فخافت شره واستوحش منه بعض المماليك فقتلوه =

تركية الجنس وقيل ارمينية اشتراها الملك الصالح نجم الدين أيوب وحظيت عنده بحيث كان لا يفارقها سفراً ولا حضراً، ولدت منه ولداً اسمه خليل ومات صغيراً، وهذه المرأة شجرة الدر أول من ملك مصر من ملوك الترك اجتمع الأمراء الصالحية وفوضوا لها المملكة بالديار المصرية وخطب لها بها ورتبوا الأمير عز الدين أيبك التركمانى أتابك مقدم العساكر وان تبرز العلامات على التواقيع من قبلها فى أواخر المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة ومدة مملكتها ثلاثة أشهر حتى أرسل الخليفة من بغداد يقول لامراء مصر [ق ١٧ب] وأكابرها ما بقى عندكم رجل يتولى المملكة حتى تولوها امرأة إن كان ما عندكم رجل قولوا لنا نرسل إليكم رجلا.

ثم ولى بعدها المملكة بالديار المصرية الملك المعز عزالدين أيبك التركمانى[1]، وهو أول ملوك الترك فى التاسع و العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وستمائة وتزوج شجرة الدر سرية الملك الصالح المذكورة ورتبوا معها الأشرف بن صلاح الدين بن المسعود بن الكامل وعمره ست وستون واعتقله بعد أيام قلائل ثم توفى الملك المعز أيبك التركمانى المذكور ليلة الأربعاء خامس عشر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستمائة

= وتقدمت للملك فخطب لها على المنابر وضربت السكة باسمها، وأقامت عز الدين أيبك الصالحي وزير زوجها وزيراً لها، وكانت علامتها على المراسيم " أم خليل" وعلى السكة " المستعصمة الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل أمير المؤمنين" ولم يستقر أمرها غير ثمانين يوماً وخرجت الشام عن طاعتها، فتزوجت بوزيرها عز الدين أيبك ونزلت عن السلطنة واحتفظت بالسيطرة عليه، فطلق زوجته الأولى أم علي وتلقب بالملك المعز، ثم أراد ان يتزوج عليها فأمرت مماليكها فقتلوه خنقاً بالحمام وعلم ابنه علي بالأمر فقبض عليها وسلمها إلى أمه فأمرت جواريها أن يقتلنها بالقباقيب والنعال فضربنها حتى ماتت سنة ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م

انظر المزيد في: الخطط ١/ ٢٣٦ — ٢٣٨، دول الإسلام ٢/ ١٢٢، بدائع الزهور ١/ ٨٩ — ٩٣، السلوك ١/ ٣٢٦، تراجم إسلامية ٦١، الدر المنثور ٢٥٥، مرآة الزمان ٨/ ٧٧٤ — ٧٨٣، شذرات الذهب ٥/ ٢٦٨.

(١) هو أيبك بن عبد الله الصالحى النجمى عز الدين التركمانى أول سلاطين المماليك البحرية في مصر والشام، كان مملوكا للصالح نجم الدين أيوب وأعتقه فصار فى جملة الأمراء عنده وجعل مقدماً للعساكر بعد مقتل الملك المعظم تورانشاه وقيام زوجة أبيه شجرة الدر بالأمر وتزوج بشجرة الدر فنزلت له عن الملك وتولاه بمصر سنة ٦٤٨هـ وتلقب بالملك المعز وانتظم أمره إلى أن علمت شجرة الدر بأنه خطب بنت الملك بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فتغيرت عليه فبينما كان فى الحمام جاءه خمسة من خدامها فقتلوه خنقا، وكان شجاعاً حازماً له وقائع مع الإفرنج يؤخذ عليه كما يقول المؤرخ المقريزى أنه قتل خلقاً كثيراً " ليوقع فى القلوب مهابته" وأحدث مظالم ومصادرات عمل بها بعده

انظر المزيد في: بدائع الزهور ١/ ٩٠، السلوك ١/ ٣٦٨، النجوم الزاهرة ٧/ ٣ — ٤١.

قتيلا بالحمام بمواطاة زوجته شجرة الدر وقتلت بعده وكانت مدة ولايته السلطنة ست سنين وعشرة شهور وسبعة وعشرين يوماً ثم ولى بعده ولده الملك المنصور[1] على بن المعز عز الدين أيبك التركمانى وكان طفلاً صغيراً وجعلوا الأمير [ق ١٨أ] علم الدين سنجر الحلبى الصغير أتابكاً، ثم خلع الملك المنصور من المملكة فى سابع عشر ذى القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة وهجر ووالدته إلى دمياط فاعتقلا بها ومدة مملكته سنتان وثمانية شهور وثلاثة أيام.

ثم ولى بعده الملك المظفر سيف الدين المعزى[2]،وهو الثالث من ملوك الترك فى التاريخ المتقدم ذكره وهو السابع والعشرون من ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة. وكانت مدة مملكته أحد عشر شهراً وسبعة عشر يوماً رحمة الله عليه.

---

(١) هو على بن أيبك التركمانى الصالحى نور الدين ثانى ملوك دولة المماليك البحرية فى مصر والشام ولى بعد مقتل أبيه الملك المعز أيبك سنة ٦٥٦هـ وهو صغير ولقب بالمنصور، فقام بتدبير مملكته الأمير علم الدين سنجر الحلبى ثم الأمير سيف الدين قطز، وجاءت الأخبار باستيلاء هولاكو على بغداد وأنه أرسل ابنه فى عسكر عظيم إلى حلب فاجتمع أمراء الدولة والقضاة وكبار المشايخ، فرأوا أن الموقف يحتاج إلى ملك تهابه الناس والملك صغير، فخلعوه فى أواخر سنة ٦٥٧هـ وولوا أتابك العساكر ونائب السلطنة " قطز" مكانه وأرسلوا علياً مع أمه إلى دمياط فأقام بها فى برج السلسلة إلى أن مات سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٩م وكان مولده سنة ٦٤٥هـ / ١٢٤٧ ومدة سلطنته الاسمية سنتان وثمانية أشهر وثلاثة أيام.

انظر المزيد فى: بدائع الزهور ١/ ٩٣، ١/ ٤٠٥ – ٤١٧.

(٢) هو قطز بن عبد الله المعزى سيف الدين ثالث ملوك الترك المماليك بمصر والشام. كان مملوكاً للمعز " أيبك" التركمانى وترقى إلى أن كان فى دولة المنصور بن المعز " أتابك" العساكر ثم خلع المنصور وتسلطن مكانه سنة ٦٥٧هـ وخلع على الأمير ركن الدين " بيبرس" البندقدارى وجعله أتابك العساكر وفوض إليه جميع أمور المملكة ونهض لقتال التتار وكانوا بعد تخريب بغداد قد وصلوا إلى دمشق وهددوا مصر، فجمع الأموال والرجال، وخرج من مصر فلقى جيشا منهم فى " عين جالوت" بفلسطين فكسره سنة ٦٥٨هـ وطارد فلوله إلى بيسان فظفر بهم ودخل دمشق فى موكب عظيم وعزل من بقى من أولاد بنى أيوب واستبدل بهم من اختار من رجاله ورحل يريد مصر وبينما هو فى الطريق تقدم منه أتابك عسكره " بيبرس" ووراءه عدد كبير من امراء الجيش، فتناولوه بسيوفهم فقتلوه سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م ودفن بالقصير ثم نقل إلى القاهرة.

ثم ولى بعده الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى[1] فى يوم الأحد الثامن والعشرين من ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة وتوفى إلى رحمة الله تعالى بالميدان بدمشق فى سابع المحرم سنة ست وسبعين وستمائة ودفن بعد ذلك بالتربة المعروفة به بدمشق ولم يظهر الأمراء موته وساروا إلى القاهرة بالطلب وفيه المحفة ومعهم الشربدار وغالب [ق ١٨ب] الناس يظن أن السلطان الظاهر ضعيف إلى أن وصلوا إلى القاهرة وطلعوا إلى قلعة الجبل ثم أظهروا موته، وكانت مدة مملكته سبع عشرة سنة وشهرين وعشرين يوماً.

وكان ملكاً شجاعاً مغازياً كثير الحيلة والأسفار فتح الساحل جميعه وغزا بلاد الروم وكسر التتار عدة مرارت رحمة الله عليه.

ثم ولى بعده ولده الملك السعيد بركة[2] فى شهر صفر سنة ست وسبعين وستمائة وتولى نيابة السلطنة بعد موت أبيه بيلبك الخازندار والأمير آق سنقر الفارقانى وخلع من المملكة

---

(١) هو بيبرس العلائى البندقدارى الصالحى ركن الدين الملك الظاهر: صاحب الفتوحات والأخبار والآثار، مولده سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م ومات سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م وأسر فبيع فى سيواس ثم نقل إلى حلب ومنها إلى القاهرة فاشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار وبقى عنده. فلما قبض عليه الملك الصالح " نجم الدين أيوب" أخذ بيبرس، فجعله فى خاصة خدمه ثم اعتقه ولم تزل همته تصعد به حتى كان " أتابك" العساكر بمصر، فى أيام الملك المظفر قطز وقاتل معه التتار فى فلسطين ثم أتفق مع أمراء الجيش على قتل قطز فقتلوه وتولى بيبرس سلطنة مصر والشام سنة ٦٥٨هـ وتلقب بالملك الظاهر أبى الفتوحات ثم ترك هذا اللقب وتلقب بالملك الظاهر وكان شجاعاً جباراً يباشر الحروب بنفسه وله الوقائع الهائلة مع التتار والإفرنج " الصليبيين" وله الفتوحات العظيمة منها بلاد النوبة ودنقلة ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسلاطين لها. وفى أيامه انتقلت الخلافة إلى الديار المصرية سنة ٦٥٩هـ وآثاره وعمائره وأخباره كثيرة جداً

انظر المزيد فى: فوات الوفيات ١/ ٨٥، النجوم الزاهرة ٧/ ٩٤، بدائع الزهور ١/ ٩٨ — ١١٢، السلوك١/ ٤٣٦ — ٦٤١.

(٢) هو محمد بركة أبو المعالى ناصر الدين بن الملك الظاهر بيبرس من ملوك دولة المماليك بمصر. ولد فى العش ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م من ضواحى القاهرة وولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٧٦هـ بعهد منه وعاصمته القاهرة " ودار الإمارة فى قلعة الجبل" واضطرب عليه أمر الشام فخرج إليها بجيش، ولما بلغ دمشق، علم بأن الخارجين عليه توجهوا إلى مصر للمناداة بخلعة، فركب وسبقهم إلى القاهرة ودخل القلعة فحاصره الثائرون فصالحهم على أن يخلع نفسه وتكون له الكرك " فى شرق الأردن" ورحل إليها فتسلمها بما فيها من أموال عظيمة، ولم يكد يستقر حتى تقنطر به فرسه وهو يلعب الكرة. فحم ومات سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٨٠م وحمل إلى دمشق فدفن فيها عند أبيه وكان حسن الشكل جسيما، كريما على الرعية، عى اللسان، منقطع الحجة " يسمع الخطاب ولا يرد الجواب وقال ابن تغرى بردى: كان سنى التدبير، مدة سلطنته سنتان وشهران وثمانية أيام.

انظر المزيد فى: السلوك ١/ ٦٤١، المختصر فى أخبار البشر ٣/ ١٢. مورد اللطافة ٤١، تاريخ ابن الفرات ٧/ ١٦٥، بدائع الزهور ١/ ١١٢، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٩، تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٢٧.

ثامن عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وستمائة. وجهز إلى الكرك واعتقل بها إلى أن مات، ومدة مملكته سنتان وشهران وعشرون يوماً.

ثم ولى بعده أخوه الملك العادل سلامش[1] فى يوم خلع أخيه وهو الثامن عشر من شهر ربيع الآخر المقدم ذكره، وخلع من المملكة فى الثانى والعشرين منه شهر رجب من السنة المذكورة ومدة مملكته [١٩أ] ثلاثة أشهر وعشرة أيام.

ثـم ولى السـلطنة بعـده الملك المنصور قلاوون الصالحى الألفى[2]، وهو السابع من ملوك الترك فى العشرين من شهر رجب الفرد سنة ثمان وسبعين وستمائة وتوفى إلى رحمة الله تعـالى لـيلة السبت سـادس شـهر ذى القعـدة سنة تسع وثمانين وستمائة بمخيمه خارج القاهـرة وحمـل إلى القلعة، ومدة سلطنته إحدى عشرة سنة وشهران وأربعة وعشرون يوماً وعمـره يـوم مـات نحو سبعين سنة. وكان ملكاً جليلاً عاقلاً مجاهداً مغازياً حسن التدبير ولم يكن كريماً

---

(١) هو سلامش بن بيبرس البندقدارى سيف الدين الملقب بالملك العادل بن الملك الظاهر من ملوك دولة المماليك بمصر والشام بويع بالسلطنة بمصر بعد خلع أخيه الملك السعيد سنة ٦٧٨هـ وكان عمره لما تسلطن سبع سنوات ونصفا ويعرف بابن البدوية، وضربت السكة باسمه وقام بتدبير مملكته قلاوون الألفي وكان يخطب لهما على المنابر فلم يلبث قلاوون أن اعتقل أنصار سلامش من أمراء الدولة الظاهرية وسجنهم فى الإسكندرية وأعلن خلع العادل السلامش، فى السنة نفسها، فكانت مدة سلطنته الإسمية خمسة أشهر وأياماً وأرسله إلى قلعة الكرك فنشأ بها وظل إلى أن نقله الملك الأشرف خليل بن قلاوون إلى القسطنطينية مخافة فتنته فتوفى فيها سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م وكان مولده سنة ٦٧٠هـ / ١٢٧١ وصبرته أمه فى تابوته وحملته معها إلى القاهرة ودفن بالقرافة.

انظر المزيد فى: بدائع الزهور ١/ ١١٤ – ١٢٨، السلوك ١/ ٧٧٦، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٨٦.

(٢) هو قلاوون الألفى العلائى الصالحى النجمى أبو المعالى سيف الدين السلطان الملك المنصور ، أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام والسابع من ملوك الترك واولادهم بمصر. ولد سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م، كان من مماليك قبجاقى الأصل أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ فأخلص الخدمة للظاهر بيبرس وقام بأمور الدولة فى أيام العادل سلامش بن الظاهر، فكان يخطب له وللعادل على منابر مصر وضربت السكة باسمهما ثم خلع العادل وتولى السلطنة منفرداً سنة ٦٧٨هـ وجلس على سرير الملك فى قلعة الجبل وأغار التتار على بلاده فقاتلهم وظفر بهم وهاجم ملك النوبة مدينة أسوان ونهبها فأرسل إليه قلاوون من هزمه وغنم منه مغانم كثيرة واستمر إلى أن توفى بالقاهرة سنة ٦٨٩هـ، وكان من أجل ملوك المماليك قدراً ومن أكثرهم فض المظالم، ومن آثاره البيمارستان بين القصرين. قال ابن إياس: كان قليل الكلام بالعربى مدة ملكه إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر

انظر المزيد فى: مورد اللطافة ٤٢ – ٤٣، بدائع الزهور ١/ ١١٤، السلوك ١/ ٦٣٣، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٩٢، فوات الوفيات ٢/ ١٣٣.

ثـم ولى بعـده السـلطنة ولـده الأشـرف خليل[1] بويع له بالسلطنة ثانى يوم وفاة والده المشـار إلـيه وهـو السـابع من ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة وتوفى إلى رحمة الله تعـالى قتـيلاً قريـباً مـن تروجه حادى عشر شهر صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة، ومدة ولايته ثلاثون سنة عن ابنتين ولم يترك ولداً ذكراً. وكان ملكاً كريماً شجاعاً مقداماً سريع الحركة مظفراً فى حروبه [ق ١٩ب] فتح عكا وبيروت وغيرهما.

ثـم ولى بعـده أخـوه الملـك الناصر محمد بن قلاوون[2] يوم السبت سادس عشر المحرم سـنة ثـلاث وتسـعين وستمائة، وكان عمره يوم ولى سبع سنين وكان القائم بتدبير المملكة الأمير كتبغا وصار الأمر والحل والنقض والعقد والإبرام لكتبغا وليس للناظر سوى الاسم.

---

(١) هو خليل بن قلاوون الصالحى الملك الأشرف صلاح الدين بن السلطان الملك المنصور من ملوك مصر، ولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٩هـ واستفتح الملك بالجهاد فقصد البلاد الشامية وقاتل الإفرنج فاسترد منهم عكا وصور أو صيدا وبيروت وقلعة الروم وبيسـان وجميع السـاحل وتوغل فى الداخل وكان شجاعاً مهيباً عالى الهمة جواداً، له آثار عمرانية قتله بعض المماليك غيلة بمصر. سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م.

انظر المزيد فى: فوات الوفيات ١/ ١٥١، تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٣٨، النجوم الزاهرة ٨/ ٣، السلوك للمقريزى ١/ ٧٥٦ – ٧٩٣، بدائع الزهور ١/ ١٢١.

(٢) هو محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحى أبوالفتح من كبار ملوك الدولة القلاوونية له آثار عمرانية ضخمة وتاريخ حافل بجلائل الأعمال، كانت إقامته فى طفولته بدمشق وولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ وهو صبى وخلع منها لحداثته سنة ٦٩٤هـ فأرسل إلى الكرك وأعيد للسلطنة بمصر سنة ٦٩٨هـ فأقام فى القلعة كالمحجور عليه والأعمال فى يد الأستادار الأمير بيبرس الجاشنكير ونائب السلطنة الأمير سلاّر. واستمر نحو عشرين سنة ضاق بها صدره من تحكمهما فأظهر العزم على الحج وتوجه بعائلته وحاشيته ومماليكه وخيله، فودعه بيبرس وسلار وبقية الأمراء وهم على خيولهم لم يترجلوا له، وبلغ الكرك فنزل بقلعتها واستولى على ما فيها من أموال و أعلن أنه قد أنثنى عزمه عن الحج واختار الإقامة بالكرك وترك السلطنة وكتب إلى الأمراء فى مصر بذلك فاجتمع هؤلاء ونادوا بالأمير بيبرس الجاشنكير سلطاناً على مصر والشام سنة ٧٠٨هـ ولقبوه بالملك المظفر وامضى الناصر فى الكرك قريباً من عام ثم وثب فدخل دمشق وزحف إلى مصر فقاتل المظفر بيبرس وعاد إلى عرشه سنة ٧٠٩هـ وقتل بيبرس بيده خنقا وشرد أنصاره وامتلك قيادة الدولة فخطب له بمصر وطرابلس الغرب والشام والحجاز والعراق وديار بكر والروم وغيرها وأتته هدايا ملوك المغرب والهند والصين والحبشة والتكرور والنوبة والترك والفرنج وأبطل مكوساً كثيرة واستمر ٣٢ سنة وشهرين و٢٥ يوماً كانت فيها سير وأنباء أوردها المقريزى. مات سنة ٧٤١هـ / ١٣٤١م

انظر المزيد فى: مورد اللطافة ٤٤، السلوك ١/ ٦٦٣، تاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٤٠، فوات الوفيات ٢/ ٢٦٣، بدائع الزهور ١/ ١٢٩.

ثم خلع الملك الناصر من السلطنة ونقل هو وأمه إلى قاعة من قاعات القلعة وعلل خلعه بأنه صغير السن ولا ينتظم أمر المملكة بولايته فولى السلطنة عنه الأمير كتبغا المنصوري يوم الأربعاء حادى عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة. ثم فر كتبغا بمنزلة نهر العوجا قريباً من غزة يوم الثلاثاء سابع عشرى المحرم سنة ست وتسعين وستمائة ثم توجه إلى الشام وخلع نفسه بعد أيام. ثم جهز إلى صرخد فأقام بها مدة سلطنة المنصور لاجين[1]. ثم بعد ذلك أنعم عليه بنيابة حماة وكانت مدة إقامته بصرخد وحماة عشر سنين ثم مات بحماة ودفن بها. ومدة سلطنته سنتان وتسعة عشر يوما.

ثم ولى [ق ٢٠أ] السلطنة بالديار المصرية عن كتبغا[2] الأمير حسام الدين لاجين المنصوري المعروف بالصغير في يوم فرار كتبغا وهو سابع عشرى المحرم سنة ست وتسعين وستمائة.

---

(١) هو لاجين المنصور حسام الدين بن عبد الله المنصوري من ملوك دولة المماليك البحرية بمصر والشام وهو الحادى عشر من ملوك الترك ويسمى "الروك" الحسامى كان مملوكا للمنصور قلاوون وإليه نسبته وتقدم إلى أن ولى نيابة السلطنة فى أيام العادل " كتبغا" ثم خلع العادل وولى السلطنة سنة ٦٩٥هـ وتلقب بالملك المنصور وجعل مملوكه " منكوتمر" نائباً للسلطنة وأساء هذا السيرة، فكره الناس لاجين فقام بعض مماليك الأشرف " خليل" فقتلوه فى قصره ومدتة سنتان وأحد عشر شهراً وكان مهيب الشكل موصوفا بالفروسية، عاقلا يحب العدل ومجالسة الفقهاء، أبطل كثيراً من المكوس.
انظر المزيد فى: مورد اللطافة ٤٩، بدائع الزهور ١/ ١٣٦، النجوم الزاهرة ٨/ ٨٥، السلوك ١/ ٨٢٠ — ٨٦٥.

(٢) هو كتبغا بن عبد الله المنصوري زين الملقب بالملك العادل من ملوك المماليك البحرية فى مصر والشام، أصله من سبى التتار من عسكر هولاكو أخذه الملك المنصور قلاوون فى وقعة حمص الأولى سنة ٦٥٩هـ وجعله من مماليكه فنسبه إليه المنصوري وتقدم في الخدمة إلى أن ولى السلطنة محمد بن قلاوون، فجعله نائب السلطنة وخلع محمد لصغر سنه فتسلطن كتبغا سنة ٦٩٤هـ وتلقب بالملك العادل ثم قصد الشام فخالفه الأمير لاجين بمصر واستولى على كرسى السلطنة وأرسل إليه يأمره بخلع نفسه، فأذعن كتبغا وأشهد على نفسه بالخلع وهو فى دمشق سنة ٦٩٦هـ ومدته سنتان و٥١ يوماً ثم أوعز إليه بالسفر إلى صرخد فأقام بها معززاً مكرماً إلى سنة ٦٩٩هـ وعاد محمد بن قلاوون إلى السلطنة فأنعم على العادل كتبغا بمملكة حماة وأعمالها فانتقل إليها سنة ٦٩٩هـ واستمر إلى أن توفى بها ثم نقلت جثته إلى دمشق سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٣م وكان شجاعاً ديناً وكان مولده سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤١م.
انظر المزيد فى: النجوم الزاهرة ٨/ ٥٥، فوات الوفيات ٢/ ١٣٨.

ثم جددت له الولاية بعد ظهور كتبغا وخلع نفسه. وفى سنة سبع وتسعين وستمائة أمر بروك البلاد وانتدب روك بلاد مصر الأمير بيليك الفارسى الحاجب ومن معه، وكان ذلك ضرر السلطان لاجين المنصورى وأن الأمراء والأجناد ضعفت أرزاقهم بواسطة ذلك. وجهز الناصر محمد بن قلاوون إلى الكرك ثم قتل لاجين رحمه الله فى يوم الخميس عاشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ومدة مملكته سنتان وشهران وتسعة أيام. وكان ملكاً شجاعاً مقداماً هجاماً في البوادى والقفار ومع ذلك قتله مماليكه فسبحان من لا يرد أمره. ثم بعد قتل لاجين عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى سلطنة الديار المصرية من الكرك وكان دخوله إلى القاهرة فى رابع شهر جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وستمائة. وجددت له البيعة بالمملكة وجلس على تخت الملك الشريف. ثم إن الملك الناصر محمد بن قلاوون المشار إليه وجد من نفسه من عدم نفوذ كلمته ووصوله إلى غرضه وإنحصار الكلمة فى سلار وبيبرس الجاشنكير فأظهر فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعمائة أنه يريد السفر إلى الحجاز فأرسل حريمه من الدرب المصرى وتوجه هو ومن أحب من الأمراء والمماليك فوصل إلى الكرك عاشر شهر شوال فعند وصوله إلى الكرك أظهر أنه اثنى عزمه عن التوجه إلى الحجاز وسأل الأمراء أن يقيم بالكرك وأرسل واحضر عياله من عقبة ايلاء إلى الكرك وترامى عليه من كان معه من الأمراء ألا يقيم بالكرك فلم يجب سؤالهم وكتب إلى الأمراء بالديار المصرية وهما سلار وبيبرس ومن معهما أنه يستعفى من السلطنة وأن يقيم هو وعياله ومن يخدمه بالكرك وأن يقطعوه الكرك فأجابوا [ق ٢١أ] سؤاله وطلب كل من سلار وبيبرس الجاشنكير السلطنة، ولكن سلار كان متستراً لم يظهر طلبه فولى بيبرس الجاشنكير السلطنة بالديار المصرية يوم السبت ثالث عشر شوال سنة ثمان وسبعمائة، واستمر إلى أيام فى شهر رجب سنة تسع وسبعمائة خامر بعض الأمراء على بيبرس وتوجهوا إلى الكرك فأحضروا الملك الناصر محمد بن قلاوون فى القاهرة، وفر بيبرس إلى اطفيح وتاب سلار وأظهر الطاعة للناصر ثم أرسل بيبرس بطلب الأمان فأنعم له بنيابة صهيون ثم أمر به فاحضر إلى القاهرة ثم قتل بعد ذلك، وكان مدة سلطنته سنة كاملة وأياماً قليلة وعاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة فوصل إلى القلعة يوم عيد الفطر سنة تسع وسبعمائة.

ثم فى سنة ثلاث عشرة وسبعمائة عيد الناصر عيد الفطر قريب دمشق ثم توجه إلى دمشق فدخلها ثالث عشرى شوال، ثم توجه الناصر من الشام إلى الحجاز فحج ورجع بعد الحج إلى مصر، ثم حج أيضاً الناصر [ق٢١ب] فى سنة عشرين وسبعمائة. ثم حج فى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة واستمر فى هذه السلطنة الثالثة إلى أن توفي رحمه الله فى تاسع عشر ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة بالقاهرة المحروسة. وكان الناصر رحمه الله تعالى ملكاً مطاعاً مهاباً محفوظاً ذا حزم ورأى، طويل الصبر على ما يكره إذا حاول أمراً لا يسرع إليه بل يحتاط غاية الاحتياط. وكان عارفاً بالأمور يعظم أهل العلم والمناصب الشرعية لا يقرر فيها إلا من يكون أهلا لها ويجهد فى ذلك ويبحث عنه، وكان مسعوداً فى حركاته وصفت له الأيام وسالمته الأنام واطاعه الخاص والعام.

ومدة ولايته السلطنة في الثلاث ولايات إحدى وأربعون سنة وسبعة شهور ويومان. السلطنة الأولى سنة إلا خمسة أيام. والسلطنة الثانية تسع سنين وأربعة شهور وثمانية عشر يوماً. والسلطنة الثالثة التى مات فيها إحدى وثلاثون سنة وشهران وتسعة عشر يوماً وتسلطن من أولاده [ق٢٢أ] ثمانية على الولاء.

وولى بعده ولده أبو بكر[١] وولى المنصور بعهد أبيه، له فى ضعفه وكان جلوسه على تخت الملك الشريف فى يوم الخميس حادى عشرى شهر ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة.

ثم خلع الملك المنصور أبو بكر وكانت مدة سلطنته تسعة وخمسين يوماً.

---

(١) هو أبو بكر بن محمد قلاوون سيف الدين الملك المنصور ابن الملك الناصر من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام، وهو أول من ولى من أبناء الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان أبوه قد عهد إليه بالسلطنة فتولاها بمصر بعد وفاته فى أواخر سنة ٧٤١هـ فخلع الخليفة " الواثق" إبراهيم، وأقام " الحاكم بأمر الله" أحمد بن سليمان واعتقل جماعة من أمراء الجيش وجعل الأمير قوصون أتابكا للعساكر ثم تغير عليه وهم باعتقاله فسبقه قوصون وقبض عليه وأرسله إلى السجن فى قوص وأوعز إلى متولى قوص بقتله فقتله سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م وكان مولد سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م. ومدة سلطنته ثلاثة أشهر

انظر المزيد فى: بدائع الزهور ١/ ١٧٦، السلوك ٢/ ٥٤٦، البداية والنهاية ١٤/ ١٩٠ – ١٩١، النجوم الزاهرة ١٠/ ٣٠.

وولى بعده أخوه كجك[1] ولقب بالأشرف وأرسل المنصور وباقى أخوته إلى قوص وولاية كجك السلطنة بالديار المصرية فى حادى عشرى شهر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وكان سن كجك حين ولى السلطنة دون الخمس سنين واستقر الأمير قوصون نائب السلطنة عنه، ثم خلع الأشرف كجك من السلطنة يوم الخميس مستهل شهر شعبان من السنة المذكورة. فكانت مدة ولايته السلطنة خمسة أشهر وعشرة أيام وقبض على قوصون. ثم جهز بعد ذلك إلى الإسكندرية.

ثم ولى بعده السلطنة أخوه الملك الناصر شهاب الدين[2] أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون فى يوم الخميس مستهل شهر شعبان سنة اثنتين وأربعين [ق ٢٢ب] وسبعمائة فولى الأمر عن قوصون الأمير ايدغمش ثم خلع الملك الناصر أحمد المشار إليه من السلطنة فى ثانى عشرى المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة. فكانت مدة ولايته خمسة أشهر واثنين وعشرين يوماً. ثم قتل بالكرك بعد ذلك وولى السلطنة بالديار المصرية أخوه

---

(١) كجك بن محمد بن قلاوون علاء الدين الملك الأشرف بن الملك الناصر من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام، نصبه الأتابكى قوصون بعد أن قتل أخاه المنصور أبا بكر سنة ٧٤٢هـ وكان الأشرف طفلاً فأجلسه قوصون على السرير بمصر وتصرف هو فى أمور المملكة فاضطربت أحوالها وثار أمير أيدغمش ويلقب بأمير أخور كبير أى الرئيس الكبير للإسطبل فظفر بقوصون وسجنه وخلع الأشرف واعتقله فى دور الحرم فلبث بضع سنين ومات سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٦م وكان مولده سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٤م. ومدة سلطنته خمسة أشهر وأيام.

انظر المزيد فى: بدائع الزهور ١/ ١٧٧، الدرر الكامنة ٣/ ٢٦٥، البداية والنهاية ١٤/ ١٩٢ – ١٩٤ النجوم الزاهرة ١٠/ ٢١و ١٢٢.

(٢) هو أحمد بن محمد بن قلاوون شهاب الدين الملك الناصر بن الملك الناصر من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، ولد بالقاهرة سنة ٧١٦هـ / ١٣١٦م وأرسله أبوه إلى الكرك ليتعلم الفروسية فاستمر فيها أيام أبيه الناصر الأول وأخويه أبى بكر المنصور والأشرف " كجك" وتولى السلطنة سنة ٧٤٢هـ بعد خلع الأشرف فانتقل إلى القاهرة وتلقب بلقب أبيه الناصر وقتل جماعة من امراء الجيش كانوا فى السجن وجمع أموالاً من الخزائن السلطانية وتحفها وعاد إلى الكرك واتهم بالانغماس فى اللهو، فكتب قواد الشام إلى قواد مصر فى خلعه، فخلعوه فى أوائل سنة ٧٤٣هـ وولوا أخاه إسماعيل الصالح وأرسلوا الجيش لمحاصرة أحمد فى الكرك فقاتل وقوتل إلى أن أمسكه الأمير منجك اليوسفى فذبحه وأحضر رأسه فى علبة إلى القاهرة ومدة حكمه بمصر ٧٢ يوماً.

انظر المزيد فى: بدائع الزهور ١/ ١٧٩ – ١٨٢، الدرر الكامنة ١/ ٢٩٤، البداية والنهاية ١٤/ ١٩٣ – ٢٠٧، النجوم الزاهرة ١/ ٥٠.

إسماعيل[1] ولقب بالملك الصالح باتفاق من الأمراء وذلك في يوم الخميس ثاني عشر المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وهو ثاني يوم خلع أحمد أخيه، واستقر الأمير أرغون العلاى مدبر الدولة وكافل السلطان وتوفي إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس رابع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة، ومدة سلطنته ثلاث سنين وشهران واحد عشر يوماً ودفن عند أبيه وجده بالقبة المنصورية بالقاهرة المحروسة وكان رحمه الله رقيق القلب زائد الرأفة والشفقة كريماً جواداً مائلاً إلى الخير وبلغ من العمر نحو عشرين سنة رحمه الله.

ثم ولي بعده أخوه شعبان[2] في يوم وفاته المتقدم ذكره ولقب بالملك الكامل ثم خلع في مستهل شهر جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة ومدة سلطنته سنة وشهران تنقص أربعة أيام.

---

(١) هو إسماعيل بن محمد بن قلاوون أبو الفداء علاء الدين الملقب بالملك الصالح بن الملك الناصر من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، بويع بالسلطنة بمصر بعد خلع أخيه الناصر أحمد أول سنة ٧٤٣هـ وكانت أمور الدولة مختلة فأصلحها، وحسنت سيرته. قال ابن إياس: كان خيار أولاد الملك الناصر محمد، له بر ومعروف على جهات الخير، استمر إلى أن توفي سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م عن نحو عشرين سنة بالقاهرة. ومدة سلطنته ثلاث سنين وشهر ونصف.

انظر المزيد في: بدائع الزهور ١/ ١٨١، البداية والنهاية ١٤/ ٢٠٢ – ٢١٦، النجوم الزاهرة ١٠/ ٧٨ الدرر الكامنة ١/ ٣٨٠.

(٢) هو شعبان الكامل بن محمد الناصر بن قلاوون، من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولي السلطنة بالقاهرة بعد وفاة أخيه الصالح إسماعيل وبعهد منه سنة ٧٤٦هـ وكان طائشاً متهوراً، استدعى أخويه " حاجي وحسينا" فتأخرا عن الحضور فأمر بقتلهما وأقبل على اللهو واللعب بالحمام، وصادر أموال الموظفين، فثار أمراء الجيش، فقاتلهم فكسروه وخلعوه وأنقذوا أخويه، فولوا أحدهما السلطنة (وهو حاجي بن محمد) وسجنوا شعبان حيث كان أخواه، فأرسل إليه حاجي خنقه في سجنه ومدة سلطنته سنة وشهران ونصف الشهر وكان مقتله سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م كان من أشد الملوك ظلماً وعسفاً وفسقاً"

انظر المزيد في: بدائع الزهور ١/ ١٨٣، البداية والنهاية ١٤/ ٢١٦ – ٢١٩، الدرر الكامنة ٢/ ١٩١، شذرات الذهب ٦/ ١٥٠، النجوم الزاهرة ١٠/ ١١٦ و ١٤٠.

وولى بعده حاجى[1] بن الناصر محمد بن قلاوون ولقب بالملك المظفر فى التاريخ المتقدم ذكره يوم خلع أخيه، ثم خلع فى ثانى عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وقتل، ومدة سلطنته سنة وثلاثة شهور واحد عشر يوماً.

ثـم ولى بعـده أخـوه الملـك الناصر[2] حسن بن محمد بن قلاوون فى ثانى عشر رمضان سـنة ثمـان وأربعـين وسبعمائة وناب عنه في السلطنة بيبغاروس ودبر المملكة شيخون.ثم أنـه توفـى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة حنق على بيبغاروس وشيخون فأمسك شيخون أولاً وأرسـله إلى الإسـكندرية ثـم قـبض عـلى بيـبغاروس بعـد أن أثبت الناصر عند قضاة الشرع أنه بالغ رشيد أو شهد برشده جماعة.

ثـم خلـع الناصـر حسـن من المملكة فى ثامن عشرى شهر جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين [ق ٢٣ب] وسبعمائة.

---

(١) هو حاجى بن محمد الناصر بن قلاوون سيف الدين الملقب بالملك المظفر من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، ولى بالقاهرة بعد مقتل أخيه الكامل شعبان سنة ٧٤٧هـ وشغل باللهو واللعب بالحمام لصغر سنه وساءت سيرته، فقتل بعض القواد وهم بقتل آخرين فعاجلوه بالقتل، سنة ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧م وكان مولده سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م ومدة سلطنته سنة وأربعة أشهر وسمى بحاجى لأنه ولد فى طريق عودة أبيه من الحج.
انظر المزيد فى: الدرر الكامنة ٢/ ٣، البداية والنهاية ١٤/ ٢١٩، بداع الزهور ١/ ١٨٧، النجوم الزاهرة ١٠/ ١٤٨.

(٢) هو حسن الناصر بن محمد الناصر بن قلاوون أبو المحاسن من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، بويع بمصر صغيراً بعد مقتل أخيه (حاجى المظفر) سنة ٧٤٨هـ وكان اسمه " قمارى" فلما ولى السلطنة تسمى " حسنا" وقام بأمور الدولة الأمير يلبغا أروس نائب السلطنة ووزعت العطايا باسم الناصر واستمر إلى سنة ٧٥٢هـ فثار عليه بعض أمراء الجند فخلعوه وسجنوه بالقلعة فى دور الحرم وولوا أخاه صالحاً " الصالح الثانى" ثم خلعوه سنة ٧٥٥هـ وأعادوا الناصر، فقبض على زمام الأمور بحزم وخافه الناس فأكمن له مملوكه الأمير يلبغا كمينا وهو فى بر الجيزة، فأخذه على غرة وقاتل بعدد قليل من حاشيته فنجا، وتنكر بزى أعرابى وأراد السفر إلى الشام، فقبض عليه فى المطرية فكان آخر العهد به، وقيل خنق ورمى فى النيل. وكانت مدة سلطنته الثانية ست سنين وتسعة أشهر وأياماً. كان شجاعاً مهيباً وافر الحرمة، عالى الهمة، محباً للرعية، غير أنه كان كثيراً ما يصادر أرباب الوظائف لأجل المال، وكان يميل إلى اللهو والطرب. وكان مولده سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٦م ومات سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦١م.
انظر المزيد فى: بدائع الزهور ١/ ١٩٠ — ٢٠٢، البداية والنهاية ١٤/ ٢٤٤ — ٢٧٩.

وولى أخـوه صـالح السـلطنة عنه ولقب بالملك الصالح وأخرج شيخون. ثم أعيد الناصر حسـن إلى السـلطنة فـى شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة واستقر شيخون وصرغتمش بـتدبير المملكـة ثـم مـات شـيخون فاستقر صرغتمش بتدبير المملكة ثم قبض الناصر حسن عـلى صـرغتمش في رمضان سنة تسع وخمسين وسبعمائة، وانفرد الناصر بالمملكة وصفت له الدنيا وعمر المدرسة المعروفة به بسوق الخيل تحت القلعة. ثم خُلِعَ وقتل بعد ذلك في شـهر جمـادى الأولى سـنة اثنتين وستين وسبعمائة وكانت مدة ولايته السلطنة في المرتين تسـع سـنين وعشـرة شـهور وثلاثة وعشرين يوماً منها السلطنة الأولى ثلاث سنين وثلاثة شـهور وسـتة عشـر يومـاً والسـلطنة الثانـية سـت سنين وسبعة شهور وسبعة أيام، وكان السـلطان الناصـر حسـن مفرطاً في الذكاء. ولما سجن بعد خلعه من السـلطنة الأولى اشتغل بالعلم ونسخ كتاب دلائل النبوة للبيهقي[1] بخطه [ق ٢٤ أ] رحمه الله تعالى.

ثم ولى بعده ابن أخيه محمد بن المظفر حاجى[2] ولقب بالملك المنصور تاسع شهر ربيع الأولى سـنة اثنتين وسبعمائة، وقام بتدبير المملكة عنه يلبغا لأن المنصور كان عمره يوم ولى

---

(١) هو البيهقى الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان أبو بكر أحمد بن الحسين بن على بن موسى الخسروجردى صاحب التصانيف. ولد سنة ٣٨٤هـ في شعبان ولزم الحاكم وتخرج به وأكثر عنه جداً وهو من كبار أصحابه بل زاد عليه بأنواع من العلوم. كتب الحديث وحفظه من صباه، وبرع وأخذ في الأصول. وأنفرد بالإتقان والضبط والحفظ ورحل، ولم يكن عنده " سنن النسائي" ولا " جامع الترمذى" ولا " سنن ابن ماجه" له عدة مصنفات منها " السنن الكبرى" و " الصغرى" و " شعب الإيمان" و " الأسماء والصفات" و " دلائل النبوة" و " المدخل" و " المعرفة" و " الترغيب والترهيب" و " الخلافيات" و " الزهد" و " المعتقد" وغير ذلك. مات سنة ٤٥٨هـ.

انظر المزيد في: الأنساب ١٠١، البداية والنهاية ١٢/ ٩٤، تبيين كذب المفترى ٢٦٥، تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٣٢، شذرات الذهب ٣/ ٣٠٤، طبقات السبكى ٤/ ٨، طبقات ابن هداية الله ١٥٩، العبر ٣/ ٢٤٢، اللباب ١/ ١٦٥، معجم البلدان ١/ ٨٠٤، المنتظم ٨/ ٢٤٢، النجوم الزاهرة ٥/ ٧٧ وفيات الأعيان ١/ ٢٠.

(٢) هو محمد المنصور بن حاجى المظفر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام بويع بالسلطنة بالقاهرة بعد مقتل عمه " الناصر الثالث" حسن بن محمد سنة ٧٦٢هـ وضربت السكة باسمه وقام بتدبير ملكه أتابك عساكره الأمير يلبغا " قاتل عمه" فدامت سلطنته سنتين وأربعة أشهر، وتغير عليه يلبغا فخلعه وأدخله فى دور الحرم بقلعة القاهرة سنة ٧٦٤هـ فشغل باللهو والسكر والسماع إلى أن مات سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٨م وكان مولده سنة ٧٣٨هـ / ١٣٣٨م

انظر المزيد في: بدائع الزهور ١/ ٢١١ – ٢١٢، البداية والنهاية ١٤/ ٢٧٨ – ٣٠٢.

السلطنة نحو أربعة عشرة سنة. وخلع المنصور من السلطنة في النصف الثاني من شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة وقام يلبغا في ذلك وأدعى ان المنصور مختل العقل وأنه ليس أهلاً للقيام بأمر المملكة. ومدة ولاية المنصور السلطنة سنتان وثلاثة شهور وستة أيام.

ثم تولى بعده شعبان[1] بن حسين بن محمد بن قلاوون في يوم خلع المنصور ولقب شعبان بالأشرف وكان عمره يوم ولي عشر سنين وقام بأمر المملكة يلبغا ووالد الأشرف شعبان، أخذ الفرنج الإسكندرية في أول سنة سبع وستين وسبعمائة وأسروا منها خلقاً كثيراً. وكان أمراً مهولاً.

وفي سنة تسع [ق ٢٤ب] وستين وسبعمائة: قدم الفرنج على طرابلس في مائة وثلاثين مركباً وكان نائب طرابلس غائباً عنها فقاتلهم المسلمون المقيمون بطرابلس وظفر الله المسلمين وولى الفرنج بمراكبهم منهزمين خائبين ولله الحمد.

وأمر السلطان والأمير يلبغا بعمارة الشواني والأغربة وعمرت وشحنت بالرجال والعدد، وخرج السلطان والأمير يلبغا والأمراء إلى رؤية الأغربة ونزلوا ببولاق التكرور وذلك في ربيع الأول. وكان مماليك يلبغا تشوشت خواطرهم وتوغرت قلوبهم من يلبغا مخدومهم لأنه كان يضرب بعضهم الضرب الشنيع المبرح على الذنب اليسير فأتوا إلى بعض الأمراء يشكون حالهم فوعدهم الأمراء أن يجتمعوا بيلبغا في أمرهم فاجتمعوا به وشفعوا عنده في مماليكه فردهم خائبين فاعلموا مماليكه بذلك فأزداد توغرهم فوثبوا على أستاذهم وأتى بعضهم إلى السلطان الأشرف والأمراء ووقعت المحاربة بينهم وطلب يلبغا الخليفة وسأله أن يفوض السلطنة لانوك أخو [ق ٢٥أ] الأشرف فامتنع من ذلك واحتج بأن الشوكة للأشرف شعبان فأمر يلبغا بالكوسات فدقت وأقام شعار السلطنة كله لانوك

---

(١) هو شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون أبو المعالى ناصر الدين من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجى سنة ٧٦٤هـ وقام بأمور الدولة في أيامه أتابك العساكر الأمير يلبغا " قاتل عمه الناصر الثالث، وخالع ابن عمه محمد المنصور ابن حاجى" وفى أيامه سنة ٧٦٧هـ أغار الإفرنج بقيادة صاحب قبرص على الإسكندرية في سبعين مركباً وظلوا زهاء أسبوع " يقتلون الرجال، ويأخذون الأموال، ويأسرون النساء والأطفال" و " تحولت الغنائم إلى الشوائن بالبحر، فسمع للأسارى من العويل والبكاء والشكوى إلى الله، ما قطع الأكباد وذرفت له العيون" ولد سنة ٧٤٥هـ / ١٣٥٣م ومات سنة ٧٧٨هـ / ١٣٧٧م.

انظر المزيد في: مورد اللطافة ٨٧، بدائع الزهور ١/ ٢١٢، حسن المحاضرة ٢/ ١٠٤.

وقال: أنا أدبر وأعينه وأؤيده ومن الشوكة غيرى فلم يجد الخليفة بداً من سلطنة أنوك وأقاموه سلطاناً ولقبوه بالملك المنصور وأركبوه بالشعار السلطانى واشتدت الحرب بين جماعة الأشرف شعبان من الأمراء والمماليك ومن معه من مماليك يلبغا وبين يلبغا ومن معه وتوجه السلطان الأشرف بعساكره إلى شبرا واستمر يلبغا وأنوك ومن معهما بالجزيرة ووقع الحرب الشديد بينهم وتفاءل الناس بالنصر للأشرف شعبان والخزلان ليلبغا ومن معه وكان كذلك وانسل الناس من يلبغا شيئاً بعد شئ حتى لم يبق معه إلا مائة نفس أو دونهم ثم توجه يلبغا إلى بيته وعالم كثير من المسلمين ثم أمر الأشرف بإحضار يلبغا إلى بين يديه فأحضر ومعه طبيغا حاجب [ق ٢٥ب] الحجاب فحبسا بالقلعة فخشى المماليك أن السلطان الأشرف يفرج عن يلبغا فيهلكهم فبادروا إلى قتله وإحراق رأسه وغسلت جثته وحملت إلى تربته بالصحراء وذلك فى عاشر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وسبعمائة. وفى شهر شوال سنة ثمان وسبعين المذكورة توجه الأشرف إلى الحجاز فوقع بينه وبين المماليك شر بالعقبة فى الطلعة وثبوا عليه ليقتلوه بسبب أنهم أرادوا منه الاتفاق عليهم فامتنع فسأله من معه من أكابر الأمراء فى ذلك فلم يجبه، فلما قاموا عليه رجع هارباً على الهجن إلى القاهرة فوجد الأمراء والمماليك الذين خلفهم بالقاهرة قد قاموا أيضاً قاصدين خلعه من الملكة، وتولية على ولده وعهد له بالسلطنة فى حياة أبيه ولقب بالملك المنصور فى ثالث ذى القعدة من السنة المذكورة، وكان والده قد أوصى عند سفره الحجاز أنه إن أصيب بموت أن يقام ولده على فى السلطنة فلما رجع الأشرف هارباً اختفى عند امرأة بالمحمودية فدلت [ق ٢٦أ] عليه امرأة وظفر به اعداؤه من الأمراء والمماليك وقتلوه قتله شنيعة ودفن بالكيمات بالقرب من السيدة نفيسة ثم نقله بعض خدام السلطان إلى مدرسة أمه بالتبانة وذلك فى شهر ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة، وكانت ولايته السلطنة أربعة عشرة سنة وشهرين وخمسة عشر يوماً ومات عمره أربع وعشرون سنة وكان ليناً يحب الخير وفعله.

ثم ولى بعده ولده الملك المنصور[1] على بن الأشرف شعبان فى التاريخ المتقدم ذكره وهو ثالث ذى القعدة فى حياة أبيه وهوغائب بدرب الحجاز وقصد طشتمر الدوادار العود بالحجاج إلى القاهرة من العقبة فقام الناس عليه وحصل نهب وتشويش فوصل الحجاج راجعين إلى ابيار العلاى وأمر الأمير بهادر على الحجاج، ورجع غالب الأمراء والمماليك وأرموا أثقالهم ونهبت أموالهم واستمر الملك المنصور على بن الأشرف شعبان المشار إليه فى السلطنة إلى يوم الأحد ثالث [ق ٢٦ب] عشرى شهر الحجة سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة فتوفى فى ذلك اليوم ومدة ولايته فى السلطنة خمس سنين وثلاثة وعشرون يوماً وكان عمره يوم مات اثنتى عشرة سنة ولم يكن له من السلطنة سوى الاسم والجلوس على التخت وله نفقه فى كل يوم.

ثم ولى بعده فى يوم وفاته حاجى بن الأشرف شعبان ولقب بالملك الصالح وكان القائم فى المملكة الأمير الكبير برقوق والأمير بركة.

ثم خلع الملك الصالح حاجى فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة لصغر سنه، ومدة ولايته السلطنة سنة وثمانية شهور وخمسة وعشرون يوماً وكان حاجى هذا أخر من ولى من أولاد قلاوون رحمهم الله.

---

(١) هو على بن شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام، بويع له بمصر وهو طفل، يوم ثورة المماليك على أبيه فى العقبة " وكان أبوه فى طريقه إلى الحجاز حاجاً" وتمت له البيعة بعد مقتل أبيه سنة ٧٧٨هـ وقام مماليكه بتدبير الشؤون فاختلفوا واقتتلوا وانحصرت الرياسة بالأمير " أيتبك" البدرى وسمى أتابكاً للعساكر فلم يرضهم، فقاتلوه وأسروه وأقيم المقر السيفى " برقوق" العثمانى أتابكاً وتتابعت فتن المماليك " امراء الجيش" بمصر يقتل بعضهم بعضا وخرج نائب السلطنة فى دمشق عن الطاعة، وهجم خمسة آلاف من الأعراب على دمنهور فنهبوها وانتشر الوباء بمصر فأصيب على المنصور فمات فى الثانية عشرة من عمره. سنة ٧٨٣هـ / ١٣٨١م وكان مولده سنة ٧٧١هـ / ١٣٦٩م ولم يكن فى يده من الأمر شئ كأكثر ملوك هذه الدولة.
انظر المزيد فى: بدائع الزهور ١/ ٢٣٨.

ثم ولى بعده السلطنة الشريفة الملك الظاهر برقوق[1] فى يوم خلعه المذكور وهو التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة وهو برقوق بن آنص بن عبد الله الجركسى العثمانى ذكر الخواجا عثمان الذى احضره من بلاد الجركس انه اشتراه منه [ق ٢٧أ] يلبغا الكبير واسمه حينئذ الطنبغا فسماه برقوقا لنتوء فى عينه. فكان فى خدمة يلبغا من جملة المماليك الكتابية ثم اتصل بخدمة سنجق اليوسفى نائب الشام ثم حضر معه إلى مصر واتصل بخدمة الأشرف شعبان فلما قتل الأشرف ترقى برقوق إلى أن أعطى إمرة أربعين وكان هو وجماعة من أخوته فى خدمة اينبك ثم لما قام قطلقتمر على اينبك وقبض عليه ركب برقوق وبركة ومن تابعهما على المذكور واقاما طشتمر العلاى مدبر المملكة أتابكاً واستمروا فى خدمته إلى أن قام عليه مماليكه فى أواخر سنة تسع وسبعين وسبعمائة فآل الأمر إلى استقرار برقوق وبركة فى تدبير المملكة بعد القبض على طشتمر ولم تطل الأيام حتى اختلفا وتباين ما بينهما وقد سكن برقوق فى الأسطبل السلطانى فأول شئ صنعه أن قبض على ثلاثة من أكابر الأمراء كانوا من أتباع بركة فبلغه ذلك فركب على برقوق فدام الحرب بينهما أياماً إلى أن قبض برقوق على بركة وسجن بالإسكندرية وانفرد برقوق بتدبير المملكة إلى أن دخل شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة [ق ٢٧ب] وهو فى غضون ذلك يدبر أمر الاستقلال بالسلطنة إلى أن تم له ذلك فجلس على تخت المملكة الشريفة فى ثامن الشهر المذكور ولقب الملك الظاهر وبايعه الخليفة وهو المتوكل محمد بن المعتضد والقضاة والأمراء ومن معهم وخلعوا الصالح حاجى بن الأشرف وأدخل به إلى دور أهله بالقلعة فلما كان بعد ذلك بمدة خرج عليه يلبغا الناصرى واجتمع عليه نواب البلاد كلها وانضم إليه منطاش وكان نائب ملطية

---

(١) هو برقوق بن أنص -- أو أنس العثمانى أبو سعيد سيف الدين الملك الظاهر أول من ملك مصر من الشراكسة جلبه إليها أحد تجار الرقيق (واسمه عثمان) فباعه فيها منسوباً إليه ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة وعاد إلى مصر، فكان أمير عشرة وتقدم فى دولة المنصور القلاوونى على بن شعبان فولى أتابكية العساكر وانتزع السلطنة من آخر بنى قلاوون الصالح أمير حاج" سنة ٧٨٤هـ وتلقب بالملك الظاهر وانقادت إليه مصر والشام وقام بأعمال من الإصلاح وبنى المدرسة البرقوقية بين القصرين بمصر وخلع سنة ٧٩١هـ وأعيد الصالح فخرج خلسة إلى الكرك فامتلكها وزحف على دمشق فدخلها فزحف عليه الصالح بجيش من مصر. فظفر برقوق وعاد إلى مصر سلطاناً سنة ٧٩٢هـ وتوفى بالقاهرة ٨٠١هـ / ١٣٩٨م وكان مولده سنة ٧٣٨هـ / ١٣٣٨م.

انظر المزيد فى: بدائع الزهور ١/ ٢٥٨؛ الضوء اللامع ٣/ ١٠.

ومعه جمع كثير من التركمان فجهز إليهم الظاهر برقوق فى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة بسبب الناصرى ومنطاش عسكر منهم الأمير ايتمش والأمير جركس الخليلى ويونس الدوادار وغيرهم وكسر الناصرى مرتين ثم انكسر عسكر برقوق وقتل جركس الخليلى فى المعركة وهرب يونس ثم قتله عنقا بن سطى من آل فضل واحتاط على موجوده واحتاط فى العسكر المصرى النهب الشديد والقتل الذريع وملك الناصرى دمشق وحبس ايتمش بالقلعة واحتاط على موجوده ثم جهز الملك الظاهر برقوق [ق ٢٨أ] إينال اليوسفى وإينال أمير أخور ومن معهما لقتال يلبغا الناصرى ومنطاش فهرب وحضر منطاش والناصرى من حلب إلى الشام ثم إلى غزة ثم إلى قطيا ثم إلى الديار المصرية وتسلسل الأمراء أولاً فأول إلى الناصر وأرسل الظاهر برقوق إلى الناصرى يطلب منه الأمان لنفسه وذلك فى يوم السبت ثالث شهر جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين ففعل ذلك واختفى ليلة الأثنين خامس شهر جمادى الآخرة ونهبت الحواصل التى بالقلعة وما معها.

ثم دخل منطاش يوم الأثنين إلى القلعة وأخذ الخليفة وتوجه به إلى يلبغا الناصرى بقبة النصر فطلعوا جميعا إلى القلعة وعرضوا المملكة على الناصرى فامتنع فاتفقوا على إعادة حاجى بن الأشرف فاستقر يلبغا الناصرى مدبر المملكة وسكن بالأسطبل. ثم اشتد الطلب على الظاهر برقوق ونودى عليه فخشى على نفسه فراسل الناصرى فأرسل إليه الجوبانى فاحضره من بيت [ق ٢٨ب] شخص خياط مجاور لبيت أبى يزيد الدوادار قريباً من الشيخونية فطلع به الجوبانى نهاراً إلى القلعة فحبس بقاعة الفضة وأراد منطاش قتل برقوق فدافع عنه الناصرى وأرسله إلى الكرك فى ثانى عشر جمادى الآخرة صحبة ابن عيسى وصحبته ثلاثة من مماليكه قطلوبغا وابقاى وبى قان فتسلمه حسن الكجكنى نائب الكرك وكانت زوجة حسن ابنة يلبغا الكبير فأكرمت الظاهر برقوق وأحسنت إليه وأعدت له كل ما يريد وتلطف به حسن ووعده بأن يخلصه ثم لم تطل المدة حتى ثار منطاش على الناصرى وحاربه إلى أن قبض عليه وسجنه بالإسكندرية واستقل منطاش بتدبير المملكة وأرسل منطاش إلى حسن نائب الكرك بقتل برقوق فلم يوافقه حسن الكجكنى نائب الكرك، وأهل الكرك على قتله ثم خرج الظاهر برقوق من الكرك وتوجه إلى الشام وانضم إليه قليل وجمع منطاش العساكر وانقضت عليه الأطراف،

وكـان أهـوج فـلم ينتظم له أمر ولكنه وصل إلى الشام وحاصر قلعتها وتلاقى الظاهر برقوق ومن معه مع منطاش وعسكره [ق ٢٩أ] بدمشق حمل منطاش على ميسرة الظاهر فهزمها وحمل بعض أصحاب منطاش على الميمنة فهزمها. ثم استغل الجهتين ومن معهما باتباع المنهزمين وخـلا القلـب عـن مقاتل فحمل الظاهر برقوق على من بقى من جماعة منطاش فانهـزموا فاحتوى الظاهر برقوق على الخليفة والسلطان حاجى والقضاة وأهل المملكة ومن كان معهم، وعاد الظاهر برقوق بهم إلى القاهرة وخلع السلطان حاجى وبويع الملك الظاهر برقوق بالمملكة مبايعة جديدة.

ومـن غريب الاتفاق أن مماليك الظاهر برقوق المسجونين بالقاهرة، بطأ ومن معه تغلبوا علـى نائـب الغيبة وانتصروا عليه وكانت نصرتهم بالقاهرة فى يوم نصرة الظاهر أستاذهم علـى مـنطاش بشـقحب والله يؤيـد بنصـره مـن يشاء، وأدخل بحاجى بن الأشرف الذى خلع من السلطنة إلى مكانه بقلعة الجبل وذلك كله فى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة.

ثـم فى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة سافر الملك الظاهر برقوق بنفسه لمحاربة منطاش وذلك فى شهر شعبان من السنة [ق ٢٩ب] المذكورة وتعصب أهل الشام لمنطاش فما أفاد ودامت الحـرب بيـنهما إلى أن هزم منطاش ووصل الظاهر فى تلك السنة إلى حلب ومهد أهـل الـبلاد ونوابها ورجع إلى القاهرة فى المحرم سنة أربع وتسعين وسبعمائة واستقرت قدمـه فى المملكة ثم خرج الظاهر برقوق فى سنة ست وتسعين وسبعمائة وسافر بنفسه إلى حلـب بسـبب تمرلنك والناصرى، وقتل الناصرى فى تلك السنة، وعاد الظاهر برقوق إلى الديـار المصـرية واسـتقر قدمه بها إلى ان مات على فراشه فى ليلة النصف من شوال سنة إحـدى وثمانمائـة وكـان قـد عهد فى ضعفه لولده الناصر فرج بالسلطنة وسنه عند العهد عشـر سـنين وأوصـى الملـك الظاهـر عند العهد لولده فرج أن يكون الأمير ايتمش الأتابكى وصيا على ولده ومتكلماً عنه ونظاماً.

ثم ولى الناصر فرج[1] بعد وفاة والده الملك الظاهر برقوق فى سنة احدى وثمانمائة وكان سنه عشـر سـنين [ق ٣٠أ] كمـا تقدم لأن مولده بالقاهرة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة

---

(١) هو فرج الملك الناصر بن برقوق الظاهر بن انص أو أنس العثمانى أبوالسعادات زين الدين، من ملوك الجراكسة بمصر والشام، بويع بالقاهرة سنة ٨٠١هـ بعد وفاة أبيه وكان صغير السن. فقام بتدبير ملكه الأتابكى " ايتمش البجاسى، مدة قصيرة، وامتنع نائب الشام عن الطاعة وانضم إليه =

عند حصول واقعة منطاش بالناصرى فسماه والده بلغاق ومعناه فتنة. ثم لما انتصر والده وظفر سماه فرجا تفاؤلاً بذلك. واستمر الأمير ايتمش الأتابكى متكلماً على الناصر مدة يسيرة عملا بما وصى به والده الملك الظاهر برقوق المشار إليه. ثم أتفق الأمير يشبك ومن معه من الأمراء والقاضى سعد الدين بن غراب على عدم تحدث ايتمش عن الناصر وإزالة ايتمش وأدعى سعد الدين بن غراب على ايتمش أن الناصر رشيد غير محتاج إلى متكلم عنه وأعذر ايتمش فى المجلس فى رشد الناصر ووقع القيام على ايتمش إلى أن سافر إلى الشام واستنصر بالأمير تنم نائب الشام، فسافر الملك الناصر فى سنة اثنتين وثمانمائة وكان ذلك فى شهر رجب منها وسار إلى الشام ودخل إليها ووقع ما وقع بينه وبين تنم نائب الشام وحصل الظفر للملك الناصر فرج وسافر الملك الناصر فرج المشار إليه [ق ٣٠ب] بمن معه من العساكر إلى البلاد الشامية لقتال تمرلنك فى ثالث شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانمائة ودخل السلطان إلى دمشق ووقع الاختلاف بين الأمراء المصريين فخاف بعضهم من بعض واختفى بعضهم فظن من أقام ان الذى اختفى توجه إلى القاهرة يتملكها فأخذوا السلطان وتوجهوا به إلى القاهرة من طريق صفد فوصلوا إلى صفد ثم إلى غزة ثم إلى القاهرة خامس شهر جمادى الآخرة منها فى أسوء حال وصار

= نواب حلب وحماة وصفد وطرابلس وغزة فخرج الناصر بالجيوش لقتالهم سنة ٨٠٢هـ فتلقوه فى الرملة " بفلسطين" فهزمهم ودخل دمشق فأعلن الأمان وهدأت الأمور فعاد إلى مصر وما لبث أن تتابعت عليه الأخبار بزحف تيمورلنك على حلب وحماة ودمشق سنة ٨٠٣هـ فقام بجيش كبير ورابط فى دمشق، وناوش طلائع تيمورلنك ثم أظهر أنه مضطر للعودة إلى مصر، فألقى الحبل على الغارب وترك دمشق كغيرها فريسة لتيمورلنك وعساكره سنة ٨٠٣هـ نهباً وحرقاً وتعذيباً ومحوا. وأكتفى الناصر بأن تبادل الهدايا وبعض الأسرى مع تيمورلنك. ولما كانت سنة ٨٠٨ هـ اضطربت أحوال الناصر وضاق صدره بمخالفة الأمراء له، فخرج متنكراً واختفى، فاجتمع الأمراء وأخرجوا أخاه صغيراً أيضاً فبايعوه " وهو عبد العزيز بن برقوق" فلم يلبث أن ظهر الناصر " بعد نحو شهرين من اختفائه" فقاتل من كانوا مع أخيه وقتل أخاه وعاد إلى السلطنة وانتظمت له الأمور إلى سنة ٨١٤هـ. فقيل إنه أفرط فى قتل مماليك أبيه، فخرج بعضهم إلى غزة وبلاد الشام، والتف حولهم كثيرون من جبل نابلس وغيره واستفحل أمرهم، فقصدهم الناصر وقاتلهم فى اللجون من ضياع الشام وانهزم فدخل دمشق فنادوا بخلعه فأرسل إليهم يطلب الأمان، فقيدوه وسجنوه فى قلعة دمشق ثم أثبتوا عليه الكفر وقتلوه فى القلعة سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م وكان مولده سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م
انظر المزيد فى: بدائع الزهور ١/ ٣١٧ – ١٥٧ الضوء اللامع ٦/ ١٦٨.

الجيش بعد هرب السلطان يخرجون من دمشق إلى جهة القاهرة فيسلبهم العشير اثوابهم وربما قتل بعضهم فلما تحقق تمرلنك هروب العسكر أمر عسكره باتباعهم وصاروا يلتقطون منهم من تخلف وأغلق أهل دمشق أبوابها وركبوا أسوارها وتراموا مع اللنكية فقتل منهم جماعة وأرسل تمرلنك يطلب منهم رجلاً عاقلاً فأرسل إليه الشيخ برهان بن مفلح الحنبلى فرجع وأخبر أنه تلطف به وسأله فى الصلح على مال فأجابه [ق ٣١أ] فأطاعه كثير وأبى كثير ثم غلب الطائفون وحبوا له مالاً كثيراً ثم وقع منه ومن عسكره ما وقع من النهب والسبى والقتل والأخراب والاحراق وهلاك العيال وموت الأطفال والأذى الفاحش للنساء والرجال وكان أمر الله قدراً مقدوراً وكل إنسان يعمل على شاكلته ويجازى على قوله وعمله ولا يظلم ربك أحداً ثم سافر الملك الناصر فرج المشار إليه فى سنة سبع وثمانمائة بمن معه من العساكر المصرية بسبب وقعة السعداية التى وقعت مع يشبك وجكم وقرا يوسف ومن معهم ووقع ما وقع من الحرب والقتال والادبار والإقبال وآل الأمر فى آخرها إلى استمرار الناصر فرج فى مملكته.

وفى شهر ربيع الأول سنة ثمانمائة كثر الهرج والقيل والقال ونسب إلى السلطان الناصر فرج أنه يريد إبعاد الأمراء الجراكسة وتقديم اخواله الروم فخاف على نفسه وحمله ذلك على الهرب فهرب ولم يتبعه أحد سوى بيغون [ق ٣١ب] لأنه نهى عن اتباعه فوصل إلى الجيزة ثم عاد مختفياً إلى بيت القاضى سعد الدين بن غراب ناظر الجيوش المنصورة والخواص الشريفة كان واجتمع رأى الأمراء بالديار المصرية على ولاية أخيه عبد العزيز.

فولى ثم بعد شهرين من ولايته أظهر الناصر فرج نفسه وتوجه إلى بيت سودون ثم اجتمع رأى الأمراء أيضاً على إعادة الناصر فرج إلى مملكته فأعيد إليها ومسك جماعة من الأمراء بيبرس وسودون الماردانى وغيرهما، واختفى الباقون وأرسل الناصر فرج أخويه عبد العزيز وإبراهيم إلى ثغر الإسكندرية وأقاما بها مدة ثم أحضرا ميتين إلى القاهرة ودفنا بتربة أبيهما بالصحراء واحضر معهما محضر انهما ماتا بقضاء الله تعالى وقدره.

وفى سنة تسع وتسعين وسبعمائة فى مستهل ربيع الأول: خرج شيخ وهو المؤيد ودمرادش ومن معهما من العساكر لقتال نوروز وجكم ثم سافر السلطان الملك الناصر فرج فى ثانى عشر ربيع الأول من السنة المذكورة [ق ٣٢أ] إلى جهة الشام لقتال نوروز وجكم

المذكورين فهرب نوروز وجكم وتمربغا من حلب وعدوا الفرات فأقام الناصر بحلب إلى أن استهل جمادى الآخرة وأرسل العساكر فى طلبهم فلم يلحقوا منهم أحداً ورجعوا إلى بين يديه ورجع متوجها إلى القاهرة وقرر فى نيابة حلب جركس المصارع وفى نيابة طرابلس سودون بقجة وفى نيابة دمشق شيخ. فلما تحقق جكم ومن معه رحيل السلطان الناصر إلى مصر وكان من أمر جكم ما سنذكر بعد ذلك.

وفى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة: توجه الملك الناصر فرج المشار إليه فى المحرم لمقاتلة شيخ نائب الشام الذى استقر بعد ذلك سلطاناً ولقب بالمؤيد ثم تزايد أمر جكم وانضمام كثير من المقاتلين والتركمان وغيرهم عليه إلى أن بويع بالسلطنة تاسع جمادى الآخرة ولقب بالملك العادل وضربت السكة [ق ٣٢ب] باسمه وخطب له بحلب ثم أرسل دعاءه لنواب البلاد فأطاعوه ما عدا المؤيد شيخ ثم وقع بين جكم وبين عثمان بن قرايلوك وسأل وانكسر التركمان فتبع جكم آثارهم فوقعت فرسه فى حفرة من الحفر التى جرت عاداتهم بإعدادها للمكيدة. وقيل بل جاء جكم بحجر رمى به بمقلاع على فرسه وذبح وأرسل رأسه إلى القاهرة واستمر الملك الناصر فى مملكته ودخل الناصر فرج إلى القاهرة رابع عشر جمادى الآخرة سنة اثنتى عشرة وثمانمائة ولما كان الناصر فرج بالشام مسك المؤيد شيخ ويشبك ومن معهما وحبسهم فى قلعة الشام فاتفقوا مع منطق نائب القلعة فأخرجهم وتأخر جركس عن طلوع القلعة وهرب شيخ واختفى وقتل منطق ثم اجتمع يشبك وجركس ببعلبك فمشى عليهم نوروز [ق ٣٣أ] فغلبهم ثم ولى شيخ نيابة طرابلس وتولى بكتمر شلق نائباً عنه بالشام وعاد الملك الناصر فرج إلى الديار المصرية وعاد بكتمر شلق إلى القاهرة واستمر شيخ نائب الشام.

وفى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة: جهز الملك الناصر جاليشه إلى البلاد الشامية بسبب استيلاء المؤيد على أكثرها وهم بكتمر شلق وطوغان ويلبغا الناصرى وشاهين الأفرم فى العشرين من شهر رجب من السنة المذكورة.

ثم خرج الملك الناصر بعدهم إلى المملكة الشامية فى رابع ربيع الأول منها وانفق فى هذه السفرة مالاً كثيراً وأعطى تغرى بردى وبكتمر شلق ستة آلاف دينار ولكل مقدم ألفى دينار ولكل طبلخاناه خمسمائة دينار ولكل أمير عشرين ثلاثمائة دينار ولكل أمير عشرة مائتى دينار ولكل مملوك مائة دينار فكانت النفقة المذكورة كبيرة خارجاً عن الخيول والجمال وما تحتاج إليه من البرك والخلع وغير ذلك.

ثـم وصل السلطان الناصر [ق ٣٣ب] إلى الشام ثم إلى حلب ثم هرب منه شيخ ونوروز إلى بلاد التركمان ثم أرسلهما ثم سألاه في الرجوع وأنما لا يجسران على مقابلته ولا يقابلانه بقتال وطال التراسل بينهم ثم بلغ الناصر توجههما إلى عين تاب وانهما يقصدان التوجه إلى الشام من غير طريق حلب، فحضر السلطان الناصر من حلب إلى الشام في أربعة أيام. ثم بلغ الناصر وصول شيخ ونوروز إلى البلقاء في مائتين وخمسين فارساً ثم حضر شيخ إلى القاهرة ومعه جماعة فطلع الأسطبل السلطانى فجهز الناصر إليه بكتمر شلق ثم تبع بكتمر شلق شيخ ومن معه إلى القاهرة، وكان دخول بكتمر شلق ومن معه إلى القاهرة في الثاني من شهر رمضان.

ثـم ركب المؤيد شيخ وأصحابه من ساعتهم نحو القرافة فوجدوه مغلقاً فرفع يشبك من أزدمر بقنطارتيه باب القرافة، ففتح وكبا بالمؤيد شيخ جواده، فبادر أصحابه فأركبوه غيره ولم يجسر أحد على إتباعهم وقبض بكتمر شلق [ق ٣٤أ] على من وجده من جماعة المؤيد شيخ، وكان انهزام المؤيد شيخ ومن معه من بكتمر شلق ظنهم أن السلطان فى جملة العسكر المذكور.

ثم في آخر السنة: رجع الناصر فرج متوجهاً إلى القاهرة ودخلها في ثاني عشر المحرم سنة أربعة عشرة وثمانمائة ثم سافر الملك الناصر فرج المشار إليه إلى الشام. وفى سنة أربعة عشرة وثمانمائة أيضاً كان خروج جاليشه لقتال شيخ ونوروز فى السابع عشر من شهر ذى القعدة من السنة المذكورة.

ثم خرج الناصر بنفسه في الثامن من شهر ذى الحجة إلى جهة الشام ونزل بتربة والده بالصحراء وضحى بها ورحل منها في الحادى عشر من ذى الحجة وكان يوم خروجه من القاهرة فى ترتيب عظيمة وأبهة زائدة من كثرة الخيول المسرجة بالسروج المذهبة المرصع بعضها بالجوهر والكنايش الزركش واللحم المسقطة وملابس الخيول ومن كثرة الخيول المسومة معه والجمال والمحفات وآلات السلاح وآلات الحصار المحمولة على العجل وغير ذلك [ق ٣٤ب] وغالب مماليكه محتفون به مع استمالهم على الملابس الفاخرة وكان رؤية خروجهم مما يستعجب منه وحتى غلب على ظن من رآه من ذوى العقول أن الناصر لا يعود من سفرته لكثرة ما شاهده من زينته وتيهه فى طلعته وكان كذلك فوصل إلى دمشق ووقع بينه وبين المؤيد ونوروز وقعة فانكسر الناصر باللجون

وانسحب إلى دمشق وكان من أمرهم ما اشتهر وشاع وكانت الواقعة والدائرة عليه وخلع وولي الخليفة ليلة عشرى المحرم وسجن الناصر بقلعة الشام، ثم قتل الناصر فرج فى سادس عشر شهر صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة بعد حكم القاضى الحنفى ابن العديم بقتله وألقى الناصر على مزبلة باب الفرادويس بدمشق تحت السماء ليس عليه سوى لباسه وعيناه مفتوحتان وبعض الجهلة يلعب بلحيته ثم دفن بالتربة بباب الفرادويس بالشام وقبره معروف بها فسبحان من يعز و يذل ويحيي ويميت وإليه المصير وهو على كل [ق ٣٥أ] شئ قدير.

ثم ولى بعده السلطنة الخليفة المستعين بالله[1] أبو الفضل بن المتوكل على الله محمد ابن المعتضد بالله العباسي. بويع له بالسلطنة بعد خلع الناصر فرج من المملكة وهوبالشام فى رابع شهر الله الحرام سنة خمس عشرة وثمانمائة ونودى بدمشق ان الناصر فرج قد خلعه الخليفة من المملكة، وأن من حضر إلى الخليفة كان له الأمان، ومن غاب عنه أو خالف أمره قوبل بالخزى والهوان، وكتب الخليفة إلى القاهرة باجتماع الكلمة له وتقرر الأمر بين الأمراء ان يكون الأميران وهما المؤيد شيخ ونوروز يدبران أمر المملكة بين يدى الخليفة، وان ينزل شيخ بباب السلسلة وينزل نوروز ببيت قوصون.

فلما كان الخامس والعشرون من شهر صفر التمس نوروز من الخليفة أن يقرره فى نيابة الشام، فأجابه إلى ذلك وخلع عليه وصرف عنها بكتمر شلق واستقر أميراً كبيراً بالقاهرة، واعتل نوروز انه يخشى وقوع الفتنة وأن التدبير [ق ٣٥ب] لا يليق أن يكون

---

(١) هو العباس بن محمد بن أبي بكر بن سليمان أبو الفضل المستعين بالله من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر وهو ابن المتوكل على الله بن المعتضد، بويع بالخلافة بالقاهرة بعد وفاة أبيه سنة ٨٠٨هـ بعهد منه وتوجه مع السلطان الناصر فرج بن برقوق سنة ٨١٤هـ إلى البلاد الشامية لإخضاع الأتابكى شيخ المحمودى فقتل الناصر وتولى المستعين السلطنة بعد ان اتفق مع أمراء الجراكسة على أن يكون شيخ اتابكاً للعساكر بمصر ومدبراً للمملكة" وعاد المستعين مع شيخ إلى مصر، فلم يلبث شيخ ان خلعه من السلطنة وتولاها هو سنة ٨١٥هـ وظل المستعين فى الخلافة محجوزاً بقلعة الجبل ثم خلعه شيخ من الخلافة أيضاً سنة ٨١٧هـ و أرسله إلى سجن الإسكندرية فأقام إلى أن تولى الملك الأشرف برسباى فأخرجه من السجن وأسكنه فى دار بالإسكندرية فمات فيها بالطاعون سنة ٨٣٣هـ ولم يبلغ الأربعين.

انظر المزيد في: تاريخ الخميس ٢/ ٣٨٤، بدائع الزهور ١/ ٣٥٧، الخطط ٢/ ٢٤٢، التبر المسبوك ٢٥، الضوء اللامع ٤/ ١٩.

ألا لشخص واحد فأجيب إلى سؤاله وفوضت كفالة المماليك الشامية لنوروز وجعل له تعيين النواب فى البلاد، وتعيين الإقطاعات لمن يرآه، وكذلك أمر القضاه والمباشرين بالمملكة الشامية فيطالع الخليفة بمن يرى تقريره، فيكتب له بذلك. وفى الثامن من شهر ربيع الأول: توجه الخليفة وشيخ ومن معهما إلى القاهرة فدخلوا إلى القاهرة فى يوم الثلاثاء ثانى شهر ربيع الآخر بعد ان تلقاهم الناس إلى قطيا وإلى الصالحية وإلى بلبيس وحصل للناس من الفرح بذلك مالا مزيداً عليه ونادوا فى الناس برفع المظالم والمكوس وعند دخول الخليفة والمؤيد شيخ إلى القاهرة فى اليوم المتقدم ذكره اعلاه شق الخليفة المدينة والأمراء بين يديه فاستمر إلى القلعة فنزلها ونزل شيخ الأسطبل بباب السلسلة، وكان شيخ يظن أن الخليفة يتوجه إلى بيته ويستعفى من السلطنة. فلما لم يفعل ذلك أعرض شيخ عنه وأبقى له من يخدمه من حاشيته واستقرت [ق ٣٦أ] الخدمة عند شيخ.

وفى الثامن من شهر جمادى الآخرة: صعد شيخ والأمراء إلى القصر وجلس الخليفة على تخت الملك فخلع على شيخ خلعة عظيمة بطراز لم يعهد مثله، وفوض إليه من المملكة بالديار المصرية فى جميع الأمور وكتب له ان تولى وتعزل من غير مراجعة وأشهد عليه بذلك، ولقب نظام الملك.

وفى سادس عشر جمادى الأولى: قرئ تقليد الأمير شيخ بأن الخليفة فوض له أمور المملكة وفى ثالث عشرية جلس فى الحراقة وبين يديه القضاة والأمراء والمباشرون وقرأ كاتب السر عليه القصص كما جرت العادة عند السلاطين فى دار العدل وصار للأمير شيخ الحل والعقد والنقض والإبرام، ولم يبق للخليفة من السلطنة سوى اسمها والسكة والخطبة واستمر الأمير شيخ تعمل له الخدمة فى كل اثنين وخمسين وقرر الأمير شيخ جقمق دواداره فى خدمة الخليفة وأسكنه القلعة وأمره ألا يمكن الخليفة من العلامة إلا بعد [ق ٣٦ب] عرضها على الأمير شيخ فاستوحش الخليفة لذلك وضاق صدره وكثر قلقه واتضع جانبه وصار الملك بالديار المصرية لشيخ فسبحان من له الأمر كله.

واستمر الخليفة على ذلك إلى سلخ شهر رجب من السنة المذكورة. وفى مستهل شهر شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة بويع للأمير شيخ[1] بالسلطنة باتفاق من أهل الحل والعقد الذين حضروا من الأمراء والقضاة والمباشرين، ثم صعدوا إلى القصر وجلس على تخت الملك الشريف، وقبل الأمراء الأرض بين يديه وصافحه القضاة وأصحاب الوظائف وقررهم على وظائفهم، وأرسل إلى الخليفة ليشهد عليه بتفويض السلطنة إليه على عادة من تقدمه فأجاب بشرط أن ينزل من القلعة إلى بيته فلم يوافقه السلطان على النزول واستنظره اياماً وسكن الخليفة القلعة مدة طويلة وهو باق.

ثم ولى أخوه داود[2] الخلافة ولقب بالمعتضد، وجهز الخليفة المستعين بعد ذلك إلى ثغر الإسكندرية وأقام بها إلى أن توفى [ق ٣٧أ] إلى رحمة الله تعالى ولقب بالملك المؤيد أبا النصر شيخ وهو شيخ بن عبد الله المحمؤدى كان قدومه إلى القاهرة على ما أخبر به هو فى السنة التى قدم فيها آنص والد برقوق، فعرض على برقوق قبل أن يتسلطن فرام

(١) هو شيخ بن عبد الله المحمودى الظاهرى أبو النصر من ملوك الجراكسة بمصر والشام، أصله من مماليك الظاهر برقوق، اشتراه من محمود شاه الأزدى وأعتقه واستخدمه فى بعض اعماله وكان يعرف بشيخ " المجنون" وسافر إلى الحجاز أميراً للحاج سنة ٨٠١هـ ثم جعل مقدم ألف فى دولة الناصر فرج بن برقوق فنائبا لطرابلس ونائباً فى الشام وأسره تيمورلنك فى حلب ثم سجنه الناصر فى "خزانة شمايل" وأطلقه فخرج إلى الشام فاشترك فى العصيان والهياج إلى أن قتل الملك الناصر وولى السلطنة العباس بن محمد سنة ٨١٥هـ فجعله أتابكاً للعسكر ومدبراً للمملكة وعاد معه إلى مصر، فلم يلبث أن خلع العباس وتولى السلطنة فى السنة نفسها وتلقب بالملك المؤيد وعزل وولى فأطاعه الجند. وعصاه نوروز الحافظى نائب الديار الشامية فقصده إلى دمشق فقتله سنة ٨١٧ هـ وعاد إلى مصر فهدم "خزانة شمايل" وهى السجن الذى كان قد حبس فيه وبنى مكانها جامع الملك المؤيد. ولد سنة ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م ومات سنة ٨٢٤هـ / ١٤٢١م.

انظر المزيد فى: بدائع الزهور ٢/ ٢، شذرات الذهب ٧/ ١٦٤، الضوء اللامع ٣/ ٣٠٨.

(٢) هو داود بن المتوكل على الله محمد بن المعتضد الأول ابى بكر بن سليمان أبو الفتح المعتضد بالله الثانى من خلفاء الدولة العباسية بمصر، بويع له بالقاهرة بعد القبض على أخيه المستعين بالله العباسى سنة ٨١٦هـ واستمر إلى أن توفى عقب مرض طويل، كان سيد بنى العباس فى زمانه أهلاً للخلافة بلا مدافعة، كريماً عاقلاً حلو المحاضرة، له مشاركة كثيرة فى الفنون، تسلطن فى أيامه عدة سلاطين وكان يجتهد فى السير على قاعدة الخلفاء مع جلسائه وندمائه وربما تحمل الديون بسبب ذلك، ولد سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م ومات سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١

انظر المزيد فى: التبر المسبوك ٢٥، بدائع الزهور ٢/ ٢٨، تاريخ الخميس ٢/ ٣٨٤.

من صاحبه بيعه فاشتط عليه في اليمن وكان ابن اثنتى عشرة سنة ولكن كان جميل الصورة فاتفق موت الذى جلبه فأشتراه محمود تاجر المماليك وقدمه لبرقوق فأعجبه، واستمر ينسب لمحمود وتربى فى المماليك الكتانية ثم جعل خاصكياً ثم جعل من السقاة ونشأ ذكياً فتعلم فنون الفروسية من اللعب بالرمح ورمى بالنشاب والصراع وغير ذلك، ومهر فى جميع ذلك مع جمال الصورة وكمال القامة وحسن العشرة، وأُمِرَ عشرة أيام الظاهر، وكان ممن سجن من مماليك الظاهر فى فتنة منطاش بخزانة شمائل فنذر أن نجاه الله منها أن يجعلها مسجداً ففعل ذلك وعمرَّها جامعاً فى حال سلطنته وهو [ق ٣٧ب] الجامع المعروف ببابى زويلة بالقاهرة المحروسة وتأمر على الحاج سنة موت الظاهر برقوق وهى سنة إحدى وثمانمائة. ثم لم يزل فى ارتقاء إلى أن ولى نيابة طرابلس ثم نيابة حلب ثم نيابة الشام، وأقام فى المملكة عشرين سنة ما بين نائب ومتغلب ونظام وسلطان، وكان شهماً شجاعاً عالى الهمة كثير الرجوع إلى الحق محباً فى العدل، متواضعاً يعظم العلماء ويكرمهم ويحسن إلى أصحابه ويصفح عن جرائمهم يحب الهزل والمجون لكن مستتراً وجرت له من الخطوب والحروب والأسفار وقائع كثيرة، منها أنه لما بلغ نوروز سلطنة المؤيد شق ذلك على نوروز نائب الشام واظهر المخالفة للمؤيد والعناد وتمادى الحال بين الملك المؤيد وبين نوروز على التحالف ووقع فى ذلك أمر كبير. وفى السابع عشر من شهر رمضان سنة ست عشرة وثمانمائة حضر دمرادش المحمدى الذى كان أميراً ونائباً بحلب إلى القاهرة فاراً من عسكر [ق٣٨أ] نوروز وكان حضوره فى البحر وصحبته ابن أخيه قرقماس فقبض عليهما وأرسلا إلى الإسكندرية وقبض على تغرى بردى بن أخي دمرداش أيضاً من الصالحية واحضر إلى القلعة فقتل وفى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة ولى الملك المؤيد قانبيه المحمدى الذى كان أمير أخور كبيرا بالديار المصرية نيابة الشام وولى اينال الصصلائى نيابة حلب، وولى لسودون من عبد الرحمن نيابة طرابلس وتانى بك اليجاسى نيابة حماة وطراباى من عبد الله نيابة غزة. وفى سابع عشر ذى الحجة من السنة المذكورة خلع العباس من الخلافة فلما عزم الملك المؤيد على التوجه إلى الشام طلب أخاه داود بن المتوكل على الله تعالى العباسى بحضرة القضاة وألبسه خلعة سوداء وأجلسه بينه وبين القاضى الشافعى البلقينى وقرره فى الخلافة عوضاً عن أخية المستعين أبى الفضل العباسى ولقب داود بالمعتضد بالله تعالى وخرج

المؤيد شيخ [ق ٣٨ب] إلى الريدانية في رابع المحرم سنة سبع عشرة وثمانمائة ورحل منها في تاسعه وتوجه إلى جهة الشام ومعه الخليفة الجديد والقضاة والأموال وغيرهم فوصل إلى قبة يلبغا في ثامن شهر صفر لتباطئه في السير خوفاً من اعدائه، ودخل إلى الشام ووقع الحرب بين طلائع عسكر المؤيد وعسكر نوروز للمحاصرة بقلعة الشام وحصن القلعة بها وملك المؤيد البلد ونزل بالميدان وحاصر نوروز إلى ان ظفر به وقطع رأسه فوصلوا برأسه إلى القاهرة في ثامن شهر جمادى الأولى ثم توجه الملك المؤيد من دمشق إلى حلب في ثامن جمادى الأولى وتوجه منها إلى الأبلستين ودخل إلى ملطية وقرر قواعد البلاد وأتاه نواب القلاع وقرر من أراد وقرر قانى تبيه المحمدى الذى كان أمير أخور كبيرا بالقاهرة في نيابة حماه وسودون من عبد الرحمن في نيابة [ق ٣٩أ] طرابلس على عادتهما ويشبك في نيابة الكرك وصرف الملك المؤيد من رأى صرفه. ثم عاد الملك المؤيد إلى دمشق فوصل إليها في ثالث شهر رجب الفرد، ثم سار طالباً القدس الشريف فوصلها في أول شهر شعبان ثم وصل إلى غزة فقرر بها طراباى نائباً بها على عادته.

ثم قصد القاهرة فوصل إلى سرياقوس في رابع شعبان وأقام بها إلى آخر الشهر وطلع إلى القلعة في يوم الخميس مستهل رمضان ثم في جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وثمانمائة وردت الأخبار إلى الديار المصرية بعصيان قانى باى نائب الشام فأرسل السلطان المؤيد إليه جلبان ليحضره إلى القاهرة فأظهر له قانى باى الطاعة ونقل عياله إلى بيت من بيوت الشام واوهمه انه يحضر إلى القاهرة ثم لم يحضر وعصى إينال الصصلائى وغيره من النواب. فاستقر السلطان المؤيد بالأمير الطنبغا العثمانى في نيابة الشام عوضاً عن قانى باى وجهز مع الطنبغا العثمانى إقباى الدوادار ويشبك شاه الشراب خاناه وثلاثمائة وخمسين مملوكا [ق ٣٩ب] فوصلوا إلى الشام ووقع الحرب بينهم وبين قانى بيه فانهزموا وكان مع العسكر المصرى الناصرى محمد بن منجك فحين وقعت هزيمتهم انهزم الناصرى محمد بن منجك مع من انهزم وحضر بانفراده إلى القاهرة واجتمع بالسلطان الملك المؤيد وأخبره بما وقع فحين سمع السلطان ذلك منه تحقق عصيان قانى باى، فخرج السلطان المؤيد بنفسه ومعه العساكر إلى جهة البلاد الشامية في ثانى عشرى شهر رجب منها، ودخل إلى دمشق سادس شهر شعبان وكان سيره شديداً بحيث إن سفره من القاهرة إلى حلب في اثنين وعشرين يوماً منها ثمانية أيام إقامات في المدن خشية أن

يبلغ النواب خروجه إليهم فيهربون منه ووصل السلطان إلى حلب ووقع الحرب بين العسكر السلطاني وبين عسكر قاني باى ومن معه وكان النصر فى آخر الأمر لعسكر السلطان، واختفى عند شخص تركمانى فغرر به واحضره إلى السلطان فقطعت رأس قانى باى ومسك إينال الصصلانى [ق ٤٠أ] وجرباش كباشه وتمنتمر فقطعت رؤوسهم أيضاً، واحضرت الرؤوس إلى القاهرة وعلقت على باب زويلة، ثم جهزت إلى الإسكندرية وقرر السلطان الملك المؤيد آقباى الدوادار فى نيابة حلب وجارقطلى فى نيابة حماة ويشبك شاه الشراب خاناه فى نيابة طرابلس، وخرج السلطان من حلب فى أوائل ذى القعدة وقبض على سودون القاضى وسجنه في دمشق، واستقر بردبك عوضه رأس نوبة وقصد السلطان الديار المصرية، فخرج إبراهيم ولده من القاهرة لملاقاته في أواخر ذى القعدة فوصل السلطان إلى سرياقوس فى نصف ذى الحجة ونزل الريدانية فى سادس عشرة، فطلع القلعة من يومه وخلع على من له عادة بذلك. واستمر آقباى فى نيابة حلب إلى سنة عشرين وثمانمائة فحضر في أولها من حلب إلى القاهرة على الهجن فى ثمانية أيام لأنه لما بلغه أن ابن سقلسر نائب شيراز تكلم فيه بما غير به خاطر السلطان عليه فتنصل من ذلك، فخلع على آقباى وقرره مكان الطنبغا العثمانى فى نيابة [ق ٤٠ب] الشام وأعطاه الملك المؤيد مالاً وقماشاً وخيولاً وجمالاً، وسافر فى سابع عشرى المحرم وقرر قجقار القردمى فى نيابة حلب، وسافر الملك المؤيد فى رابع شهر صفر سنة عشرين وثمانمائة لكشف القلاع فوصل إلى الشام فى أول ربيع الأول وعمل المؤيد السلطانى بيزرة ظاهر دمشق وصار إلى حلب فوصلها فى عاشر ربيع الأول فدخلها معه الاطلاب بهيئة مهولة وتوجه إلى القلاع التى توجه بسببها وأطاعه نواب القلاع وغيرهم وعاد إلى حلب وأقام بها مدة، وفى إقامته بحلب قبض على قجقار القردمى وسجنه ثم أفرج عنه وأرسله إلى دمشق بطالاً وقرر فى نيابة حلب عوضه يشبك نائب طرابلس وقرر فى نيابة طرابلس عوضاً عن يشبك بردى بك رأس نوبة وقرر فى وظيفته بالقاهرة ططر الذى تسلطن بعد ذلك وكان وقع بين قرايلوك وقرايوسف شر وخاف أهل حلب على أنفسهم من قرايوسف ان يطرق بعد عودة السلطان فورد كتاب قرايلوك مع قاصده [ق ٤١أ] ومعه تقدمة مائة فرس ومائة جمل، ويذكر فى كتابه انه وقع الصلح بينه وبين قرايوسف فأطمان الناس لذلك وعاد السلطان المؤيد ورحل من حلب في ثامن عشر شهر شعبان ودخل دمشق فى

ثالث رمضان ونقل الطنبغا العثماني إلى القدس بطالا وقبض على أقباى وقرر تاني بك ميق في نيابة الشام وقرر قجقار القردمى في تقدمة ألف بمصر ورحل من الشام في رابع عشر شهر رمضان ودخل إلى القدس في رابع عشرين منه ثم زار الخليل وصلى صلاة العصر بغزة وقصد القاهرة فوصل إليها وطلع القلعة في النصف من شوال وقرر طوغان أمير أخور كبيراً عوضاً عن تاني بك ميق ثم عاد قجقار القردمى إلى القاهرة بعد ذلك.

وفى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة: جهز السلطان الملك المؤيد عسكراً ضخماً وجهز معهم ولده إبراهيم وصحبته من المقدمين قجقار القردمى أمير سلاح وططر أمير مجلس وجقمق المؤيدى امير دوادار واينال الأزعرى وجلبان القرمشى [ق ٤١ب] رأس نوبة واركماس الجلباني وخرجوا من القاهرة في ثاني عشر المحرم سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة وكان السلب في تجهيز السلطان هذا العسكر ان محمد بن قرمان أخذ طرسوس فسار سيدى إبراهيم ولد السلطان ومن معه إلى أن وصلوا بلاد قرمان ونازلوه وكسره سيدى إبراهيم المشار إليه ومسكه واحضره إلى القاهرة في ثاني عشرى رمضان سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة وسجن محمد بن قرمان بالقاهرة واستمر مسجوناً بها إلى أن أعاده الظاهر ططر بعد وفاة المؤيد إلى بلاده.

وفى شعبان سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة جهز السلطان الملك المؤيد إلى حلب المحروسة للإقامة بها خوفاً من أن يطرقها قرايلوك جماعة من الأمراء مقدمى الألوف وهم الأمير الطنبغا الصغير رأس نوبة وجرباش قاشق وجليان الأرغون شادى أمير أخور كان والطنبغا المرقي الحاجب وأزدمر الناصرى وغيرهم واستمروا [ق ٤٢أ] مقيمين بحلب إلى بعد وفاة الملك المؤيد وتوجه ططر بعده إلى حلب على ما سيأتي في محله واستقرت قدم السلطان الملك المؤيد بالقاهرة إلى أن توفى بها على فراشة في ثامن المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة وكانت مدة ولايته السلطنة رحمه الله ثماني سنين وخمسة أشهر وثمانية أيام وترك في الخزانة مالاً كثيراً فأنفذه الظاهر ططر بعده.

وولى بعده ولده السلطنة ولقب بالمظفر وذلك قبل تجهيز والده وكان أحمد بن المؤيد[1] صغيراً سنه سنتان وكان القائم عنه في هذا الأمر الأمير ططر وكان يومئذ أمير مجلس. ثم جهز المؤيد وتقدم في الصلاة عليه الخليفة ثم حمل من القلعة إلى مدرسته التي أنشأها بباب زويلة ودفن بها في القبة التي دفن بها ولده إبراهيم ولم يتبع جنازته من الأمراء إلا القليل فأنهم كانوا مقيمين بالقلعة وأسف الناس على السلطان الملك المؤيد أسفاً كثيراً وكثروا الترحم عليه وأمطرت السماء ساعة المسير بجنازته [ق ٤٢ب] مطراً غزيراً حتى مشى الناس في الوحل إلى المدرسة وفي عقب دفن السلطان الملك المؤيد قبض الأمير ططر[2] على الأمير قجقار القردمي وحبس بالقلعة. ثم جهز إلى الإسكندرية وقتل بها وسبب قبض الأمير ططر على قجقار القردمي انه كان يريد أن يكون متكلماً فحيل بين قجقار القردمي وبين ما أراد واستبد الأمير ططر بتدبير المملكة واستقر بالطبقة الأشرفية بالقلعة واستقر تاني بك ميق أميراً كبيراً ولف الأمير ططر المؤيدية وأمرهم وقربهم ونودي بالاتفاق على العسكر ثم قبض الأمير ططر على جلبان رأس نوبة سيدي إبراهيم بن المؤيد وعلى شاهين الفارسي وجهزهما إلى الإسكندرية مع قجقار القردمي وهرب مقبل الدوادار

---

(١) هو أحمد بن شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري أبو السعادات من ملوك دولة الجراكسة بمصر والشام ولد بالقاهرة سنة ٨٢٢هـ / ١٤١٩م ومات أبوه الملك المؤيد وهو رضيع لم يبلغ من العمر عامين، فتعصب له مماليك أبيه وقالوا " ما نسلطن إلا ابن استاذنا" وكانوا نحو خمسة آلاف فأطاعهم الأمراء ولقبوه بالملك المظفر وكنوه بأبي السعادات سنة ٨٢٤هـ وقام بأمره وتدبير مملكته الأمير ططر فخرجت البلاد الشامية عن طاعته وحشد نوابها الجموع فقصدهم ططر ومعه الملك المظفر في محفة وامه خوند سعادات ومرضعته، فلما بلغوا الشام تزوج ططر بأم المظفر وقتل رؤوس الفتنة وخضعت له البلاد، ثم لم يلبث أن خلع المظفر وطلق امه خوفاً من انتقامها لابنها ونهض من دمشق فدخل مصر وأرسل المظفر إلى السجن بالإسكندرية ومعه مرضعته فمات فيها بالطاعون سنة ٨٣٣هـ / ١٤٣٠م.
انظر المزيد في: بدائع الزهور ٢/ ١٠، الضوء اللامع ١/ ٣١٣.

(٢) هو ططر الظاهري الجركسي المكنى بسيف الدين أبي سعيد الملك الظاهر من ملوك دولة الجراكسة بمصر والشام. أصله من مماليك الظاهر برقوق اشتراه بمصر، واعتقه واستخدمه. ولما آلت السلطنة إلى الناصر فرج توجه ططر إلى حلب ولحق بأهل الشغب والعصيان ثم جعله المؤيد شيخ بن عبدالله مقدم ألف فأمير مجلس ومات المؤيد وتسلطن ابنه الملك المظفر أحمد، فتولى ططر إدارة المملكة وتزوج أم المظفر ثم خلع المظفر وطلق أمه، بدمشق ونادى بنفسه سلطاناً وتلقب بالظاهر سنة ٨٢٤هـ وعاد إلى مصر مريضاً فلم يلبث أن مات بالقاهرة سنة ٨٢٤هـ / ١٤٢١م.
انظر المزيد في: مورد اللطافة ١١٥ — ١١٦، بدائع الزهور ٢/ ١٣.

فـى طائفـة خوفـاً عـلى أنفسـهم من الحبس وقصدوا جهة الشام ثم نزلوا البحر من جهة دمـياط إلى الطيبة واستمروا إلى جهة طرابلس وهرب يشبك الاينالى الاستادار ومعه جماعة وفى النصف من المحرم خلع على الأمير ططر [ق٤٣أ] خلعة عظيمة واستقر نظام المملكة ولعـب بذلـك واسـتقر تغـرى بـردى بن قصروه أمير أخور وجانى بك الصوفى أمير سلاح وعـلى بـاى دواداراً كبيراً عوضاً عن مقبل واينال الأزعرى حاجب الحجاب وخلع الأمير ططـر عـلى القضـاة والمباشـرين باسـتمرارهم. ولـما بلـغ الأمـراء المجردين وفاة الملك المؤيد قصـدوا القاهـرة فلم يودعهم يشبك اليوسفى نائب حلب وبلغهم أنه يريد الغدر بهم لأنهم كانوا جهزوا فى الظاهر بسبب قرايلوك وفى الباطن بمسك يشبك نائب حلب فتبع يشبك أثارهم ظانا أنهم على غفلة منه فكسبهم فوقع الحرب بينهم فكبا يشبك فرسه فظفروا به وقـتلوه ورجعـوا إلى حلـب وقرروا الطنبغا الصغير فى نيابتها وتوجهوا إلى دمشق فلما بلغ ذلـك الأمـير ططـر فـى ربيع الأول اخرج اقطاع الأمير الطنبغا القرمشى لتانى بك ميق ثم أخـرج بقـية اقطاعـات الأمـراء المجـردين ووقـع التـباين بـين الطائفـتين، واتفق الطنبغا القرمشـى [ق ٤٣ب] وجقمـق المؤيـدى على مباينة المصريين ثم وقع بينهما الخلف ومال القرمشـى إلى المصـريين ثـم جددت الإيمان للمظفر بن المؤيد والقائم بدولته ططر وكتب له تفويضـاً عن الخلافة وشهد فيه القضاة ثم حكموا بصحته ودخلت فى رأسه النحوة ولهج بالاسـتبداد بـالملك تلويحـاً وتصـريحاً وأخذ فى أسبابه وأعانه عليه قوم أخرون وشرع فى إرضائه من يخشى شره ومخادعته بالمال.

وفـى شهر صفر: أطلق الظاهر ططر محمد بن قرمان واعاد له مملكة بلاده. وفى ربيع الآخـر نـازل عـدر بـن نعـير بلاد حلب فخرج له الطنبغا الصغير فكسره وهزمه ثم توجه الطنـبغا الصغير إلى ابن كبك التركماني ووقع بينهم حرب كبيرة وانتصر الأمراء الحلبيون عـلى التركمـانى. وفي سابع ربيع الآخر :جهز الأمير ططر إلى السفر للبلاد الشامية وانفق عـلى المماليك السلطانية نفقـة السـفر وفـى التاسـع عشـر من شـهر ربيع الآخر خرجت العسـاكر المصـرية مـتوجهة [ق٤٤أ] إلى الشـام بسـبب مخالفـة الأمـراء بالشام عليهم فإن الآمـراء الحلبيين كانوا قد توجهوا من حلب بعد قتل نائبها إلى دمشق وانضم اليهم مقبل الدوادار الذى كان تسحب فبلغ ذلك الأمير ططر فأنفق الأموال وانفذ ما كان حاصلاً حتى لم يبق معه إلا القليل وخرج الأمير ططر بمن معه إلى السفر وقرر الأمير جقمق العلاى وهو

الذى تسلطن بعد ذلك بالأسطبل وقاني بيه الحمزاوى نائب الغيبة وقطع نائب القلعة وضرب الأمير ططر خامه بالريدانية في الرابع عشر من الشهر المذكور .

ثم خرج في المقدمة على باى الدوادار واينال الأزعرى الحاجب وغيرهما ثم توجهت العساكر في يوم الجمعة الثاني والعشرين منه فوصل جاليش الشاميين إلى غزة فلما بلغهم وصول العساكر انهزموا بغير قتال واستاء من جلبان رأس نوبة واينال النوروزى وحضر إلى المصريين فى أثناء طريق غزة وتوارد غالب من كان في المقدمة [ق٤٤ب] إلى أن كان الذين حضروا عند الأمير ططر بغزة ستمائة نفس منهم وكان دخولهم غزة فى ثانى جمادى الأولى يوم الأثنين في دست كبير وأبهة هائلة ثم وقع بين الشاميين مباينة فقام ألطنبغا القرمشى الأتابكى ومن انضم إليه من الأمراء المجردين على جقمق نائب الشام ومن معه فانكسر جقمق وهرب هو و مقبل الدوادار وطوغان أمير أخور إلى صرخد وتحصنوا بها واستقر ألطنبغا القرمشى حاكماً بدمشق فوصلت عساكر المصريين إلى دمشق فى نصف الشهر والقى القرمشى ومن معه بالمقاليد وطلبوا الأمان ودخلوا فى الطاعة واخلع عليهم ثم مسكوا بعد قليل فى يومهم وقتلوا ثم جهزت طائفة إلى صرخد بسبب جقمق ومن معه واستمر قطلوبغا التمرارى بطالا وشرباش فشق والطنبغا المرقى بطالين بالقدس واستقر تانى بك ميق نائب الشام وقرر عوضه جانى بك الصوفى أتابك العساكر ثم خرج الظاهر ططر [ق٤٥أ] بالعسكر إلى حلب فاستمر بها نحو أربعين يوماً حتى قرر الأمور بها وقرر فى نيابتها تغرى بردى من قصروه ثم رحل الأمير ططر من حلب وصحبته العساكر في ثانى عشر شهر شعبان قاصدين دمشق فوعك ططر فى الطريق ثم عوفى ودخل دمشق فى رابع عشر شعبان فأقام بها قليلاً وقبض على اينال الجكمي وإينال الأزعرى ويشبك الإينالى وجلبان وازدمر الناصرى وعدة معهم من الأمراء الطبلخانات والعشرات فاعتقلهم وذلك فى الثامن والعشرين من شعبان وحضر الأمير جقمق وطوغان من صرخد فجهز طوغان إلى القدس بطالا وسجن جقمق ثم مات فى ليلته وبات تلك الليلة عند الظاهر ططر تانى بك ميق النائب بدمشق وغيره من خواصه ،وطلب الأمير ططر الخليفة والقضاة والأمراء إلى القلعة بدمشق وولى ططر المشار إليه السلطنة وهو ططر من خوجكى الظاهرى كان من مماليك الظاهر برقوق ثم كان فى خدمة أبيه الناصر إلى أن خرج إلى البلاد [ق٤٥ب] الحلبية بسبب جكم ،فلما رجع إلى مصر استمر ططر مع جكم ثم لما قتل جكم استقر

أميراً بحلب وتمربغا المشطوب نائباً بها يومئذ واستمر فيها مدة طويلة وهو فى أثناء ذلك ينتمى إلى نوروز إلى أن وقع بين شيخ ونوروز وانكسر نوروز واستمر ططر مع المؤيد فلما اقتسم شيخ ونوروز البلاد بعد قتل الناصر فرج قدم ططر إلى مصر مع المؤيد واستمر فى خدمته إلى أن تسلطن وحاصر معه النوروزية وهو يظهر خدمة المؤيد ونصحه ويبالغ فى ذلك إلى أن أمّره طبلخاناه ثم أمّرهَ تقدمة ثم لما توجه المؤيد لقتال قانباى استنابه بالأسطبل. ثم لما مات المؤيد استقر نظام الملك وخرج إلى الشام ثم ولى السلطنة وكانت ولايته السلطنة بمبايعة الخليفة والقضاة والأمراء له على ذلك.

فى يوم الجمعة سلخ شهر شعبان من سنة أربع وعشرين وثمانمائة المذكور وكانت ولايته السلطنة بعد خلع المظفر أحمد بن المؤيد [ق ٤٦أ] شيخ ولقب بالظاهر وخطب له على المنابر بدمشق فى ذلك اليوم واستمر الظاهر مقيماً بدمشق إلى الرابع عشر من شهر رمضان فرحل منها بعد صلاة الجمعة طالباً الديار المصرية وقرر بدمشق تانى بك العلاى ميق على عادته، وقرر فى طرابلس تانى بك البجاسى وقرر فى حماه عوضاً عنه جار قطلى ودخل القاهرة يوم الخميس رابع شهر شوال من السنة المذكورة، واستقر الأمير برسباى الدقماقى فى الدوادارية الكبرى وهو الذى كان معتقلاً بالمرقب واحضره الظاهر ططر معه من التجريدة ثم تسلطن بعد ذلك واستقر يشبك الحكمي أمير أخو كبيراً وطراباى حاجب الحجاب ومرجان المؤيدى الخازندار زماماً بالدور الشريفة عوضاً عن كافور الصرغتمشى. واستمر الظاهر بعد ذلك ضعيفاً بنصل تارة ويشتد به المرض تارة أخرى، وصار يحضر الموكب داخل القاعة البيسرية عجزاً عن الخروج والركوب وتمادى به ذلك إلى ان] ق ٤٦ب] اشتد به المرض فى ذى الحجة فأوصى وعهد بالمملكة لولده وقرر الأمير برسباى الدوادار متكلماً عليه، وتوفى الظاهر ططر إلى رحمة الله تعالى فى يوم الأحد خامس ذى الحجة من السنة المذكورة، وكانت مدة سلطنته خمسة وتسعين يوماً وتولى السلطنة بعده ولده الملك الصالح محمد فى خامس شهر ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة وهو ابن تسع سنين، واستقر الدوادار الكبير الأمير برسباى الدقماقى فى تربيته وسكن بالأشرفية التى كان يسكنها الملك الظاهر ططر قبل السلطنة واستقر جانى بك الصوفى فى أتابكية العساكر فلما كان يوم الجمعة صلاة عيد الأضحى من السنة المذكورة ركب جانى بك الصوفى بالرملة فرموا عليه وخرج جانى بك الصوفى من

باب الاسطبل وخرج الأمير برسباى من باب السر فوقع القتال بينهما فأمسك جانى بك الصوفى بحيلة بعض الأمراء والمماليك وأمسك يشبك الحكمى أمير أخور ثم أرسله إلى [ق ٤٧أ] الإسكندرية فى حادى عشر شهر ذى الحجة واستقر طراباى اتابك العساكر عوضاً عن جانى بك الصوفى، واستقر سودون من عبد الرحمن دواداراً كبيراً. وفى رابع عشر صفر من السنة المذكورة انقطع طراباى عن الخدمة السلطانية غضباً من الأمير برسباى نظام الملكة بسبب أن بعض الأمراء مات فرام طراباى أخذ لبعض امرائه لبعض أصحابه فعارضه الأمير برسباى فتوجه طراباى إلى ربيع خيله بالجيزة فأراد الأمير برسباى تلاقى خاطره فأمر المباشرين بأن يجهزوا له إلى الربيع ما جرت العادة بتجهيزه لمن يتوجه الربيع وذلك فى العشرين من شهر صفر، واستمر طراباى عند خيله فروسل ان يحضر فامتنع حتى سار إليه الأمير يشبك الأعرج فحلف له وطيب خاطره، فلما استهل شهر ربيع الأول حضر الخدمة فى يوم الثلاثاء ثانية، ثم أشاع الأمير برسباى نظام الملكة أنه يريد أن يعمل الموكب بالإيوان بسبب حضور رسل [ق ٤٧ب] ابن قرايوسف فحضر أهل الموكب ومن جملتهم طراباى فلما تكاملوا قيل لهم الخدمة فى الأيوان اليوم بطالة فانصرفوا من الأيوان إلى القصر واحضرت برسل قرايوسف إلى القصر فلما جلس الأمراء فى السماط قال الأمير برسباى للأمراء انتم ما تعرفون إلى كبير الأمراء؟ قالوا: نعم فلم تخالفون أمرى وأشار بالقبض على طراباى، فقام طراباى فجذب السيف يحمى نفسه فهجم عليه قصروه أمير اخور قاوشه فضربه الأمير برسباى نظام الملكة من خلفه فجرح يده فسقط منها السيف فأمسك وأمسك معه اميران من جهته وأرسلوهم إلى الإسكندرية صحبة إينال الششمانى واعتقلوهم بها.

وفى السادس من ربيع الآخر: قدم الأمير تانى بك ميق نائب الشام إلى القاهرة فخلع عليه باستمراره وعظمه الأمير برسباى نظام الملكة تعظيماً زائداً وتكلم معه ان يكون سلطاناً فوافقه على ذلك فخلع الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر وكانت مدة ولايته [ق ٤٨أ] أربعة أشهر ثم ولى عنه الأمير برسباى[1] الدقماقى نظام الملك الشريف السلطنة

---

(١) هو برسباى الدقماقى الظاهرى أبو النصر السلطان الملك الأشرف صاحب مصر جركسى الأصل، كان من مماليك الأمير "دقماق" المحمدى وأهداه إلى " الظاهر" برقوق فأعتقه واستخدمه فى الجيش، فتقدم إلى ان ولى نيابة طرابلس والشام فى أيام المؤيد شيخ بن عبد الله ثم اعتقل بقلعة دمشق =

وهـو برسباى الظاهر كان من مماليك الظاهر برقوق وكان يخدمه دقماق الذى مات أخيراً بحمـاه، ويقال إن الذى اعتق الأمير برسباى هو الظاهر برقوق، ثم صار برسباى من أتباع جكـم ثـم صـار من اتباع نوروز ثم صار مع شيخ بعد مقتل الناصر، ثم حضر مع المؤيد إلى مصـر فـولاه نـيابة طرابلس ثم غضب منه واعتقله بالمرقب ببلاد الشام. فلما دخل الظاهر ططـر إلى الشـام استصـحبه معـه إلى القاهرة ثم قرره دواداراً كبيراً ثم لما توفى الظاهر ططر وولى بعده ولده محمد ولقب بالصالح، كان الأمير برسباى نظام مملكته ثم لما خلع الصالح ولـد الظاهـر فـى ثـامن ربـيع الآخـر سـنة خمس وعشرين وثمانمائة كرمه الأمير برسباى وقـرنه بولـده وكانا يركبان معاً. وفى يوم الأربعاء الثامن من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشـرين وثمانمائـة [ق ٤٨ب] وهـو الـتاريخ المـتقدم وذكره قبل الظهر بدرجتين عقدت البـيعة للامـير برسـباى بالسـلطنة ولقـب بـالملك الأشرف وهو بالمرقد بالأشرفية ثم ألبس الخلعـة وجلـس عـلى التخـت وفـوض إليه الخليفة السلطنة وخلع فى صبيحة هذا اليوم عـلى ببـيغا المظفرى بوظيفة الأتابكية، واستقر قجق العيسوى أمير سلاح وآقبغا التمرازى امـير مجلس. وفى هذا الشهر برز مرسوم الملك الأشرف برسباى بإبطال ما كان يؤخذ من الأمـراء مـن المـتوفر عـند موتهـم أو مسـكهم وفيه أيضاً جهز مقبل القديدى للعمارة بمكة المشرفة.

وفـى ثـامن شـهر رجب من السنة المذكورة: عصى إينال نائب صفد وأطلق المسجونين بهـا وهـم جلـبان أمـير أخـور وإيـنال الجكمـى رأس نوبـة نائـب حلـب ويشبك الإينالى الأسـتادار ووجـد فـى صـفد مالاً بالقلعة فتقوى به وكتب إلى الأمراء بالقدس بموافقته فلم يوافقـه احـد، فأرسـل كـتابه إلى مصـر فكوتب مقبل الذى كان [ق ٤٩أ] دواداراً ثم صار أميراً بالشام ان يكون نائباً بصفد وكوتب نائب الشام بجمع العساكر والتوجه إلى صفد ثم

= فأخرجه ثم قرره دواداراً كبيراً له بمصر، وتوفى ططر وبويع ابنه " الصالح" محمد، فتولى برسباى تدبير الملك اسابيع ثم خلع الصالح ونادى بنفسه سلطاناً وتلقب بالملك الأشرف سنة ٨٢٤هـ فاطاعه الأمراء وهدأت البلاد فى أيامه، وغزا مدينة " قبرص" ففتحها وأسر ملكها وأنشأ مدارس بمصر وعمارات نافعة وأصيب بالماليخوليا فأتى بأعمال مستغربة ولم يلبث أن توفى بقلعة القاهرة سنة ٨٤١هـ / ١٤٣٨م وكان مولد سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٥م.

انظر المزيد فى: بدائع الزهور ٢/ ١٥، الضوء اللامع ٣/ ٨٠.

فـى العشـر الأواسـط اوقـع إيـنال الـذى كـان نائب صفد بالغربان فكسروه وفارقه الأمراء المسجونون الذين كان أطلقهم وتوجهوا إلى الشام طائعين ثم إن النائب بالشام ظن بالأمراء القـادمين خديعـة فقـبض علـيهم، ثـم أطلـق جلبان وبقى الآخران بالسجن مدة ثم سجن إيـنال الـذى كـان نائـب صـفد بقلعتها بعد نزوله بالأمان ودقت البشار بالقاهرة بالنصرة عليه.

وفـى أول شهر ربيع الأول من ستة وعشرين وثمانمائة: استقر قصروه أمير أخور كبير فـى نـيابة طـرابلس، وقـرر الأمـير جقمق العلاى أمير أخور كبيراً عوضه واستقر جرباش قاشق حاجب الحجاب عوضاً عن الأمير جقمق.

وفـى ثـانى شـهر ربيع الآخر خرج السلطان إلى أوسيم للإقامة بها وكان قد عزم على الإقامـة بهـا نصـف شـهر فلم يقم بأوسيم [ق ٤٩ب] إلا أسبوعاً ثم حضر إلى القلعة وقد تعرض إلـيه فـى طـريقه السواس وأخبره انه رأى فى النوم السيد أحمد البدوى نفع الله بـبركته وبين يديه نار وهو يطفأها وكلما أطفأها عاد لهيبها فسأل السلطان عن ذلك فقيل لـه هذه نار اطفئها عن السلطان، فشاع بعد ذلك أن السلطان ظفر باثنين أو ثلاثة يريدون الفتك بـه ونجـاه الله تعـالى مـنهم. وفـى العشـر الأخـر مـن ربيع الآخر حضر تانى بك البجاسـى نائـب حلـب إلى القاهـرة فسـلم على السلطان وأخلع عليه باستمراره فى نيابة حلب.

ثم توجه إلى الشام فولى نيابتها ثم عصى بعد مدة قريبة وقتل.

وفـيها: جهـز الأمـير آقبغا التمرازى إلى الإسكندرية يحفظها من الفرنج وآل الأمر إلى استقراره نائباً بها.

وفـى سـادس شـهر شـعبان انتقل تانى بك البجاسى المذكور من نيابة حماة إلى نيابة الشام.

وفـى شـعبان: هـرب جـانى بـك الصوفى من البرج بثغر الإسكندرية بمواطأة السجان وهـروبه معـه [ق ٥٠أ] ولما ورد الخبر بذلك إلى القاهرة اضطرب العسكر وانزعج السلطان من ذلك وندب طائفة للتفتيش عليه ودام ذلك مدة ولم يظفر به فى القاهرة.

وفـى هـذا الشـهر: وردت الأخـبار بـتحرك الفرنج على بلاد المسلمين فجهز السلطان عـدة أخـبار إلى السواحل ودمياط والإسكندرية وغيرهما ولو استمريت فى ذكر ما وقع فى

أيام الملك الأشرف لطال الأمر فإن مدة إقامة السلطان الملك الأشرف فى السلطنة ست عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام.

والمجريات والحوادث والوقائع فيها كثيرة يطول ذكرها فلنقتصر منها على أهمها وهو ما جهزه من العساكر المنصورة المغزاة فى سبيل الله تعالى وقتال الفرنج وما جهزه العساكر المنصورة إلى البلاد الشامية.

وكان الملك الأشرف المشار إليه مسعوداً فى حركاته حتى إنه لم يقم عليه أحد إلا وظفر به من غير أن يتوجه إليه بنفسه ويجهز له عسكراً فى الغالب ولم يسافر بنفسه مع عساكره سوى مرة واحدة وهى سنة آمد [ق ٥٠ب] وسيأتى ذكرها فى محلها إن شاء الله تعالى ويتبعها بذكر شئ مما حدث بعدها من الأمور المهمة وتاريخ وفاته وما جهزه مولانا السلطان الملك الأشرف برسباى المشار إليه من العساكر المنصورة إلى الغزاة فى سبيل الله تعالى وقتال الفرنج خذلهم الله تعالى.

ثم فى سنة سبع وعشرين وثمانمائة: جهز الملك الأشرف إلى الغزاة فى سبيل الله لقتال الفرنج من البلاد المصرية مركبين وخرج لهم من بيروت مركب ومن صيدا مركب فاجتمعوا وعدتهم ستمائة مقاتل وثلاثمائة فرس ونازلوا جزيرة الماء غوصة فانتهبوها وأحرقوا ما بها من القرى وما بساحلها من المراكب وقدموا سالمين غانمين وفرح الناس لذلك وكان رجوعهم فى شهر شوال منها فقدموا إلى القاهرة فى العشرين من ذى القعدة وكان معهم من الأسرى ألف نفس وسبعمائة نفس.

ثم فى سنة ثمان وعشرين وثمانمائة: لما رجع العسكر من الغنيمة والأسرى عند توجههم فى سنة [ق ٥١أ] سبع وعشرين وثمانمائة أمر السلطان الأشرف بتجهيز الأغربة والاستكثار منها لغزوة قبرص وهى الغزوة الأولى إليها وجدَّ الملك الأشرف فى ذلك وأرسل إلى طرابلس والإسكندرية ودمياط وبيروت، وأمر بتركيز الجند فى السواحل حفظاً لها من تعدى الفرنج عليها، فاتفق أن جابوس صاحب قبرص جهز غرابين وسلورة وشحنها بالرجال والعدد وأمرهم بتتبع السواحل ونهب ما استطاعوا وإفساد ما قدروا عليه فلم يبلغوا من ذلك غرضاً لحفظها بالجند، واتفق أنهم احتاجوا إلى الماء فانتهوا إلى مكان يقال له نهر الكلب. فلما رآهم الحرس كمنوا لهم فلم يروا أحداً فدخلت السلورة النهر وهو ضيق فخرج عليهم الكمين فاحرقوها وأسروا من فيها ورجع من فى القرابين إلى

قبرص. ولما تكاملت العمارة جهز الملك الأشرف الجند وتوجه صحبتهم من المقاتلين تطوعاً عدد كثير وركب السلطان الأشرف إلى الساحل فعرض الجميع وسافر [ق ٥١ب] إلى دمياط وكان باشهم الأمير جرباش قاشق، وكان جابوس صاحب قبرص جهز أميراً من امرائه يقال له باله في تسعة اغربة فوقف على فوهة دمياط يمنع اغربة للمسلمين من الدخول في البحر الملح فوقف هناك فصادف مجئ العمارة من الإسكندرية فقصدوهم فانهزموا منهم بغير قتال وسافر الجميع من فم دمياط إلى طرابلس فانضم إليه المراكب لتجهزه منها ومن بيروت واجتمع فيها من الأمراء والجند والمتطوعين بالقتال ومن العشير والزعر عدد كثير. ثم أرسل الأمير جرباش كبير عسكر المسلمين جابوس صاحب قبرص في الدخول في الطاعة فامتنع فسافروا إلى جهته فوصلوا إلى الماغوصة فطلع الخيالة وأكثر المشاة وضربوا خيامهم بالبر، فحضر رسول من صاحب الماغوصة ومعه ضيافة وقال إنه في الطاعة وكان ذلك في رمضان وأوقع الله الرعب في قلوب الذين كفروا حتى كان الثلاثة من المسلمين يدخلون [ق ٥٢أ] الضيعة وفيها ما بين المائة والخمسين فلا يمتنع عليهم أحد ثم صادفهم أخو جابوس صاحب قبرص في ألف فارس وثلاثة آلاف راجل غير الكمناء. ثم إنه قذف الله في قلبه الرعب فرجع بمن معه.

ولما تمت لهم في الماغوصة أربعة أيام وقد أوسعوها نهباً واسراً قصدوا الملاحة وأحرقوا ما مروا عليه إلى مكان يقال له رأس العجوز فوجدوا هناك أميراً فأسروا من معه وقتلوه ثم صادفوا تسعة أغربة وقرقورة مشحونة مقاتلين فلاقاهم المسلمون فانكسر للنصارى غراب وزورق وهرب من فيهما إلى البر فأسرهم المسلمون وكان من تدبير صاحب قبرص أنه أرسل أخاه بغير قتال وأن هزم أهل البحر ووصل عسكر للمسلمين إلى الملاحة وضربوا خيامهم بها وشنوا بها الغارة في الضياع وقتلوا الذى كان أميراً على الملاحة ويقال إنه كان شديداً على أسرى المسلمين [ق ٥٢ب] ويقال إنه كان اسمه عين الغزال، وكان جابوس أمده بأربعة احمال زدد خاناه على عجل فأحاط بها المسلمون ثم جمعوا الغنائم والأسرى ورجعوا إلى المراكب إلى أن وصلوا إلى اللمسون فحاصروا الحصن الذى هناك فأخذوه عنوة أى قهروا وملأوا أيديهم من الغنائم والأسرى وأحرقوا الحصن وكان ذلك في يوم الخميس مستهل شهر شوال وجهز الأمير جرباش مبشراً بالفتح ويقال إن جملة من قتل في مدة نصف شهر من الفرنج خمسة آلاف ولم يقتل من المسلمين في هذه الغزوة إلا

ثلاثة عشر نفساً وكان طلوعهم إلى القلعة بالأسرى والغنائم يوماً مشهوداً وكان بقية شوال منها.

ثم في سنة تسع وعشرين وثمانمائة: بلغ السلطان الملك الأشرف ان جابوس صاحب قبرص راسل ملوك الفرنج يستنصر بهم على المصريين المسلمين ويشكو ما جرى على بلاده فأرسل كل منهم له نجدة وأرسل ملك الكيتلان ابن أخيه بمراكب وفرسان وجدَّ جابوس صاحب [ق ٥٣أ] قبرص في عمارة المراكب والقراقير وغيرها على قصد الإسكندرية تشبيها بأبيه فإن والده كان طرق الإسكندرية فى أواخر سنة ست وستين وسبعمائة فى أيام الأشرف شعبان بن حسين ودخلها عنوة فى آخر المحرم واوائل شهر صفر سنة سبع وستين وسبعمائة وانتهبها وأسر منها خلائق والقصة مشهورة.

فأمر السلطان الأشرف لما بلغه ذلك بعمارة الأغربة والحمالات وجدَّ فى ذلك وبذل الأموال. فلما تكاملت العمارة انحدرت إلى فوه ويقال إنه بلغت عدة العمارة مائة قطعة وزيادة وندب إينال الجكمي وتغرى بردى المحمودى وغيرهما من الأمراء الكبار والصغار للغزاة وأن يكون إينال الجكمي على من فى البحر وتغرى بردى المحمودى على من فى البر وألا يعارض أحدهما الآخر وكان معهم من الأمراء قرامراد حجا الشعبانى ويشبك الشادر وإينال العلائى الأجرود وهو الذى تسلطن بعد ذلك بمدة طويلة وسودون [ق ٥٣ب] اللكاش وجانم المحمدى وغيرهم وتلاقت المراكب من الإسكندرية مع المراكب المصرية بثغر رشيد فى شهر رجب فاتفق أن الريح هاجت فى بعض الليالى فكسرت أربع حمالات، ومات فيها مائة فرس وتسعة انفس، وبلغ السلطان الأشرف ذلك فتطير جماعة من الأمراء وثبت السلطان ولم يتطير وقال له كاتب السر وهو حين ذاك المرحوم القاضى بدر الدين بن مزهر تغمده الله برحمته يا مولانا السلطان ما كان أوله كسر يكون آخره جبر. ولما بلغ قراقر الإسكندرية ما جرى على الحمالات راجع أميرهم إلى الإسكندرية فأقام بها يحث العساكر. فلما كان مستهل شهر شعبان هجم عليهم غراب وقرقورتان مملوءة من المقاتلين جهزهم صاحب قبرص ليأخذوا من يجدونه بساحل الإسكندرية لعلمه بسير القراقير الخمس إلى جهته باعلام من بالبلد من الفرنج له فدخلوا وهم يظنون أن الخمس قراقير رشيد فواجهوهم فارشقوهم رميا بالنشاب إلى أن هزموهم [ق٥٤أ] فاتفق أنهم خرجوا مقلعين فوافاهم اغربة أرسلها إليهم. من بثغر رشيد من

الجنة، فلم تزل الجند والمراكب توافيهم من كل جهة إلى الرابع والعشرين من شهر شعبان فساروا مقلعين حتى وصلوا إلى اللمسون فوجدوا الحصن الذى كانوا أخربوه قد عمر وشحن بالمقاتلين فأحاطوا به في السابع والعشرين. وصعد يشبك قرقش وهو من الفرسان المقدمين ومن معه على سلم من خشب ومعهم خلق كثير، فهرب الفرنج الذين فى الحصن بعد أن كانوا أوقدوا قدور الزفت تغلى ناراً ليصبوها على من يصعد إليهم من المسلمين فهزمهم الله تعالى وملكوا البرج الأول وأحاط بعض المسلمين بالأقلسية وهى قرية من قبرص خارجة عن حكم جابوس صاحب قبرص نظير الماغوصية وهى من البنادقة، فطلبوا من المسلمين الأمان فأمنوهم فحملوا إليهم الهدايا والضيافات فسألوهم عن جابوس ملك قبرص فقالوا: إنه مستعد فى خمسة آلاف فارس وسبعة آلاف [ق ٥٤ب] راجل فراسلوه أن يدخل تحت الطاعة ليؤمنوه على نفسه وجنده وبلده وإلا قاتلوه وخربوا قصره وأسروه وقتلوه، فلما بلغته الرسالة أخذته حمية الجاهلية فقتل الرسول وأحرقه فبلغ المسلمين الخبر فى مستهل رمضان، فاقتسموا قسمين النصف مع تغرى بردى المحمودى فى البر، والنصف مع إينال الجكمى فى البحر فلم يزل أهل البر سائرين حتى وصلوا موضع الكنيسة وجدوها خراباً والبئر التى بها قد هدمت فحفروا حولها فظهر الماء فشربوا بعد ان كانوا عطشوا، ثم ساروا فى جبال وتلال وهم صوام والحر شديد فنزل المقاتلون فى ظل الشجر وإذا بصاريخ يصرخ جاءكم العدو فثاروا وركبوا وحصلت رحمة عظيمة، وكان جابوس صاحب قبرص لما قتل الرسول ركب فى عساكره بعد عرضهم، وجهزوا قراقيره في البحر للإحاطة بمن فى البحر. فلما رأى الجمعان انحاز إلى بساتين هناك وجعل بينه وبين المسلمين نهراً وتقدمة نحو [ق ٥٥أ] الخمسمائة من المقاتلين الفرنج فبرز لهم من المسلمين خمسة: تغرى بردى الخازندار المؤيدى وقطلبغا المصارع وعلان وآخران اثنان فلحق بهم ابن القاق مقدم جيش الشام فنادوا يا وجوه العرب ويا آل جركس إن أبواب الجنان فتحت إن متم كنتم شهداء وإن عشتم عشتم سعداء بيضوا وجوهكم واخلصوا لله العمل، فحملوا حملة واحدة فنصرهم الله وقاتل قطلبغا قتالاً عظيما فعثر جواده فقام عنه وقاتل راجلا إلى أن قتل رحمه الله.

فلما رأى جابوس صاحب قبرص أن عسكره فى إدبار وقد استظهر عليهم أهل الإسلام ركب إلى الهرب ثم إن عسكره خالفوه وحملوا فصبر لهم المسلمون واشتد الأمر

فاتفق أن جابوس صاحب قبرص وقع عن فرسه فنزل أصحابه واركبوه غيره فوقع ثانياً فنزلوا فاركبوه ثانياً فكبا به الفرس فدهشوا وذهلوا عنه فانكسر عسكره وولوا الأدبار فرآه بعض الترك فأراد قتله فصاح أنا الملك [ق ٥٥ب] فأسروه واستمر المسلمون خلف الفرنج فأوسعوهم قتلا فلم يزالوا كذلك إلى أن غربت الشمس.

وقيل إن جملة من قتل منهم فى ذلك اليوم ستة آلاف. ثم رجع المسلمون فنزلوا على الماء وباتوا على أهبة. فلما أصبحوا توجه الأمير يشبك الشادر ومن معه إلى جبل الصليب فخربه وما حوله من الديارات وحضروا الصليب الذى كان به وكانوا يعظمونه حتى سموه صليب الصلبان ثم صار تغرى بردى المحمودى بالعسكر إلى جهة الملاحة وتوجه بعض العسكر إلى من بالمراكب فاعلموهم بما وقع من المسلمين وأن صاحب قبرص مقيد وأن أخاه قتل وان ابن أخى صاحب الكيتلان الذى جاء نجدة له مقيد، ثم وصل العسكر وكان ثانى رمضان فلما كان يوم الخميس خامسه ساروا إلى الأفقسة وهى كرسى المملكة.

فلما رأى الفرنج الذين فى القراقير خلو البحر من الجند حطموا مراكب المسلمين فأمر اينال الجكمى من معه بمدافعتهم وأرسل إلى تغرى بردى المحمودى [ق ٥٦أ] يعلمه فأعادوا عليه أكثر العسكر وتأخر معه طائفة. فلما رجعوا وجدوهم فى وسط القتال فاعلنوا بالتكبير فأجابهم من فى البحر وبادروا إلى طلوع المراكب وشنوا الغارة على مراكب الفرنج فاشتد القتال إلى أن دخل الليل فحجز بينهم فلما طلع الفجر بعدت مراكب الفرنج عن المسلمين، فلما هربوا تفطن إينال الجكمى فلم يجد الريح تساعدهم فتبعهم إياس الجلالى فقطع مركبا ووقع القتال بينهم وكان بالمركب ثلاثمائة مقاتل غير الأتباع فرمى عليهم بالسهام الحطابية حتى ما بقى احد منهم يجسر يخرج رأسه فطلع المسلمون وملكوها وقتلوا أكثر من بها واستمرت بقية مراكب الفرنج هاربة فى البحر حتى غابوا عن الأعين وكفى الله المؤمنين القتال بهزيمة من فى البحر من الفرنج فكان السبب لثباتهم فى القتال لم يعلموا أن ملكهم أسر وأن عسكره انهزم واستمر تغرى بردى المحمودى حتى دخل المدينة هو ومن معه بغير قتال وتلقاهم أكابر البلد ومن بها من القسيسين [ق ٥٦ب] والرهبان وذلك يوم الجمعة خامس شهر رمضان فخشى من مع تغرى بردى المحمودى على أنفسهم لقتلهم فشجعهم المحمودى، ثم دخل القصر فوجد به من الأمتعة ما لا يحصى فأقاموا بها صلاة الجمعة وأذنوا على صوامع الكنائس، ثم خرجوا يوم السبت

معهم الغنائم الكثيرة والأسرى. فلما وصلوا إلى المراكب اجتمعوا وحصر عدد الأسرى فكانوا ثلاثة آلاف وسبعمائة نفس، واختلف رأيهم في الإقامة والمطالعة بما وقع من الفتح وانتظار وصول الرسول بالجواب أو التوجه بالأسرى والغنائم والعود إذا أراد السلطان مرة أخرى استئصال بقية الفرنج والاستيلاء على بقية الغنائم فغلب الرأى الثانى وهو حضور العسكر فحضروا وصحبتهم الغنائم والأسرى ومن جملتهم ملكهم وهو مقيد، فلما وصلوا إلى ساحل بولاق اركب صاحب قبرص وقرينه ابن أخى صاحب الكيتلان على بغال عرج واعلامهم منكسة أمامه وحملت الغنائم على الجمال والبغال والأسرى صحبتهم وشقوا المدينة [٥٧أ] وكان ذلك يوم الأثنين ثامن شهر شوال ومعه الأمراء والجند، ولم يبق بمصر والقاهرة وضواحيها كبير ولا صغير إلا حضر للفرجة عليهم حتى سدوا الأفق، وكان أول الحمالين بباب المدرج وآخرهم ببولاق كشف عن صاحب قبرص رأسه وكب على وجهه حتي قبل الأرض عند الباب، ثم أحضر صاحب قبرص بين يدى السلطان قبل الأرض مراراً فأشار بحمله إلى السجن ووقع مغشياً عليه فلما آفاق أدخل إلى مكان أعد له، وكان صورة دخولهم أنهم رتبوا فى الميدان الكبير ثم ادخلوهم من باب القنطرة فشقوا القاهرة واجتمع أهل البلد حتى لم يتخلف أحد، وكان أمراً مهولاً من كثرة الخلق وجاز الأمراء ثم الأسرى، ثم الغنائم ونصبوا تاج الملك وأعلامه منكسة وهو راكب على بغل مقيد فلما وصل إلى المدرج باس الأرض ومشى فى قيده إلى أن وقف قدام السلطان بالمقعد وحضر ذلك أمير مكة ورسل ابن عثمان ورسل ملك تونس سلطان الغرب ورسل أمراء [ق٥٧ب] التركمان ورسل ابن نعير وكثير من قصاد امراء الشام، وكان اتفاق حضورهم من المستغرب فلما رأى صاحب قبرص السلطان عفر وجهه بالتراب بعد ان كشفه وخلع السلطان على الأمراء ثم طلب السلطان من صاحب قبرص مائتى ألف دينار يحمل منها وهو بمصر النصف ويرسل النصف إذا رجع والزم بحمل عشرين ألف دينار فى كل سنة ثم أفرج عنه بعد أن حمل ما قرر عليه معجلاً. ويقال إنه كان فهماً عاقلاً ينظم الشعر بلسانه ويعربه بالترجمان وأملى على شيخ الإسلام شهاب الدين بن حجر العسقلانى بعض من معه هذه الأبيات أنه نظمها وأرسلها إلى السلطان وهى هذه:

يا ملكا ملك الورى بجسامه   انظر إلى برحمة وتعطف

وارحـــم عزيـــزاً ذل وامـــتن بـــالذى اعطـــاك هـــذا الملـــك والنصـــر الوفـــى

ان لم تؤمـــــنى وتـــــرحم غربـــــتى فـــيمن ألـــوذ ومـــن ســـواكم لى يفـــى

فـلما قرئـت عـلى السـلطان وعرف معناها رق له وقال: عفوت عنه وتفرد الحال معه بعد ذلك أن يكون نائباً عن السلطان في قبرص وما معها وأن يقرر [ق ٥٨أ] عليه لبيت المال في كل سنة ألفي ثوب صوف ملونة قيمتها قريب من عشرين ألف دينار وأن يعجل سبعين ألـف ديـنار فالـبس تشـريفا ومركوباً وتوجه المسفر صحبته إلى الإسكندرية فطلب جميع الـتجار الفرنج المقـيمين بهـا فاقرضـوه المبلغ جميعه، فعجل به قبل ان يصل إلى بـلاده، وكـان أمـير الإسـكندرية يومـئذ اقـبغا الـتمرازى فأمـر بعـرض من بها من الجند والمقاتلـة فكانـت عدتهـم الفـين وخمسمائة ملس، واجتمع من الرعية مالا يحصى عدتهم فاصـطفوا له سمـاطين علي طريقه. فلما رأى كثرتهم قال والله إن كل من في بلاد الفرنج مـا يقاوم اهل الإسكندرية وحدهم وقد تقدم ان جابوس صاحب قبرص هو الذى كان أبوه قـد هجـم عـلى الإسـكندرية فـى سـلطنة الأشرف شعبان فقدر الله تعالى أن ولده جابوس يدخـل الإسـكندرية في صوره اليسير في سلطنة الأشرف برسباى فلله الحمد على جزيل هـذه الـنعمة وفـرح المؤمنون بنصر الله وكان ذلك [ق ٥٨ب] على غير القياس فإن الجند الذيـن توجهـوا إلى قـبرص لم يكـن عـادتهم يركـبون البحر ولا يقاتلون فيه فمن الله على المسـلمين بفضـله ونصـرهم، ولو كانت الأخرى مثل الأولى لطمع الفرنج في بلاد المسلمين خصوصـاً السـواحل وطـار خـبر هـذه الغـزوة فـى الآفـاق وعظم بها قدر سلطان مصر ولله الحمد.

ولـما عـاد جـابوس ملـك قـبرص إلى بـلاده عـاش مـدة قليلة ثـم هلك، وأما ما جـهزه السـلطان الملـك الأشرف برسباى تغمده الله تعالى برحمته من العسـاكر إلى البلاد الشامية. فجهـز فـى شعبان سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة عسكراً إلى الرها بسبب أن قرايلوك غار عـلى الـرها فنازلها وأخذ قلعة خرت برت وسلمها لولده، فتوجه إليه من الديار المصرية من مقدمـى الألـوف الأمـير اركمـاش الظاهرى الدوادار والأمير قرقماس الشعبانى حاجب الحجـاب والأمـير تغـرى بـرمش الأشـرفى، ومـن العشـرينات الطنـبغا الشمسـى، ومـن العشـرات سبعة، وهـم ظفـر مـن بـاكى وايـتمش السـودونى [ق ٥٩أ] واقطوى الموسوى وحطـطا البكلمشـى وألطنـبغا مـن اسكندر وكمشـتبغا حاجى واسرباى العثمانى وسودون

الكمشبغاوى وطوخ من عبد الرحمن. ومماليك سلطانية عدة ثلاثمائة نفر فحاصروا الرها وبها هابيل بن قرايلوك واسمه عثمان، فلم يزالوا حتى أخذوها ورتبوها وأفحشوا بكثرة النهب والتخريب والتحريق وغير ذلك وسافر الملك الأشرف لقرايلوك بنفسه وعساكره على ما سيأتى ذكره.

وفى سنة تسع وثلاثين وثمانمائة: جهز السلطان الأشرف عسكراً إلى جهة سيواس والبلاد الحلبية بسبب ظهور جانى بك الصوفى وهم من المقدمين الأمير جقمق العلاى أمير سلاح ثم أمير كبير الذى تسلطن بعد ذلك والأمير اركماس الظاهرى الدوادار والأمير يشبك الظاهرى حاجب الحجاب والأمير قراقجا الحسنى والأمير تانى بك من بردى بك والأمير خجا سودون السيفى نوروز والأمير تغرى بردى البكلمشى وانفق عليهم ستة عشر ألف دينار وتوجهوا إلى حلب والتقوا [ق ٥٩ب] بأميرها تغرى برمش وساروا جميعا وقبض على مملوك لابن دلغادر توجه من جهتهم لكشف حال أهل حلب فدلهم على جانى بك الصوفى أنه مقيم بالابلستين، فتوجهوا إليها، فهرب منها فهجموا البلد ونهبوها وأخربوها وعادوا إلى حلب.

فجهز السلطان الأشرف رحمه الله فى شعبان سنة إحدى وأربعين وثمانمائة إلى ارزنكان عسكراً من الأمراء خاصة ثمانية نفر من المقدمين وهم قرقماش الشعبانى أمير سلاح وآقبغا التمرازى أمير مجلس اركماس الظاهرى أمير دوادار وتمراز من قرمس رأس نوبة النواب ويشبك الظاهرى حاجب الحجاب وجانم الأشرفى أمير أخور وخجا سودون النوروزى وقراجا الأشرفى، ومن الطبلخانات تغرى برمش الزردكاش. ولم يكن صحبتهم امراء عشرات ولا مماليك واستمروا مسافرين إلى أن مات الملك الأشرف فى غيبتهم وحضروا إلى القاهرة بعد وفاته ودخلوا إليها فى الخامس من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين [ق ٦٠أ] وثمانمائة وسافر السلطان الملك الأشرف برسباى رحمه الله بنفسه وعسكره فى مدة سلطنته مرة واحد وهى فى شهور سنة ست وثلاثين وثمانمائة إلى آمد، وكان من أمر السفرة المذكورة أن السلطان الملك الأشرف برسباى خرج بمن معه من القاهرة تاسع عشر شهر رجب الفرد سنة ست وثلاثين وثمانمائة وهو أول يوم نزلت فيه الشمس الحمل، رحل السلطان من الريدانية قبل صلاة الجمعة بقدر نصف ساعة وصلى بعض من سافر معه بالقاهرة وساروا فباتوا مع العسكر بالعكرشة ورحل سحراً ووصل

بلبيس ثم سار بعسكره إلى أن وصل إلى غزة يوم الجمعة سلخ شهر رجب بعد العصر فى موكب عظيم وأقام بها إلى ليلة الخميس فرحل منها. وسار إلى أن وصل إلى دمشق العشرين شعبان، ثم سار إلى حمص ثم إلى حماه ثم إلى حلب، فدخلها فى موكب عظيم فى الخامس من شهر رمضان ورحل السلطان من حلب ومن معه [ق ٦٠ب] من العساكر ليلة الحادى والعشرين من رمضان طالباً للفرات فاجتاز به ومن معه من العساكر واستمر السلطان ومن معه سائرين إلى الرها فعبروها فوجدوها خالية واستمر وعسكره إلى آمد فنازلها أول يوم وقتل من العسكر من جماعة قرايلوك طائفة وتبين ان بها ولد قرايلوك وجماعة من العسكر وهى فى غاية الحصانة، فلم يقدر عليها فنصب عليها منجنيقا وأقام فى عمله مدة فتبين ان قرايلوك مقيم بجبل بالقرب من آمد فتوجه إليه بعض العسكر وأوقع به فساقه العسكر فانهزم مكيدة ثم عطف عليهم قرايلوك لما عرف بعدهم ممن يعضدهم فأوقع فهزموا وراموا من أميرهم ان يتبعه فخشى من كيده فتركوه وبلغ السلطان ذلك، فغضب منه، ويقال ان نائب الشام كان قد غضب من تقديم إينال الجكمى فقصر فى طلب قرايلوك مع قدرته عليه بشهامته وفروسيته وكل شئ له آجل محدود لا يتعداه، وصار العسكر فى شدة فى زمن حصار آمد من كثرة الحر والذباب [ق ٦١أ] وزحم الأرض من الجيف المقتولة وعزت الأقوات فوضعوا أيديهم فى الزروع التى فى ضواحى البلد فافسدوها ونقلوا ما بها من الحبوب فتوسعوا به وأتخذوا أرحيه لتطحن لهم بها غلمانهم ليقتاتوا بذلك ودام الأمر خمسا وثلاثين يوماً إلى أن ملوا ولم يظفروا بشئ، وكان لقرايلوك ولد يسمى مراد بك تركه بآمد وخرج منها، فقتل وولد يسمى محموداً، فصار يتتبع من وجده من العسكر يوقع به، فبلغ ذلك السلطان فأرسل سرية فاحضروا عشرين نفراً من جماعته ووسطوا تحت القلعة ثم تراسل السلطان وقرايلوك فى الصلح فاستقر الأمر على أن يخطب للسلطان ببلاد قرايلوك ولا يتعرض لأحد من جهة السلطان ولا من معاملات بلاده، ولا يمكن أحداً من جهته يقطع طريق التجار والقوافل وأن يسلم أكثرها، فأجاب إلى ذلك وانتظر الأمر وتوجه إليه القاضى شرف الدين بن العجمى نائب كاتب السر يحلفه فحلفه ورجع وتوجه السلطان بالعساكر إلى الرها [ق ٦١ب] فدخلها فى سابع عشر ذى القعدة وقرر بها نائباً الأمير إينال العلاى الأجرود الذى تسلطن بعد ذلك بمدة وجعل عنده مائتى مملوك لحفظها واعطاه تقدمة

قانباى البهلوان بحلب ثم أعطاه بعد ذلك تقدمة بمصر على نيابة الرها، وأعطى قانباى البهلوان تقدمة تغرى بردى المحمودى بدمشق ودخل السلطان إلى حلب فى خامس عشر ذى القعدة وأقام بحلب إلى السابع من شهر ذى الحجة فرحل منها قاصداً دمشق فدخلها فى تاسع ذى الحجة ثم رحل منها يوم السبت ثانى عشر منه. وأرسل إلى القدس مالاً تصدق به، ثم وصل إلى غزة فى العشرة الأول من المحرم سنة سبع وثلاثين وثمانمائة، ثم رحل من غزة يوم الخميس عاشوراء ثم وصل إلى بلبيس يوم الجمعة ثامن عشرة، ومات ما بين غزة وبلبيس من الجمال والبغال والخيول والحمير مالا يحصى كثرة مع شدة الحر، فوصل إلى الخانقاه السرياقوسية تاسع عشرة ودخل القاهرة وطلع إلى القلعة فى الثانى والعشرين من المحرم فى [ق ٦٢أ] موكب عظيم وأمامه الخليفة والقضاه والأمراء وزينت له المدينة. ثم بعد عود السلطان راسل قرايلوك الأمير اينال العلاى الأجرود نائب الرها يتهدده فأراد قتل رسوله فشفع فيه فضربه ورده رداً عنيفاً فبلغ ذلك قرايلوك فندب عسكره إلى القتال فامتنعوا ثم بلغ قرايلوك أن السلطان يريد العود إلى آمد فأمر بإحراق جميع المراعى التى حولها ولم يبلغ قرايلوك مراده من الرها، واستمر بها الأمير إينال نائباً. ومن الوقائع الغريبة فى أيام السلطان الأشرف برسباى رحمه الله تعالى فى المحرم سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة قدم السيد الشريف تاج الدين الحسينى الشيرازى إلى الديار المصرية رسولاً من قبل شاه روخ بن تمرلنك وقدم هدية السلطان الأشرف وسأل ان يؤذن له فى كسوة البيت الله الحرام وكانت الهدية ثمانين ثوباً من الحرير الأطلس وألف قطعة فيزوزج وتاريخ كتابه [ق ٦٢ب] ذو الحجة سنة ست وثلاثين وثمانمائة واعتذر السلطان عن اجابته إلى سؤاله بأنه يخشى ان يتطرق إلى ذلك غيره من الملوك، وقنع الرسول بهذا الجواب، ثم جهز معه الأمير اقطوه الذى كان دواداراً صغيراً، ثم صار مهمندادا رسولاً من قبل سلطان مصر بهدية وجواب وسافروا فى العشرين من شهر صفر من السنة المذكورة من طريق الشام. فى سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة المذكورة: وثب فياض بن ناصر الدين محمد بن دلغادر على ابن عمه حمزة أمير مرعش فأخرجه واستقر بها بغير تولية من السلطان، فتوجه الأمير قرقماش نائب حلب فقبض على فياض المذكور وولاها لابن عمه حمزة بك ابن على بك بن دلغادر فبلغ ذلك ناصر الدين والد فياض وهو يومئذ أمير الابلستين وقيصرية فشق عليه وجهز الأمير

قرقماش فياضاً إلى القاهرة فسجن بالقلعة فبعث ناصر الدين بن دلغادر زوجته خديجة والدة فياض تشفع في ولدها [ق ٦٣أ] وجهز معها هدية ومفاتيح قيصرية وأن يكون زوجها نائباً عن السلطان فيها فوصلت حلب في شهر رمضان ووصلت إلى القاهرة في أواخر شوال فقبلت هديتها وأفرج عن ولدها وأعطى نيابة مرعش واستقر أبوه بحاله بقيصرية. وفي أثناء ذلك التجأ حمزة إلى ابن عمه سليمان بن ناصر الدين بن دلغادر.

وفي هذه السنة: ظهر جانبك الصوفي الذى كان قد هرب من سجن الإسكندرية بعد ثلاث عشرة سنة ببلاد التراكمان. وجهز جاني بك الصوفي دواداره محمد بن كيغدى بن رمضان إلى ناصر الدين بك بن دلغادر بالآبلستين يحلفانه على انه إذا قدم عنده لا يسلمه ولا يخذله. ثم اجتمع جاني بك الصوفي بسليمان بن دلغادر فتلقاه وهو وامراؤه والأمير اسليماس بن كبك ومحمد بن قطلو بك ونزلوا بملطية، فجاء إليهم ناصر الدين بك ثم توجهوا إلى قرايلوك فاجتمعوا عليه وجماعة من التركمان، ثم توجهوا جميعا إلى محمد ابن قرايلوك بقلعة كان [ق ٦٣ب] مقيماً بها وكان من أمر جاني بك الصوفي ما يذكر بعد ذلك من إحضار رأسه إلى القاهرة.

وفي هذه السنة: جاء قاصد شاه رخ إلى قرايلوك يأمره بالمسير إلى قتال إسكندر بن قرايوسف فنزل جاني بك الصوفي ومن معه بدوركي وتوجه إلى ملطية ليحاصرها فمشى عليه إسكندر بن قرايوسف وأغار على ارزن الروم فأخذها فهرب قرايلوك إلى آمد فأقام بها وتوجه إلى أرمين.

فلما كان في صفر سنة تسع وثلاثين وثمانمائة: ألقى إسكندر وقرايلوك على ارزن الروم فخرج على قرايلوك كمين لإسكندر فلما خشي على نفسه ان يؤخذ رمى بنفسه في خندق المدينة فغرق فطلع به أولاده بعد ذلك ودفنوه، فجاء إلى إسكندر من غرقه بذلك، فأرسل إسكندر من أخرجه من قبره بعد ثلاثة أيام وخر رأسه ورأس اثنين من أولاده وثلاثة من الزامه وأرسلهم إلى القاهرة فنصبت على باب زويلة وذلك في ربيع الأول وزينت القاهرة فرحاً لذلك وأكرم السلطان [ق ٦٤أ] فصادر إسكندر واعطاهم مالاً وقماشاً ما يقرب من عشرة آلاف دينار وأما ما كان من أمر جاني بك الصوفي فأنه لما شاع ظهوره واشتهر أمره جهز السلطان الأشرف الأمير شاد بك رأس نوبة في سابع عشر ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ناصر الدين بك بن دلغادر وسليمان ولده ومعه

فرسان مسرجان من الذهب والكنابيش الزركش ليسلماه جانى بك الصوفى فجاء الخبر بأنهما أخذ المجهز إليهما واطلقا جانى بك وقدم شاد بك فى سادس عشر شهر رجب بذلك فشق على السلطان الأشرف، فجهز الأمراء على المذكور تجهزهم فى سنة تسع وثلاثين وثمانمائة قبلة، ثم جعل الملك الأشرف بعد ذلك شاد بك نائباً بالرها عوضاً عن الأمير إينال وكان من خبر جانى بك الصوفى بعد ذلك أنه اتفق توجهه هو وقرمش الأعور وابن اسلماس وابنا قطلو بك ومحمد بن قرايلوك لقتال إسكندر بن قرايوسف توجه جانى بك ومن معه فحضروا. ثم أظهر له ناصر الدين [ق ٦٤ب] بك بن دلغادر أنه معه فكتب إليه ان يقدم عليه، فقدم فى مائة وخمسين فارساً فتلقاه جانى بك فأظهر له المناصحة ثم أطمأن إليه ثم أقام عنده مطمئنا مدة ثم خرجا وهما سليمان وجانى بك إلى الصيد والتنزه فابتعدا. وكان قرمش على حصار دوركى فغدر به سليمان وقبض أصحاب سليمان على جانى وقيدوه وسرى به سليمان ليلة كاملة حتى أصبح به بالأبلستين فسجنه بها وقصد ناصر الدين بك ويجهزه ولده سليمان إلى صاحب مصر للأعلام يخبر جانى بك ليتخذه عنده يداً لأن يطلق ولده فياضاً فأنه لم يكن بلغه إطلاقه لما قدمت والدته إلى الديار المصرية وكتب ناصر الدين بك بن دلغادر كتاباً إلى نائب حلب يخبره بالقبض على جانى بك واقترح عليه فى مقابلته خمسة آلاف دينار فجهز نائب حلب كتابه إلى السلطان بمصر يخبره بذلك وكان الأمراء المجهزون من الديار المصرية لما توجهوا [ق ٦٥أ] إلى الأبلستين وخربوها وهرب منهم جانى بك الصوفى تخلف خجا سودون بعين تاب فاجمع جانى بك ومن معه على أن يكسبوه فلاقاهم فوقعت بينهم محاربة شديدة انجلت عن أخذ قرقش الأعور وجماعة معه وهرب جانى بك وسجن قرقش ومن معه بقلعة حلب. ثم جهزت رأسه إلى القاهرة مع رأس قرمش المذكور.

وفى شهر ربيع الأول سنة أربعين وثمانمائة: وصل العسكر المصرى المجهز إلى الأبلستين ووقع بعد ذلك أن جانى بك توجه آخرا فى حال هروبه إلى ابن قرايلوك فبلغ ذلك الأمير تغرى برمش نائب حلب فكاتب ابن قرايلوك فى أمره إلى أن اتفقا على خمسة آلاف دينار ليقبض عليه فبلغ ذلك جانى بك الصوفى فهرب بمن معه فتبعوه فى المعركة وقبض عليه وكوتب النائب فجهز المال ومعه سرية تحمله إلى حلب وكان السلطان فى ذلك فاتفقت وفاة جانى بك الصوفى ثانى يوم القبض عليه فوصلت السرية

فقبض المال وقطع رأسه [ق ٦٥ب] وجهزت إلى حلب ثم إلى القاهرة فوصلوا بها إلى القاهرة فى أول جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وثمانمائة وطافوا بها فى القاهرة وبلغ السلطان مقصوده منه والله الفعال لما يريد ثم فى العاشر من شوال سنة إحدى وأربعين وثمانمائة: حصل للسلطان الأشرف وجع فى باطنه وعاد إليه القولنج الذى كان يعتريه واعتراه سوء المزاج ووجع فى المعدة فانقطع عن الموكب والخدمة ثم اشتد به الضعف وقد تزايد بأهل مصر الموت بالطاعون فى ذلك الشهر والذى بعده.

فلما كان يوم الثلاثاء الرابع من شهر ذى القعدة: طلب السلطان الخليفة والقضاة والأمراء والأجناد وعهد السلطان بالسلطنة لولده يوسف وكتب عهده ولقب الملك العزيز واشهد السلطان على نفسه بذلك برضا أهل المملكة وامضاه الخليفة، ثم أشهد على نفسه أنه جعل الأمير الكبير جقمق نظام مملكة ولده وكتب له بذلك ورقة [ق ٦٦أ] مفردة وشهد فيها على السلطان بالتفويض وعلى الخليفة بالأمصار وأنفق على المالك السلطانية كل واحد ثلاثين ديناراً وانفض المجلس على ذلك ثم تزايد ضعف السلطان بحيث إنه أقام عشرين يوماً ملقى على قفاه لاحراك به إلا فى بعض الأحيان يحرك يده كالعابث أو ينطق بما لا يفهم وصار يجرع السوبق ونحوه بالمسفط فلا ينزل إلى جوفه من ذلك إلا اليسير وكان قبل ذلك قد افرط به الاسهال حتى انحطت قوته ثم عرض له الصرع فأقام فى أول مرة زماناً طويلاً بحيث ارجف بموته، ثم أفاق منه مختبلاً ثم عاوده بعد سبعة أيام فازداد انحطاطاً واستمر يعاوده حتى يئس منه كل من حوله من النساء والرجال والأطباء. وفى كل يوم يرجف بموته ويتهيأ الناس بذلك ثم يتحرك وكان فى أوائل شهر ذى الحجة خرج على لسانه بتحليف الأمراء لولده وولى عهده فحلف الأمراء والمماليك طبقة بعد طبقة على ذلك واستمر الحال [ق ٦٦ب] على ذلك والأمراء فى خوف وصلوا العيد وخلع الأمير الكبير ولى العهد على من له عادة بالخلع، ثم مات الملك الأشرف برسباى رحمه الله تعالى يوم السبت ثالث عشر شهر ذى الحجة قبل العصر، فاجتمع الأمراء بباب الستارة بعد العصر وجلس ولى العهد وطلب القصاص والأمراء والجند فاجتمعوا كلهم فعقدوا البيعة لولد السلطان الأشرف بالسلطنة ولقب بالملك العزيز كما تقدم ثم ألبس خلعة الخلافة وأركب الفرس ورفعت على رأسه القبة، ومشى الأمير الكبير معه إلى أن دخل القصر الكبير فأجلس على الكرسى وجلس حوله الخليفة والقضاة ثم

وقع جميع الأمراء وأهل الدولة من المباشرين وغيرهم. وقرأ كاتب السر عنوان التقليد وأدعى كاتب السر عند الشافعى عن السلطان أن الخليفة فوض إليه السلطنة على قاعدة والده، وسأل الحكم بذلك فاستوفيت شروط الحكم وحكم ونفذه القضاة وركب السلطان إلى داخل الدور وخرج الخليفة [ق ٦٧أ] والقضاة والجند اجمعون إلى باب القلعة، وأخرج الأشرف فى التابوت فوضع على المصطبة الكبرى فتقدم الشافعى للصلاة عليه فلما اتموا الصلاة عليه توجهوا إلى تربته التى أنشأها بالصحراء فدفن بها قبل أن تغرب الشمس ولم يتوجه معه من حاشيته إلا عدد يسير وكثر تزاحم العامة عليه رحمه الله تعالى.

واستمر الملك العزيز فى السلطنة بعد وفاة والده الأشرف مدة والحال يضطرب بين مماليك الأشرف برسباى وبين الأمير الكبير وكثر اللغط والقيل والقال أن أريد نقل الأمير الكبير النظام من الأسطبل السلطانى واستمر الشر والفتن تتزايد بينهم إلى أن قدم الأمراء المجردون وهم: قرقماس الشعبانى واركماش الظاهرى وجانم الأشرفى أمير أخور ومن معهم إلى القاهرة فى الخامس من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة.

وفى نصف ربيع الأول: بلغ الأمير النظام والأمراء القادمين ان المماليك الجلب ومن معهم يريدون [ق ٦٧ب] الفتك بهم، فتقرر الحال بين الأمير النظام والأمراء القادمين ومن معهم بعد تقدم مراسلات متعددة إلى الملك العزيز ومن معه ولم تفد شيئاً على عقد البيعة بالسلطنة للأمير الكبير جقمق النظام، ومدة ولاية الملك العزيز السلطنة ثلاثة شهور وستة أيام، فعقدت له الولاية بالسلطنة فى التاسع عشر من ربيع الأول من السنة المذكورة ولقب بالملك الظاهر أبى سعيد، وكان الملك الظاهر المشار إليه من الظاهرية برقوق وكان ينسب إلى الأمير جركس الخليلى المصارع بأخوة وكان ينسب إلى الأمير علاء الدين على بن إينال اليوسفى ولذلك لقب بالعلائى، ثم صار خاصكياً ثم أمير عشرة ثم طبلخاناة واستقر حاجب الحجاب بالديار المصرية وجعله الظاهر ططر بالاسطبل الشريف عند سفره إلى التجريدة للأمراء الشاميين ثم استقر أمير أخور كبيرا ثم أمير سلاح ثم أتابك العساكر المنصورة [ق ٦٨أ] ثم لما عهد الملك الأشرف برسباى لولده الجمالى يوسف بالسلطنة ولقب بالعزيز جعله نظام الملك الشريف متكلماً على ولده وكان فى حال أمرته كثير التواضع والمحبة للفقهاء والعلماء والصلحاء كثير البر للأرامل والأيتام، ثم لما تكلم

نظاماً بالمملكة اضطربت الأحوال من تقلب بعض المماليك الأشرفية واختلافهم، فخلع الملك العزيز وولى الظاهر المشار إليه السلطنة في التاسع عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة كما تقدمت الإشارة إليه واستمر في سلطنته ودامت مملكته إلى الحادى عشر من المحرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة فخلع نفسه من السلطنة وعهد بها لولده المقام الفخرى عثمان ولقب بالمنصور ثم توفى إلى رحمة الله تعالى فى الثالث والعشرين من المحرم وطلع الخليفة والقضاة والأمراء وأكابر المماليك السلطانية وألبس ولده الفخرى عثمان الخلعة الشريفة وعمل على رأسه القبة والطير وحملهما [ق ٦٨ب] الأمير إينال العلائى الأتابكى واستمر ولده المقام المنصورى فى السلطنة إلى أن خلع وولى الأمير إينال العلائى السلطنة على ما يأتى ذكره ووقائع السلطان الملك الظاهر المشار إليه الحادثة فى أيامه كثيرة شهيرة ادركها أكثر هذا العصر فلتقصر على ذكر اليسير الأهم منها:

فمنها: انه أول يوم تسلطن جمع الخليفة والقضاة والأمراء فلما اجتمعوا بالقاعة داخل الأسطبل عند الأمير نظام الملك وهوالملك الظاهر المشار إليه، قال الأمير قرقماش الشعبانى للقضاة والخليفة إن جماعة الأمراء اجتمع رأيهم على تقرير الأمير النظام فى السلطنة لعجز الملك العزيز عن تدبير المملكة ويترتب على ذلك الفساد الذى لاخفاء به فأجابه الخليفة بأننى أعلم هذا وأشهدكم أننى خلعت الملك العزيز من السلطنة وصيرت الأمير الكبير جقمق فى السلطنة وبايعه فى الحال وألبس الخلعة وصعد إلى القصر وجلس على الكرسى وبايعه الأمراء وحمل الأمير قرقماش القبة وخلع عليه على العادة، وقدم للخليفة [ق ٦٩أ] الفرس والخلعة فلبس وركب ورجع إلى منزله، ثم صعد القضاة إلى القلعة فسلموا على السلطان وقررهم فى وظائفهم وقرر الأمير قرقماش الشعبانى أتابك العساكر وأعطى تقدمتى ألف وتوجه كل إلى بيته ثم بعد ذلك بأيام يسيرة خلع السلطان على الدوادار الكبير على عادته وعلى إينال الدوادارية لفخر الكبير، واستقر تغرى بردى. البكلمشى حاجب الحجاب عوضاً عن يشبك امير سلاح عوضاً عن قرقماش واستقر آقبغا التمرازى أمير مجلس عوضاً عمن كان بها واستقر تمراز امير أخور عوضاً عن جانم واستقر قراقجا الحسنى رأس نوبة عوضاً عن تمراز وخلع على الجميع وأسكن الملك العزيز البربرية ووكل به خمسين نفساً، ثم أفرج عنه واستقر داخل الدار وقرر له ما يكفيه. ثم إنه فى يوم الأربعاء رابع ربيع الآخر بعد مضى خمسة عشر يوما من سلطنة

الملك الظاهر جقمق المشار إليه ثار جمع من الجند وطلبوا زيادة [ق ٦٩ب] فى النفقة الشهرية، فلم يلتفت إليهم فاجتمعوا إلى قرقماش فما زالوا به حتى ركب معهم ولم يركب معه إلا القليل ومعظم الأمراء والجند صعدوا إلى القلعة ووقع بينهم الترامى بالنشاب وقتل جماعة من الفريقين. وفى آخر النهار انهزم قرقماش ومن معه فنهب بيته ونودى لمن يحضره بإمرة وخلعة ورجع جماعة ممن كان معه إلى الطاعة قبل الهزيمة وكان السلطان عزل وولى الشرطة وولى على بن الطبلاوى فجمع له الذعر فبالغوا فى القتال مع جماعة السلطان إلى أن تمت الهزيمة وفرق السلطان فيهم جملة من الذهب والفضة رماها من أعلى المكان فتناهبوها وجدوا فى القتال.

وفى صبيحة يوم الخميس الثانى من يوم الوقعة قبض على قرقماش وأرسل إلى الإسكندرية وتتبع جماعة ممن كانوا معه فسجن بعضاً وبقى على بعض. وفى التاسع من شهر ربيع الآخر جرى تقليد السلطان بحضرة الخليفة والقضاة وخلع عليهم. وفى شهر رجب: أدعى القاضى علاء الدين بن اقبرس [ق ٧٠أ] بطريق الوكالة عن السلطان عند القاضى الآحنائى نائب القاضى المالكى على منصوب عن قرقماش بأنه بايع السلطان وخلع ونكث وشق العصا وقتل بسبب ذلك خلق كثير وقامت البينة بذلك وكتب به محضر وحكم الآحنائى بموجب ما قامت به البينة، وجهز المحضر إلى ثغر الإسكندرية وقرئ على قرقماش فاعذر فيه وقتل. وفى يوم الأربعاء خامس شهر شعبان من السنة المذكورة ورد الخبر بأن تغرى برمش نائب حلب اظهر العصيان وأراد القبض على الأمراء بحلب وهرب حاجب حلب إلى حماة فراراً من تغرى برمش فكتب إليه ان ينضم إليه وأن يجعله نائب حماه، ففطن الأمراء بحلب لأمره وأنه يريد القبض عليهم وأن يملك القلعة فحاربه الأمراء وأغلقوا القلعة فحاصرهم فيها.

وجاء الخبر إلى السلطان بذلك فى الحادى عشر من شهر رمضان فأمر بتقليد نائب طرابلس النيابة بحلب، وأرسل إليها تقليده وخلعته مع هجان، وأمره بالمسير إلى حلب والقبض على تغرى برمش، واستشعر [ق ٧٠ ب] السلطان من الأمير إينال الجكمى نائب السلطان العصيان، فورد كتابه فى ذلك اليوم يدل على استقراره على الطاعة فأطمأن لذلك، ثم أظهر العصيان بعد ذلك. ولما تمادى تغرى برمش فى عصيانه تمرد كتاب النواب فلم يطعه غالبهم وواطأ تغرى برمش بعض جماعة من القلعة بحلب ورشاهم

بمال، ففطن بهم نائبها وقتلهم، وهرب واحد من أهل القلعة وأعلم تغرى برمش بالخبر، فاستمر محاصراً للقلعة، فاستعان أهل القلعة بالعوام وسألوهم النصر فاجتمعوا ورجموا من يحاصر القلعة بالحجارة وخربوا المكان الذى صعده رماته ليرموا على القلعة فهزموهم وهجموا على دار العدل فهرب ايب لا يلوى على شئ ونهبوا ما وجدوا، ولم يبق معه سوى مائة فارس، فخرج من باب انطاكية ليس معه إلا ما هو فى ذهابه إلى أن وصل إلى شيراز فنزل على على بن قراصقل التركمانى فأواه وجمع له [ق ٧١أ] جمعا وتوجهوا إلى طرابلس وكان نائبها جلبان استعشر من تغرى برمش أنه شاقق فأخلى له طرابلس وتوجه إلى الرملة فدخل تغرى برمش طرابلس وأخذ منها أموالاً وخيولاً وتوجه قاصداً إلى إينال الجكمى بدمشق فحاصروا حماه، وانضم إليهم جمع من التركمان والعرب ثم أجمع رأيهم على الرجوع إلى حلب، فرجعوا إليها وحاصروها فى العشرين من شوال واستعدوا للحصار، وجد تغرى برمش ومن معه فى حصار أهل حلب ويقتل من عدوهم جماعة، ثم حاصر المدينة من جهة الميدان وخرب أماكن وأحرق بانقوسا، فلم يزالوا كذلك إلى أن خرج أهل حلب فصدقوا الحملة على تغرى برمش ومن معه، فانهزموا إلى جهة الشمال فنزلوا مرج دابق وكان قد استولى على عنتاب وأسكن بها جماعة من مماليكه واتباعه، وبلغ أهلها هزيمته من الحلبيين فوثبوا على من عندهم، فانتزعوا منهم القلعة والمدينة وأخرجوهم [ق ٧١ب] فلم يفاجئهم إلا الخبر بانهزام إينال الجكمى ومن معه على ما سيأتى ذكره. فاجتمعوا على حماة فلما اجتمعوا ليقتتلوا انجفل العرب ورحلوا واستمر تغرى برمش ومن معه فلما تراَى الجمعان انهزم تغرى برمش ومن معه فأحتووا على وطاقهم واستمرت هزيمتهم إلى صهيون ثم إلى الثغر، ولم يبق منهم إلا مائتا نفر أو أقل ثم استمروا إلى انطاكية فاجتمع عليهم جمع من الفلاحين ورموا عليهم بالحجارة وهجموا عليهم فأسروهم وصادف ذلك وصول الخبر إلى العسكر السلطانى وهم على خان طومان خارج حلب فإن السلطان لما بلغه عصيان تغرى برمش نائب حلب وإينال الجكمى نائب الشام استقر بالأمير اقبغا التمرازى نائب الشام وفى ثالث عشر رمضان من السنة المذكورة وخلع عليه بالقصر الشريف وعين معه عسكراً من الأمراء والمماليك فعين معه من الأمراء المقدمين الأمير قرافجا الحسنى والأمير تمر باى الأشرفى رأس نوبة ومن الطبلخانات الأمير طوخ [ق ٧٢أ] التمرازى، ومن العشرات أحد عشر نفرا وهم اقطوه

الموسوى وتنم من عبد الرازق الذى استقر فى آخر أمره نائب الشام وآقبردى الأشرفى أمير أخور وبايزبر من سفر حجا ويشبك الناصرى من ازوبيه وطوغان السيفى الآن الذى استقر أستادارا بالديار المصرية بعد ذلك وسودون الإينالى فرقش وجانى بك السيفى نوروز نائب بعلبك، وكان خشكلدى الناصرى البهلوان وقراسودون النوروزى رأس نوبة وعلى بيه من والده برد بك رأس نوبة وجانى بك المحمودى ومن المماليك السلطانية سبعمائة نفر فحين وصل العسكر السلطانى إلى خان طومان خارج حلب، فطلبوا المأسورين فاحضروهم إلى الأمير قطج فقيدهم واجتمع هو وبقية العسكر فى حلب فى العشر الآخر من ذى القعدة وكاتبوا السلطان فورد الخبر بالأمر بقتلهم فقتل تغرى برمش وابن سلقسز فى سابع عشر شهر ذى الحجة هذا ما يتعلق بتغرى برمش نائب حلب كان وأما ما كان من أمر إينال [ق ٧٢ب] الجكمى فأنه فى العشر الأول من شهر رمضان من السنة المذكورة أظهر العصيان على السلطان وقبض على الحاجب الكبير بدمشق وحصر من فى القلعة بدمشق واظهر الانكار على السلطان فى قتلة قرقماش وكان قبل ذلك وصل إليه كتاب من تغرى برمش النائب بحلب أنه عصي وهجم على الحاجب بحلب ليقبض عليه، ففر إلى حماه وان تغرى برمش حصار القلعة ورام الاستيلاء عليها، فأظهر إينال الجكمى نائب الشام الإنكار على تغرى برمش نائب حلب وجهز كتابه إلى السلطان خداعاً، فلما حضر عنده الأمراء ليشاورهم على التوجه إلى حلب ليقبض على نائبها ظنوا ذلك على ظاهره فحضروا بغير أهبة، فقبض عليهم وبلغ ذلك نائبا القلعة بالشام تعصى عليه. ولما قبض إينال الجكمى امتنع وذلك فى العشر الأول من شهر رمضان. ثم استولى على أموال الأمراء الذين سجنهم وشرع فى استخدام العساكر ثم ورد الخبر إلى الديار المصرية أن الأمراء [ق ٧٣أ] بالشام تسحبوا من الشام هرباً من النائب ووصلوا إلى الرملة، وكاتبوا بذلك واستحثوا على حضور العساكر إليهم، وكان السبب فى ذلك أنهم ندموا على طواعية نائب الشام فاجتمعوا وحاربوه فحاربهم فكسرهم وهرب إينال الششمانى إلى القلعة فتحصن بها وخرج الباقون إلى الرملة، وسار العسكر المنصور الذى عينه الملك الظاهر وهم الأمير أقبغا التمرازى الذى استقر نائب الشام ومن معه على ما تقدم ذكره لقصد البلاد الشامية بسبب عصيان تغرى برمش وإينال الجكمى المذكورين فوصلوا إلى غزة ورحلوا منها فرحل الأمير أقبغا التمرازى من غزة فى النصف من شوال وتلاحق به

الأمراء وبقية العسكر واجتمعوا يوم الأربعاء ثالث عشر شهر شوال بالخربة، وقد اجتمعوا بالنواب الذين كانوا مقيمين بالرملة وتقدم الأمير آقبغا التمرازى نائب الشام المستقر ومن معه من النواب وتأخر بقية الأمراء ومن معهم من المماليك السلطانية فلم يكن بينهم [ق ٧٣ب] إلا قدر ميلين فالتفوا بإينال الجكمى ومن معه، فحمل عليهم إينال ومن معه، فقتل صرغتمش دوادار جلبان ووقع طوخ نائب غزة عن فرسه وقتل جماعة وتمت عليهم الكسرة حتى وقع صنجق أقبغا نائب الشام، فسار مسرعاً فوصل إلى الأمراء والمماليك السلطانية وأمرهم أن يلحقوا به فصادف لحوقهم به ما وقع لمن كان معه من الهزيمة فرجعوا بهم وحملوا إينال ومن معه فألقوا كثيراً من الجند الذين كانوا مع إينال الجكمى وقبضوا على ولده قانصوه، وانهزم إينال الجكمى وتمزق جمعه ونزل العسكر كله فى شقحب، واتفق أن جانى بك دوادار برسباى الحاجب أدرك إينال الجكمى وهو منهزم وقد أصابته فى يده عدة جراحات وضعف لكثرة ما سال منه من الدم، فالتجأ إلى ضيعة فنزل فى بستان فيها فهجم عليه وقبض عليه واركبه فرسه وهو لا يستطيع الدفاع عن نفسه وساقه إلى ان أدخله قلعة دمشق ورجع [ق ٧٤أ] إلى العسكر وهم نزول بشقحب فأخبرهم بذلك فطلبوا ودخلوا الشام يوم الجمعة خامس عشر شوال فى أبهة عظيمة وجهزوا المبشر إلى السلطان بالخبر فوصلت بطاقة المبشر فى الرابع من ذى القعدة، ثم توجه العسكر المصرى من الشام إلى حلب لمحاربة تغرى برمش نائب حلب فرحلوا إلى جهة حماة وبها نائب حلب وقد جمعوا بها جمعاً كبيراً فكانت الكسرة عليه ونهب هو ومن معه وهرب هو إلى أن التجأ بقلعة شيزار وورد الخبر بذلك إلى القاهرة، ثم توجهوا قاصدين حلب إلى أن وصلوا إلى خان طومان، وكان من أمر تغرى برمش ما ذكر قبله من قبله، وانتهى الكلام على ما يتعلق به وبالأمير إينال الجكمى، ولم يسافر الملك الظاهر منذ سلطنته تجريده إلى الشام ولا غيرها. ولم يجهز عسكراً إلى البلاد الشامية سوى ما ذكرناه بسبب تغرى برمش وإينال الجكمى، وجهز الملك الظاهر رحمه الله تعالى الغزاة فى سبيل الله تعالى مرتين، فجهز فى ربيع [ق٧٤ب] الأول المبارك سنة سبع وأربعين وثمانمائة عسكراً لقتال الفرنج بردوس ومقدمهم الأمير تمرباى رأس نوبة الكبير والأمير إينال العلاى الدوادار ومعهم من المماليك السلطانية ألف وخمسمائة مقاتل ومعهم جمع كبير من المتطوعين بالجهاد وكان الأمير تمر باى أميراً على من فى البحر والأمير إينال

العلاى أميراً على من البر، وساروا فى رابع عشر ربيع الأول وتوجهوا إلى دمياط لتجمع بها المراكب الواصلة من البلاد الشامية وسافروا ففرقهم الريح واجتمعوا بطرابلس وسافروا منها ثم اجتمعوا فى قبرص ولقيهم عسكر خرج من بلاد الشام، ثم سافروا فى البحر فوصلوا إلى ساحل بلاد الروم. وافتتحوا فى سابع عشر شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة بلدة من جزائر البحر تسمى القشتيل بعد حروب كثيرة وحصار ورمى بالمكحة والمنجنيق وأمور يطول ذكرها وأسروا وغنموا ثم أجمع رأى العسكر على العود إلى الديار المصرية خوفاً من هيجان [ق ٧٥أ] البحر وعدم موافقة الرياح والله المستعان. واتفق وصولهم إلى ساحل دمياط فى يوم الأربعاء رابع عشر شهر رجب الفرد، ووصل الخبر إلى القاهرة بعد ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة، ثم وصل سودون المحمدى مبشراً بقدومهم فاجتمع بالسلطان في يوم الأحد الثاني والعشرين منه، ثم تلاحق بقية العسكر فمنهم من جرته الريح إلى الإسكندرية فنزل أكثرهم بساحل رشيد، ثم دخلوا بحر النيل فاستقبلتهم الريح المريسية فما تكامل مجيئهم إلا فى يوم الأربعاء حادى عشر شعبان فنزلوا جميعا ومعهم الأسرى والغنيمة إلى القلعة ثم خلع السلطان على الأمراء، وكان يوماً كثير الجمع، وجهز الملك الظاهر فى شهر الله المحرم سنة ثمان وأربعين العسكر إلى رودس لفتحها وأخذها من الفرنج ومقدمهم الأمير إينال العلاى الدوادار وجعل يلخجا أميراً على من فى البحر عوضاً عن الأمير تمر باى رأس نوبة [ق ٧٥ب] لاستعفائه من السفر، وقد كانت رودس المذكورة قد فتحت فى خلافة معاوية على يد جنادة بن أبى أمية وأمر معاوية جماعة من المسلمين بالإقامة فيها فأقاموا إلى أن ولى يزيد ولده الخلافة فأذن لهم فى الخروج منها خوفاً عليهم ففعلوا وتركوها ثم عاد بعد ذلك ولما وصل العسكر الذى جهزه الملك الظاهر إلى رودس تحصن أهلها فى قلعتهم فوجدها العسكر فى غاية التحصين وورد الخبر بأن عسكر المسلمين حاصر قلعة رودس وأنه أصيب من المسلمين خلق كثير بما رماهم الفرنج به من أعلى الحصن واصيب كثير من المراكب وقد حاصر العسكر المذكورة رودس مدة ولم يقدر الله فتحها وأن أكثر العسكر حصل له الفشل الخور بسبب من أصيب منهم وأنهم فى ضيق فجهز السلطان إلى العسكر برودس مدداً وهم الأمير شاد بك رأس نوبة أحد المقدمين ومعه أربعمائة مملوك وبعد توجه المدد وصل الخبر [ق ٧٦أ] برجوع العسكر كله بسبب تخاذلهم وكثرة الرمى عليهم والخوف من هجوم الشتاء، فأتفق

أكثر على الرجوع فلم يسع الباش إلا موافقتهم فتوجهوا إلى جهة الديار المصرية فوصلوا متفرقين وكان آخر من وصل كبيرهم الأمير إينال العلاى الدوادار الكبير، وكان وصوله فى آخر جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وثمانمائة، ولم يجهز الملك الظاهر جقمق للغزاة سوى ذلك ووقائعه معلومة لأكثر أهل العصر فنقتصر على ذلك. ثم أن مولانا السلطان الملك الظاهر فى حادى عشر المحرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة خلع نفسه من السلطنة وفوضها لولده الفخرى عثمان، ومدة ولايته السلطنة أربعة عشرة سنة وعشرة شهور، وتوفى الملك الظاهر جقمق فى الرابع والعشرين منه ولبس ولده التشريفة الشريف وركب معه الأمراء وحمل الأمير إينال أتابك العساكر القبة والطير، ودخل القصر ولم تطل مدة ولاية ولده حتى اختلفت الاهواء وتفرقت [ق٧٦ب] ثم خلع فولى بعده الأمير إينال العلاى اتابك العساكر المنصورة بالديار المصرية كان وكان الأمير إينال المشار إليه من مشتروات الظاهر برقوق الكتابية وأخرج له الخيل والقماش الملك الناصر فرج ولده ثم صار خاصيكاً ثم صار أمير عشرة فى المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة ثم استقر أمير طبلخاناة فى شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وثمانمائة ثم انتقل إلى نيابة غزة المحروسة فى شهر ذى القعدة سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة ثم انتقل إلى نيابة صفد عاشر شهر رجب سنة أربعين وثمانمائة ثم استقر أميراً كبيراً ودوادارا كبيراً بالديار المصرية ثالث عشر شهر جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثمانمائة عوضاً عن الأمير تغرى بردى البكلمشى بحكم لوفاته ثم استقر أتابك العساكر المنصورة عوضاً عن الأمير يشبك الظاهرى بحكم لوفاته فى شهر شعبان سنة تسع وأربعين وثمانمائة ثم جلس على تخت [ق٧٧ أ] مملكة الشريف فى ثامن ربيع الأول سنة سبع وخمسين وثمانمائة بعد محاربة ومحاصرة وخلع الملك المنصور بن الملك الظاهر جقمق، واتفاق اهل الحل والعقد وتفويض الخليفة له وألبس الخلعة وركب وصعد إلى الأسطبل السلطانى ثم إلى القصر الشريف وحمل على رأسه القبة والطير، وكان رحمه الله حليماً صفوحاً ولم يحصل فى أيامه من المشقة سوى تسلط المماليك الجلبان على كثير من الناس. ومنذ ولى السلطنة لم يسافر بنفسه تجريدة ولم يجهز عساكر سوى مرتين، المرة الواحدة فى شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستين وثمانمائة جهز عسكراً إلى بلاد ابن قرمان، وهم: الأمير خشقدم الناصرى أمير سلاح الذى تسلطن بعد ذلك والأمير قرقماش الأشرفى والأمير جانى بك

القرمانى والأمير يونس العلائى. ومن الطبلخانات ثلاثة نفر وهم الأمير جانى بك من سلمان وهو الناصرى والأمير بردى بك الفارسى رأس نوبة والأمير نوكان من بابا الزردكاش. ومن الأمراء العشرات [ق٧٧ب] سبعة نفر وصحبتهم من المماليك السلطانية أربعمائة نفر وتوجهوا ودخلوا إلى بلاد ابن قرمان ولم يقابلهم وهرب منهم في الجبال وضربوا بلاده وحرقوها وعادوا إلى القاهرة المحروسة فى شهور سنة اثنتين وستين وثمانمائة. وجهز الغزاه فى سبيل الله إلى رودس وما معها فى سنة ثلاث وستين وثمانمائة الأمير يونس الدوادار والأمير قانم من سفر حجا والأمير سودون الإينالى قرقش ومعهم من الأمراء الطبلخانات ثلاثة نفر، وهم: الأمير جانى بك من أمين الشهير بالظريف والأمير بردى بك الفارسى والأمير يشبك الفقيه. ومن العشرات ثمانية، وهم: كسباى الزينى من ششمان وطوخ الأبو بكرى الذى صار زردكاشا بعد ذلك وقانم من غيى ودقماق من يشبك وقراجا الأشرفي وسنقر الزردكاش وجكم من خشت وإينال اليحياوى. ومن المماليك السلطانية ستمائة نفر وتوجهوا وعادوا إلى القاهرة ولم يفتحوها ثم حصل ضعف فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين [ق ٧٨أ] وثمانمائة. واستمر فى ضعفه إلى حين توفى إلى رحمة الله تعالى فى سادس عشر جمادى الأولى سنة خمس وستين وثمانمائة، وكانت مدة سلطنته ثمان سنين وشهرين وسبعة أيام رحمه الله تعالى. وولى بعده المقام الشهابى أحمد الأتابكى ولقب بالملك المؤيد ولم تطل مدته فأنه أقام فى السلطنة أربعة شهور وأربعة أيام إلى أن ولى عنه السلطنة الملك الظاهر خشقدم تاسع عشر شهر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة على ما يأتى فى ترجمته، وكانت ولاية السلطنة الشريفة للأمير خشقدم الناصرى المشار إليه فى التاريخ المذكور وكان رحمه الله تعالى من مماليك الملك المؤيد أبى النضر شيخ ثم استقر خاصكياً ثم استقر ساقياً خاصاً ثم أمير عشرة بالديار المصرية فى تاسع شهر جمادى الأولى سنة خمس وأربعين وثمانمائة فى الدولة الظاهرية جقمق سقى الله عهده، ثم نقل إلى الشام المحروس وصار أميراً به فى سادس عشر ربيع [ق٧٨ب] الآخر سنة إحدى وخمسين وثمانمائة ثم عاد إلى الديار المصرية فى ثالث عشر شهر صفر سنة أربع وخمسين وثمانمائة واستقر أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية حاجب الحجاب بها على اقطاع الأمير تانى بك من بردى بك، ثم استقر أمير سلاح فى الدولة الأشرفية إينال فى شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين

وثمانمائة، ثم استقر اتابك العساكر المنصورة فى دولة المؤيد ولد الأشرف فى شهر جمادى الأولى سنة خمس وستين وثمانمائة: ثم ولى السلطنة الشريفة وجلس على تخت الملك الشريف فى التاريخ المعين أعلاه وهو التاسع عشر من شهر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة بعد محاربة ومحاصرة وخلع الملك المؤيد ابن إينال ولقب الأمير خشقدم بالملك الظاهر وكان حليماً وقوراً ووقع فى أيامه ما وقع فى أيام الأشرف إينال من تسلط المماليك الجلبان على كثير من الناس وقد كفى الله المسلمين .

الكشـــاف العـــام

١- الأعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

٢- الأماكن الجغرافية

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

٣- القبائل والطوائف والبطون

٤- الآيات القرآنية

٥- الأحاديث النبوية

٦- الأشعار

٧- الكتب الواردة فى النص

مصادر ومراجع التحقيق

١- أخبار القضاة: لوكيع (محمد بن خلف - ت ٣٠٦ هـ) بيروت عالم الكتب بدون تاريخ.

٢- الإرشاد فى معرفة علماء الحديث: لأبى يعلى (الخليل بن عبدالله بن أحمد بن الخليل الخليلى القزوينى - ت ٤٤٦ هـ) الرياض ١٩٨٩م.

٣- الاستيعاب: لابن عبد البر (يوسف بن عبدالله . ت ٤٦٣ هـ) تحقيق على محمد البجاوى نهضة مصر ١٩٧٠م.

٤- أسد الغابة فى معرفة الصحابة: لابن الأثير (على بن محمد عز الدين - ت ٦٣٠هـ) القاهرة ١٩٧٠م ، ١٩٧٤م.

٥- الإصابة فى تمييز الصحابة : لابن حجر (أحمد بن على العسقلانى - ت ٨٥٢ هـ) تحقيق على محمد البجاوى القاهرة - ١٣٢٨ هـ.

٦- الاعلام: للزركلى (خير الدين - ت ١٣٩٦ هـ) القاهرة ١٣٤٤ هـ

٧- الإعلام بوفيات الأعلام: للذهبى (محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨ هـ) مخطوطة بالظاهرية دمشق رقم ٤٥٤٧ عام.

٨- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: للسخاوى (محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢ هـ) تحقيق فراتز روزنثال بغداد - ١٩٦٣م.

٩- الأغانى: للأصفهانى (أبو الفرج على بن الحسين ت ٣٥٦ هـ) تحقيق عبد الستار فراج القاهرة.

١٠- الأنساب: للسمعانى (عبد الكريم بن محمد ت ٥٦٢ هـ) ليدن ١٩١٢م.

١١- الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل: للعليمى (عبد الرحمن بن محمد - ت ٩٢٧ هـ) القاهرة - ١٢٨٣ هـ

١٢- بدائع الزهور فى وقائع الدهور: لابن إياس (محمد بن أحمد ت ٩٣٠ هـ) تحقيق محمد مصطفى القاهرة.

١٣- البداية والنهاية: لابن كثير (إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤ هـ) القاهرة - ١٣٥١ هـ ١٣٥٨ هـ.

١٤- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: للشوكانى (محمد بن على ت ١٢٥٠ هـ) مطبعة السعادة القاهرة - ١٣٤٨ هـ.

١٥- بغية الملتمس: للضبى (المفضل ت ٢٩١ هـ) مدريد ١٨٨١م.

١٦- بغية الوعاة: للسيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١ هـ)
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة - ١٩٦٤م.

١٧- تاج التراجم فى تراجم الحنفية: لابن قطلوبغا (قاسم زين الدين ت ٨٧٩ هـ)
بغداد ١٩٦٢م.

١٨- التاريخ: لخليفة بن خياط ت ٢٤٠ هـ.
تحقيق أكرم ضياء العمرى دمشق - ١٩٧٧م.

١٩- التاريخ: لأبى زرعة الدمشقى (عبد الرحمن بن عمرو ت ٢٨١ هـ)
تحقيق شكر الله القوجانى دمشق - ١٩٧٣م.

٢٠- التاريخ: لابن معين ت ٢٣٣ هـ.
تحقيق أحمد محمد نور مكة - ١٩٧٩م.

٢١- تاريخ إربل: لابن المستوفى (المبارك بن أحمد ت ٦٣٧ هـ)
تحقيق سامى الصقار بغداد - ١٩٨٠م.

٢٢- تاريخ الأمم والملوك: للطبرى (محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ)
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة - ١٩٦٢م.

٢٣- تاريخ بغداد: للخطيب البغدادى (أحمد بن على ت ٤٦٣ هـ)
القاهرة - ١٩٣١م.

٢٤- تاريخ جرجان: للسهمى (حمزة بن يوسف ت ٤٢٧ هـ)
حيدر آباد - ١٩٥٠م.

٢٥- تاريخ الخلفاء: للسيوطى
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد القاهرة - ١٩٥٩م.

٢٦- تاريخ الخميس: للدياربكرى (حسن بن محمد ت ٩٦٦ هـ)
القاهرة - ١٢٨٣ هـ.

٢٧- تاريخ دنيسر: لابن اللمش (أبى حفص عمر بن الخضر ت ٦٤٠ هـ)
تحقيق إبراهيم صالح دمشق - ١٩٨٦م.

٢٨- التاريخ الصغير: للبخارى (محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦ هـ)
تحقيق محمود إبراهيم زايد حلب - ١٩٧٧م.

٢٩- تاريخ دمشق: لابن عساكر (على بن الحسن ت ٥٧١ هـ)
دمشق - ١٩٥١ ١٩٦٠م.

٣٠- التاريخ الكبير: للبخارى تحقيق عبد الرحمن المعلمى اليمانى
دائرة المعارف العثمانية الهند - ١٣٨٠ هـ.

٣١- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: لابن حجر العسقلانى

تحقيق على محمد البجاوى   القاهرة - ١٩٦٤م.

٣٢- تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى أبى الحسن الأشعرى
لابن عساكر   دمشق - ١٣٤٧ هـ.

٣٣- تتمة المختصر فى أخبار البشر: لابن الوردى (عمر بن المظفر   ت ٧٤٩ هـ)
بيروت - ١٩٧٠م.

٣٤- تذكرة الحفاظ: للذهبى - تحقيق عبد الرحمن المعلمى اليمانى
حيدر آباد - ١٣٧٧ هـ.

٣٥- تقريب التهذيب: لابن حجر العسقلانى
تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف   القاهرة - ١٣٨٠هـ.

٣٦- تهذيب الأسماء واللغات: للنووى (يحيى بن شرف   ت ٦٧٦ هـ)
القاهرة   بدون تاريخ.

٣٧- تهذيب التهذيب.   لابن حجر العسقلانى - حيدر آباد الدكن - ١٣٢٥ هـ.

٣٨- تهذيب الكمال فى أسماء الرجال: للمزى (جمال الدين أبى الحجاج يوسف   ت ٧٤٢ هـ)
تحقيق بشار عواد   بيروت - ١٩٨٥م.

٣٩- جمهرة أنساب العرب: لابن حزم (على بن أحمد   ٤٥٦ هـ)
تحقيق عبد السلام هارون   دار المعارف   القاهرة ١٩٦٢م.

٤٠- جمهرة نسب قريش: للزبير بن بكار   ت ٢٥٦ هـ
تحقيق محمود شاكر   القاهرة - بدون تاريخ.

٤١- حسن المحاضرة: للسيوطى   تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
القاهرة - ١٣٨٧ هـ.

٤٢- حلية الأولياء: لأبى نعيم الأصبهانى   ت ٤٣٠ هـ) - القاهرة - ١٩٣٨م.

٤٣- الدارس فى تاريخ المدارس: للنعيمى (عبد القادر بن محمد   ت ٩٢٧ هـ)
دمشق - ١٣٦٧ هـ.

٤٤- الذيل التام على دولة الإسلام: للسخاوى   ت ٩٠٢ هـ   تحقيق حسن إسماعيل مروة.

٤٥- ذيل رفع الإصر: للسخاوى
الدار المصرية للتأليف والترجمة   القاهرة - ١٩٦٠م.

٤٦- ذيل الروضتين: لأبى شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل   ت ٦٦٥ هـ)
القاهرة - ١٣٦٦ هـ.

٤٧- الروضتين فى أخبار الدولتين: لأبى شامة   القاهرة - ١٢٨٧ هـ.

٤٨- السلوك: للمقريزى (أحمد بن على   ت ٨٤٥ هـ)
دار الكتب المصرية   القاهرة - ١٩٤١م.

٤٩- سير أعلام النبلاء: للذهبي تحقيق شعيب الأرنؤوط بيروت - ١٩٨١م.

٥٠- شذرات الذهب: لابن العماد الحنبلي (عبد الحي ت ١٠٨٩ هـ)
القاهرة - ١٣٥٠ هـ.

٥١- صبح الأعشى: للقلقشندي (أحمد بن علي ت ٨٢١ هـ)
القاهرة ١٣٣١ هـ ١٣٣٨ هـ.

٥٢- الضوء اللامع: للسخاوي القدس - ١٣٥٣ هـ.

٥٣- فوات الوفيات: لابن شاكر الكتبي (محمد ت ٧٦٤ هـ)
تحقيق إحسان عباس بيروت - ١٩٧٣م.

٥٤- قضاة دمشق: لابن طولون الدمشقي ت ٩٥٣ هـ
تحقيق صلاح الدين المنجد دمشق - ١٩٥٦م.

٥٥- مختصر تاريخ دمشق: لابن منظور (محمد بن مكرم ت ٧١١ هـ)
دمشق - ١٩٨٤م.

٥٦- المختصر في أخبار البشر: لأبي الفدا (إسماعيل بن علي ت ٧٣٢ هـ)
دار المعارف القاهرة - ١٩٩٠ ١٩٩٤م.

٥٧- مرآة الزمان: لسبط ابن الجوزي - حيدر آباد - ١٩٥١م.

٥٨- مفتاح السعادة: لطاش كبرى زادة (أحمد بن محمد ت ٩٦٨ هـ)
تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور
دار الكتب الحديثة القاهرة.

٥٩- المنهل الصافي: لابن تغري بردي (يوسف الأتابكي ت ٨٧٤ هـ)
دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٥٦م.

٦٠- النجوم الزاهرة: لابن تغري بردي - دار الكتب المصرية القاهرة - ١٩٦٣م

٦١- هدية العارفين: للبغدادي (إسماعيل بن محمد البابي ت ١٣٣٩ هـ)
استانبول - ١٩٦٠م.

٦٢- الوافي بالوفيات: للصفدي (خليل بن أيبك ت ٧٦٤ هـ) بيروت ١٩٦٢م

٦٣- وفيات الأعيان: لابن خلكان (أحمد بن محمد ت ٦٨١ هـ)
تحقيق إحسان عباس بيروت ١٩٧٨م.

٦٤- الوفيات: لابن رافع ت ٧٧٤ هـ
تحقيق صالح مهدي عباس بيروت ١٩٨٢م.

٦٥- الوفيات: لابن قنفذ (أحمد بن الحسن ت ٨٠٧ هـ)
تحقيق عادل نويهض بيروت ١٩٧١م.

٦٦- ولاة مصر: للكندي - تحقيق حسين نصار - بيروت ١٩٠٨م.

محتويات الكتاب